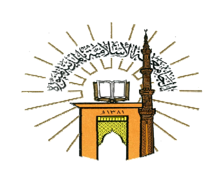


المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة



كلية الدعوة وأصول الدين

الجمعية العلمية السعودية

لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب

مَجلّة

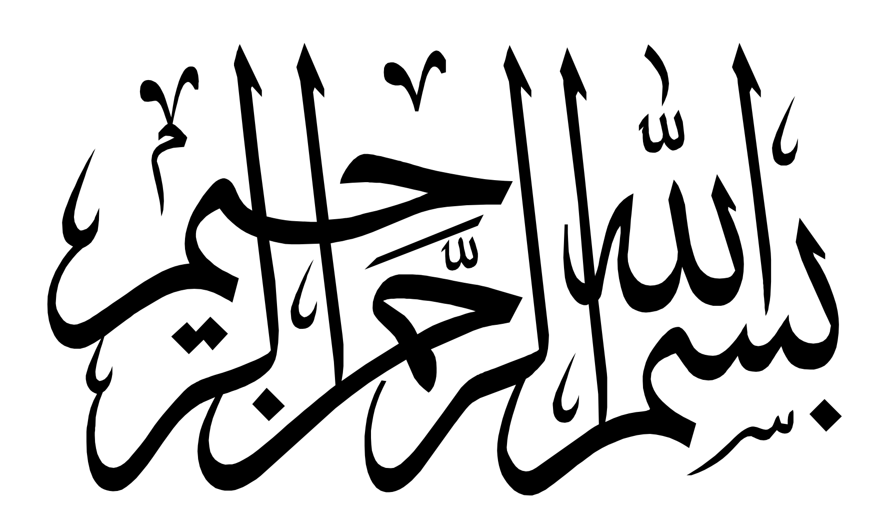
الدِّرَاسَاتِ العَقَدِيَّة

مجلّةٌ عِلْميّةٌ محكَّمَة مُتخَصِّصَة

العدد ١ – السَّنة الأولى – محرّم ١٤٣٠ هـ

ردمك × ٦١٦-٥١٦٥٨-١

رقم الإيداع ١٤٣٠/٧٦١٧


بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان المراسلات:

تكون المراسلات باسم مدير التحرير (ص.ب ١٠٠٤٠) المدينة المنورة.

جوال ٠٥٥٨٣٠٣٨٤٠

هاتف ٠٤٨٤٧١١٥٥

فاكس ٠٤٨٤٧٣٠٧٦

البريد الإلكتروني

aqeedaamm@gmail.com

قواعد النشر في مجلة الدراسات العقدية

تلتزم المجلة في نشر المواد العلمية بالقواعد الآتية:

١ ـ أن لا تكون منشورة ولا مقدمة للنشر في جهة أخرى.

٢ ـ أن تكون خاصة بالمجلة.

٣ـ أن تكون أصيلة من حيث الجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.

٤ ـ أن تراعى فيها قواعد البحث العلمي الأصيل ومنهجيته.

٥ ـ أن تكون في مجال تخصص الجمعية.

٦ ـ أن لا تكون أجزاء من بحوث مستفيضة قد تمّ نشرها للباحث، ولا أجزاء من رسالته العلمية في (الدكتوراه) أو (الماجستير).

٧ ـ أن تكون مطبوعة على قرص حاسب آلي.

٨ ـ أن لا يزيد عدد صفحاتها عن مائة صفحة للإصدار الواحد، ولا يقل عن عشر صفحات، ولهيئة تحرير المجلة الاستثناء عند الضرورة.

٩ ـ أن تصدّر بنبذة مختصرة ـ لا تزيد عن نصف صفحة ـ للتعريف بها.

١٠ ـ أن يُرافقها نبذة مختصرة عن صاحبها تبيّن عمله وعنوانه وأهم أعماله العلمية.

١١ـ أن يُقدّم صاحبها خمس نسخ منها.

١٢- تقدم المادة العلمية مطبوعة وفق المواصفات الفنية التالية:

أ- البرنامج الوورد xp أو ما يماثله.

ب- نوع الحرف: Lotus Linotype

جـ- نوع حرف الآيات القرآنية على النحو التالي: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ ﴾ [المائدة: ٣]

د- مقاس الصفحة الكلي: ١٢سم× ٢٠سم = (إعداد الصفحة: ٥أعلى، ٤.٧٥ أسفل ٤.٥ أيسر وأيمن)

هـ- حرف المتن: ١٦ غير مسود

و- حرف الحواشي السفلى: ١٢غير مسود

ز- رأس الصفحة: ١٢أسود

العنوان الرئيسي: ١٨ أسود

العنوان الجانبي: ١٦ أسود.

١٣- أن يقدم البحث في صورته النهائية في ثلاثة نسخ، منها نسختان قرصيان مستقليان، ونسخة على ورق.

١٤- لا تلتزم المجلة بإعادة البحوث إلى أصحابها، نشرت أم لم تنشر.

١٥- يعطى الباحث ثلاث نسخ من العدد المنشور فيه بحثه +١٥مستلة منه.

مجلة الدّرَاسَاتِ العَقَدِيّة

المواد المنشورة

في المجلة

تعبر عن آراء أصحابها

محتويات العدد

الموضوع	الصفحة

كلمة معالي مدير الجامعة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد سعدت الجامعة الإسلامية باحتضان هذه الجمعية المباركة، (الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب)، ومافتئت الجامعة ترعى مسيرة الجمعية، وتقدم لها كل ما يمكّنها من القيام بأنشطتها تحقيقا لأهدافها التي أنشئت من أجلها، إدراكا من الجامعة للدور الرائد والهام، الذي تضطلع به الجمعية في خدمة العقيدة، وتحقيق التواصل العلمي بين المختصين في علومها.

وهي اليوم تفخر برؤية الجمعية تحقق إنجازاً كبيراً، وهدفاً مهماً، من أهدافها، بذل القائمون على الجمعية جهودا مشكورة في سبيل تحقيقه، خدمة للمختصين في علوم العقيدة، وللمعنيين بالدراسات الإسلامية بعامة، ذاك هو إصدار الجمعية :(مجلة الدراسات العقدية)، الحدث الذي ترقبه الجميع ، وتطلع إليه المختصون.

وإني إذ أقدم للعدد الأول من هذه المجلة الفتية في عمرها الزمني، الكبيرة في مكانتها العلمية ، لأسأل الله للمجلة، وللقائمين عليها مزيد التوفيق والتسديد.

وإنه ليسرني بهذه المناسبة، أن أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان، لخادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز، أيده الله ، ولصاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء، وزير الدفاع والطيران ، والمفتش العام، ألبسه الله لباس الصحة والعافية، ولصاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز، النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، وزير الداخلية، ولصاحب المعالي وزير التعليم العالي، والأستاذ الدكتور خالد بن محمد العنقري، على رعايتهم ودعمهم لهذه الجامعة، وتشجيعهم للجمعيات العلمية في الجامعات السعودية، ودعم أنشطتها، سائلا الله عزوجل أن يجعل ذلك في موازين حسناتهم.

وختاما أشكر للقائمين على الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، ولهيئة تحرير (مجلة الدراسات العقدية) هذا الجهد، وهذا الإنجاز، متمنياً للمجلة مسيرة علمية حافلة بالدراسات العلمية الجادة، والبحث العلمي الرصين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مدير الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

أ.د محمد بن علي العقلا

حُكْمُ الاسْتِغَاثَةِ بالنَّبِيّ ﷺ

إعداد :

د. محمد بن عبد الله مختار

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [سورة النساء، الآية: ١].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَـٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٧٠ ـ ٧١].

أما بعد فإن من الأمور التي وقع فيها الاختلاف حكمَ الاستغاثةِ بالنبي ﷺ وبغيره من الصالحين الموتى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى؛ فمن الناس من ذهب إلى حِلِّها بل واستحبها وزعم أنها من أعظم القرب إلى الله تعالى وألَّف في تقريرها كالبكري الذي كفر شيخ الإسلام ابن تيمية وردّ عليه، وكالنبهاني الذي ألف شواهد الحق في الاستغاثة بسيِّد الخلق، وكالسُّبكي الذي ألف كتابه الموسوم (شفاء السقام في زيارة خير الأنام) وغيرِهم. ومن أهل العلم من ذهب إلى ردِّها وإبطالها. فرأيت الإسهام في توضيح هذه

المسألة وبيان وجه الحق فيها.

ومن أبرز الكتب التي ألفت في هذه المسألة كتاب شيخ الإسلام الاستغاثة في الرد على البكري، وهو من أميز الكتب التي تناولت هذه المسألة فيما أحسب. ولأهمية هذا الكتاب ومكانته العلمية قام الحافظ ابن كثير بتلخيصه وترتيبه كما اعتنى الباحثون بتحقيقه.

أهمية الموضوع: إن دراسة موضوع الاستغاثة بالنبي ﷺ وبيان حكمها من أهم مباحث الدين ومطالبه وذلك لتعلُّق هذه المسألة بأصل الدين وأساسه الأعظم توحيد الله تعالى في ألوهيته الذي جاءت بدعوة الناس إليه جميع المرسلين كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأنبياء الآية:٢٥] وقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [سورة النحل، الآية: ٣٦].

خطة البحث: جعلت البحث في مقدمة وثلاثة مطالب.

المقدمة وتشتمل على خطبة الحاجة، وأهمية الموضوع وخطة البحث.

المطلب الأول: تعريف الاستغاثة لغة واصطلاحاً والفرق بينها وبين الدعاء.

المطلب الثاني: حكم الاستغاثة بالنبي ﷺ.

المطلب الثالث: شبهات المخالفين.

والله المسئول أن ينفع به كما نفع بجهود علمائنا في هذه المسألة وأن يجعل عملي فيه خالصاً لوجهه الكريم.

وكتبه: محمد عبد الله مختار.

حكم الاستغاثة بالنبي ﷺ

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الاستغاثة لغة واصطلاحاً والفرق بينها وبين الدعاء.

الاستغاثة في اللغة طلب الغوث، وهو: إزالة الشدة؛ كالاستنصار طلب النصرة [١].

وقيل: نداءُ من يخلِّص من شدة أو يُعِين على دفع بليةٍ [٢].

فالاستغاثة إذاً طلب مقرون بالنداء، وذلك نوع من الدعاء ولكن دعاء خاص وهو لإزالة الشدة، وذلك لأن الدعاء يكون في أحوال متغايرة إما لإزالة شدة واقعة بالعبد وإما طلب خلي من الشدة كالدعاء في حال الرخاء. فالدعاء إذاً أعم من كونه لإزالة الشدائد، وبذلك يتبين الفرق بين الدعاء والاستغاثة وهو في العموم والخصوص، فكل استغاثة دعاء، وليس كل دعاء استغاثة.

إذا تقرر هذا فإن طلب الغوث يكون في جلب الخير كما يكون في دفع الضير، لأنه منوط برفع الشدة الواقعة بالعبد، وهي تحصل بفقد المرغوب وبعدم دفع المخوف.

---

(١) انظر: تاج العروس (٥/ ٣١٤)، وتلخيص الاستغاثة (١/ ١٦٢)، ومجموع الفتاوى (١/ ١٠٣ ـ ١٠٥).

(٢) المعجم الوسيط (٢/ ٦٦٥).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: ((وهذا غاية ما يدعو به الإنسان من جلب الخيرات ودفع المضرات؛ فإن الدعاء فيه تحصيل المطلوب واندفاع المرهوب)) (١).

المطلب الثاني: حكم الاستغاثة بالنبي ﷺ.

الاستغاثة بشخص النبيِّ الكريم ﷺ لا تخلو: إما أن تكون في حياته أو تكون بعد مماته فإن كانت في حياته فهي جائزة فيما يقدر عليه بطبع بشريته(٢) عليه الصلاة والسلام كالاستنصار به لدفع عدوٍ ونحوه. ومحرمة إذا كانت فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

أو بعد مماته فإنها محرمة مطلقاً فيما كان قادراً عليه في حياته أو كان مما لا يقدر عليه في حياته. وذلك لأن الموت عجز عن الفعل مطلقاً، ولأن التكليف قد انقطع عنهم(٣).

والأدلة الدالة على تقرير هذا الأصل كثيرة؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ **قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾** ﴾ [سورة الإسراء: الآيتان ٥٦ ـ ٥٧]، وقوله: ﴿ **أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ**

---

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٣٥٠) وانظر: تلخيص الاستغاثة ص: ٢٨٦.

(٢) أي بطبع القوة المحدودة والتي يشارك النبي ﷺ فيها غيره من البشر.

(٣) كما لو سألهم الدعاء.

وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [سورة النمل: الآية ٦٢]، وقوله في شأن الموتى والغائبين: ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [سورة فاطر، الآية: ١٤]، وقوله: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾[سورة الأحقاف: الآيتان: ٥ ـ ٦].

يقول شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- شارحاً لهذه الآيات ومقرراً ما تقدم: ((وذلك أن المخلوق يطلب من المخلوق ما يقدر المخلوق عليه، والمخلوق قادر على دعاء الله ومسألته، فلهذا كان طلب الدعاء جائزاً كما يطلب منه الإعانة بما يقدر عليه، والأفعال التي يقدر عليها. فأما ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فلا يجوز أن يطلب إلا من الله سبحانه، لا يطلب ذلك لا من الملائكة، ولا من الأنبياء، ولا من غيرهم، ولا يجوز أن يقال لغير الله: اغفر لي، واسقنا الغيث، وانصرنا على القوم الكافرين، أو اهدِ قلوبنا، ونحو ذلك. ولهذا روى الطبراني في معجمه أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذى المؤمنين فقال الصديق: قوموا بنا نستغيث برسول الله من هذا المنافق فجاءوا إليه فقال: «إنه لا يُستغاث بي، وإنما يستغاث بالله»[(١)] وهذا في

(١) أخرجه أحمد في المسند ٥/ ٣١٧ لكن بغير هذا اللفظ. وأخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ١/ ٣٨٧، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٥٩ وقال: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح

الاستعانة مثل ذلك. فأما ما يقدر عليه البشر فليس من هذا الباب وقد قال سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال: الآية ٩]، وفى دعاء موسى عليه السلام: ((**اللهم لك الحمد، وإليك المشتكى، وإليك المستعان، وبك المستغاث، وعليك التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بك**))[1] وقال أبو يزيد البسطامي: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة الغريق بالغريق. وقال أبو عبد الله القرشي: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بالمسجون. وقال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [سورة الإسراء: الآيتان ٥٦ ـ ٥٧].

قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون الملائكة والأنبياء فقال الله تعالى: هؤلاء الذين تدعونهم هم عبادي كما أنتم عبادي، يرجون رحمتي كما ترجون رحمتي، ويخافون عذابي كما تخافون عذابي، ويتقربون إليَّ كما تتقربون إليَّ، فنهى سبحانه عن دعاء الملائكة والأنبياء مع إخباره لنا أن الملائكة يدعون لنا ويستغفرون، ومع هذا فليس لنا أن نطلب ذلك منهم. وكذلك الأنبياء والصالحون وإن كانوا أحياء في قبورهم، وإن قدر أنهم يدعون للأحياء، وإن

غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث.

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط ٣/٣٥٦ برقم (٣٣٩٤) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١٨٣.

وردت به آثار فليس لأحد أن يطلب منهم ذلك ولم يفعل ذلك أحد من السلف، لأن ذلك ذريعة إلى الشرك بهم وعبادتهم من دون الله تعالى بخلاف الطلب من أحدهم في حياته فإنه لا يفضي إلى الشرك، ولأن ما تفعله الملائكة ويفعله الأنبياء والصالحون بعد الموت هو بالأمر الكوني، فلا يؤثر فيه سؤال السائلين بخلاف سؤال أحدهم في حياته فإنه يشرع إجابة السائل، وبعد الموت انقطع التكليف عنهم))[1].

المطلب الثالث: الشبهات.

هناك بعض الشبهات التي يتعلق بها من يجيز الاستغاثة بشخصه الكريم ﷺ فيما لا يقدر عليه إلا الله ﷻ، وهذه الشبهات على أربعة أنواع:

النوع الأول: شبهات لغوية ومردها إلى الخلط بين معنى التوسل والدعاء.

النوع الثاني: الجهل بأن الاستغاثة به فيما لا يقدر عليه إلا الله نوع من العبادة لغير الله. وهذه في الواقع ليست شبهةً ولكن دَرْجها في الشبه لملاحظة الاشتباه في معنى العبادة وتحقيق معنى كلمة "الإله".

النوع الثالث: أحاديث موضوعة أو ضعيفة أو صحيحة يتأولونها على غير وجهها يستندون عليها في تجويز الاستغاثة بغير الله كحديث: ((**لو حسَّن أحدكم ظنه بحجر لنفعه**))[2]، وحديث: ((**إذا أعيتكم الأمور**

(١) مجموع الفتاوى (١/ ٣٢٩ ـ ٣٣١).

(٢) سيأتي تخريجه والكلام عليه في موضعه.

فعليكم بأصحاب القبور)) [١] وحديث: **((إذا أضل أحدكم شيئاً، أو أراد أحدكم عوناً، وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل: يا عباد الله أغيثوني، يا عباد الله أغيثوني، فإن لله عباداً لا نراهم»**[٢]**، وحديث الأعمى وفيه: «يا محمد يا نبي الرحمة إني...))** [٣].

النوع الرابع: حكايات ومنامات وقصص بعيدة واهيات أو حصل فيها المقصود فتنة وابتلاء؛ كقول القائل: استغاث فلان بالقبر الفلاني، فتخلّص من شدته، ونحو ذلك مما يروج له سُدَّان القبور الداعون لعبادتها.

وأما تفصيل هذه الشبه والرد عليها فهو كما يلي:

الشبهة الأولى: يزعم بعض من يجيز الاستغاثة به ﷺ أو بغيره من الصالحين أن ذلك نوع من التوسل وليس بدعاءٍ حقيقة، لأن الدعاء طلب منه مباشرة ونحن لا نطلب إلا من الله ولكن هو وسيلتنا إلى الله ﷻ، ولكن بعض العامة لا تُحسِن العبارة فتسأله مباشرة وهي تريد معنى التوسل. وهذه الشبهة نقلها عنهم صاحب كتاب معارج الألباب في مناهج الحق والصواب[٤].

ويستدلون عليها بالأحاديث الواردة في التوسل بدعاء النبي ﷺ

---

(١) سيأتي تخريجه والكلام عليه في موضعه.
(٢) سيأتي تخريجه والكلام عليه في موضعه.
(٣) سيأتي تخريجه والكلام عليه في موضعه.
(٤) انظر: معارج الألباب ٢/ ٦٠٢ ـ ٦٠٤ بتحقيقي.

كحديث عمر في الصحيح[١]: إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا وإنا اليوم نتوسل إليك بعم نبيك فأسقنا، وحديث توسل أصحاب الغار بأعمالهم الصالحة[٢]، وحديث توسل الأعمى بالنبي ﷺ[٣] وغير ذلك من الأحاديث الدالة على جواز التوسل بالنبي ﷺ حال حياته[٤].

والجواب: أن المتقرر عند أهل العلم أن الألفاظ قوالب المعاني وأن اللفظ هو الطريق إلى معرفة المعنى المراد، وأما النظر إلى النيات والقصود فهو أمر أجنبي خارج عن ظاهر اللفظ، ولو أهملنا الألفاظ ونظرنا إلى المعاني لتعطلت كثير من الأحكام؛ فإن الله تعالى تعبدنا بالألفاظ كما تعبدنا بالمعاني، وقد عاب على المشركين أنهم أرادوا معانيَ صحيحةً في ظاهرها بألفاظ باطلة وسمى صنيعهم ذلك شركاً[٥].

---

(١) البخاري في كتاب الاستسقاء، باب: سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا (جـ٢/ ٢٠) برقم (١٠١٠).

(٢) حديث توسل أصحاب الغار بأعمالهم الصالحة أخرجه البخاري في كتاب الإجارة من صحيحة ٢/ ٧٩٣ باب من استأجر أجيراً فترك أجره فعمل فيه المستأجر فزاد، أو من عمل في مال غيره فاستفضل.

(٣) وسيأتي تخريجه في موضعه.

(٤) معارج الألباب في مناهج الحق والصواب ٢/ ٦٠٢ ـ ٦٠٣ بتحقيقي، وانظر: جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمة العظام والتوسل بجاه خير الأنام عليه الصلاة ص: ٨٣ ـ ٨٩ بتحقيق: الأخ عبد الرحمن السلطان.

(٥) المعنى الصحيح هنا هو التقرب إلى الله تعالى، فالتقرب إلى الله مطلوب، ولكن بالألفاظ الصحيحة كالتقرب إلى لله بطلب الدعاء من الرجل الصالح.

والحاصل أن المشركين أرادوا معنى صحيحاً وهو التقرب إلى الله ولكن بلفظ منكر شركي وهو دعاء الصالح وعبادته من دون الله تعالى. ومن هنا حصل الإنكار عليهم. والله تعالى أعلم.

قال تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [سورة الزمر، الآية: ٢].

كما أن الله تعالى مَنَعَ من الألفاظ الموهمة لما تفضي إليه من باطل قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٠٤].

وأيضاً: فإن الأحكام في الدنيا مبناها على الظاهر ولا عبرة بالنيات والمقاصد.

ثانياً: أن من أنواع الشرك التي ذكرها أهل العلم الشرك المتعلق بالألفاظ كقول الرجل: ما شاء الله وشئت، ولولا كليبة الدار لأتانا اللصوص، وكالحلف بغير الله، ويدخل فيه كل لفظ يوهم معنى الشَّرِكة أو يدل على ذلك.

يقول ابن القيم –رحمه الله تعالى–: ((**ومن الشرك به سبحانه الشرك به في اللفظ**: كالحلف بغيره، كما رواه الإمام أحمد وأبو داود عنه ﷺ أنه قال: «من حلف بغير الله فقد أشرك» وصححه الحاكم وابن حبان[1]. ومن ذلك قول القائل للمخلوق: ما شاء الله وشئت، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له رجل: ما شاء الله وشئت، فقال: ((**أجعلتني لله نداً؟ بل قل: ما شاء الله**

(١) كما قال المؤلف: أخرجه أحمد في المسند (٢/ ٣٤، ٨٦، ١٢٥)، وأبو داود في كتاب الإيمان، باب: كراهة الحلف بالآباء (٥/ ٢٥٣) برقم (٣٢٥١) والترمذي في جامعه برقم (١٥٧٤)، وابن حبان (١١٧٧) والطيالسي (١٨٩٦)، والبيهقي في السنن الكبير (١٠/ ٢٩)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٨، ٤/ ٢٩٧). وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

وحده)) [١]، هذا مع أن الله قد أثبت للعبد مشيئةً، كقوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة التكوير: آية ٢٨]، فكيف بمن يقول: أنا متوكل على الله وعليك، وأنا في حسب الله وحسبك، وماليَ إلا الله وأنت، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض، أو يقول: والله وحياة فلان، أو يقول: نذراً لله ولفلان، أو أنا تائب لله ولفلان، أو أرجو الله وفلاناً، ونحو ذلك...)) [٢].

ولشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- كلام نفيس في رد هذه الشبهة بيَّن من خلاله غَلَطَ تفسير الدعاء بالتوسل كما في تلخيص الاستغاثة للحافظ ابن كثير، حيث يقول -رحمه الله- في رده على البكري: ((وقوله: "من توسل إلى الله بنبيه في تفريج كربة أو استغاث به سواء كان ذلك بلفظ الاستغاثة أو التوسل أو غيرهما مما هو في معناهما" فهذا القول لم يقله أحد من الأمم، بل هو مما اختلقه هذا المفتري، وإلا فلينقل ذلك عن أحد من الناس، وما زلت أتعجب من هذا القول وكيف يقوله عاقل، والفرق واضح بين السؤال بالشخص والاستغاثة به، وأريد أن أعرف من أين دخل اللبس على هؤلاء الجهال، فإن معرفة المرض وسببه يعين على مداواته وعلاجه، ومن لم يعرف أسباب المقالات وإن كانت باطلة لم يتمكن من

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢١٤، ٢٢٤)، والبيهقي في السنن (٣/ ٢١٧)، وابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٣٤٠)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٢٤٤)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٨٤)، والنسائي في عمل اليوم والليلة (٦٦٧).

(٢) الجواب الكافي، لابن القيم (ص: ٩٣).

مداواة أصحابها وإزالة شبهاتهم، فوقع لي أن سبب هذا الضلال الاشتباه عليهم: أنهم عرفوا أن يقال سألت الله بكذا كما في الحديث: «اللهم إني أسألك بأن لك الحمد أنت المنان» [1].

ورأيي أن الاستغاثة تتعدى بنفسها كما يتعدى السؤال كقوله: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ [سورة الأنفال: الآية ٩].

وقوله: ﴿فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ﴾ [سورة القصص: الآية ١٥] فظنوا أن قول القائل استغثت بفلان كقوله سألت بفلان والمتوسل إلى الله بغائب، أو ميت تارة يقول: أتوسل إليك بفلان وتارة يقول أسألك بفلان، فإذا قيل ذلك بلفظ الاستغاثة، فإما أن يقول أستغيثك بفلان، أو أستغيث إليك بفلان ومعلوم أن كلا هذين القولين ليس من كلام العرب.

وأصل الشبهة على هذا التقدير: أنهم لم يفرِّقوا بين الباء في استغثت به التي يكون المضاف بها مستغاثاً مدعواً مسؤولاً مطلوباً منه، وبالاستغاثة المحضة من "الإغاثة" التي يكون المضاف بها مطلوباً به لا مطلوباً منه. فإذا قيل: توسلت به أو سألت به أو توجهت به فهي الاستغاثة كما تقول كتبت بالقلم. وهم يقولون: أستغيثه واستغثت به من "الإغاثة" كما يقولون

(١) أخرجه أبو داود في سننه ٢/ ٧٩ برقم (١٤٩٥)، وأحمد في المسند ٣/ ٢٤٥، والضياء في المختارة ٥/ ٢٥٧ برقم (١٨٨٥)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٥٦ وقال: رواه الطبراني، وفيه أبان بن عياش، وهو متروك.

استغثت الله واستغثت به من "الغوث".

فالله في كلا الموضعين مسؤول مطلوب منه. وإذا قالوا لمخلوق استغثته واستغثت به من الغوث كان المخلوق مسؤولاً مطلوباً منه، وأما إذا قالوا: استغث به من "الإغاثة" فقد يكون مسؤولاً وقد لا يكون مسؤولاً. وكذلك "استنصرته" و"استنصرت به" فإن المستنصر يكون مسؤولاً مطلوباً، وأما المستنصر به فقد يكون مسؤولاً وقد لا يكون مسؤولاً.

فلفظ "الاستغاثة" في الكتاب والسنة وكلام العرب إنما هو مستعمل بمعنى الطلب من المستغاث به.

وقول القائل: استغثت فلانا واستغثت به بمعنى طلبت منه الإغاثة لا بمعنى توسلت به فلا يجوز للإنسان الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله.

قال في الوجه الرابع: إن التضمين المعروف في اللغة إنما هو ضم معنى لفظ معروف إلى آخر مع بقاء معنى اللفظ الأول كما في قوله: ﴿وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [سورة المائدة: الآية ٤٩] فإنه ضُمِّن معنى "الإذاعة" فعدى بحرف الغاية عن مع أنه فتنة. وكذلك قوله: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ [سورة ص: الآية ٢٤] فإنه ضُمِّن معنى "الضم" و"الجمع" فعُدِّي بحرف الغاية مع أن معنى السؤال موجود. كذلك قوله: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ [سورة الأنبياء: الآية ٧٧] ضمَّنه معنى "نجيناه" مع بقاء معنى النصر. وقوله: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [سورة الإنسان: الآية ٦] ضُمِّن معنى "يروي" فعدي بحرف الباء مع بقاء

معنى الشرب. وهكذا إذا قيل: استغثت بالله من "الغوث" فإنه ضُمِّن معنى "الاستغاثة" التي هي من العون فعدي بالباء مع بقاء معنى الاستغاثة وهي طلب من المستغاث به.

فأما إذا قيل: استغثت بفلان من "الغوث" بمعنى سألت غيره به وتوسلت به فهذا لا يجوز، لأنه أحال معنى "الاستغاثة"؛ فإن معناها طلب الإغاثة من المستغاث به، ومعلوم أن المسؤول به والمقسَم به والمتوسَّل به ليس مسؤولاً ولا مطلوباً منه ففيه تبديل معنى اللفظ فلا يجوز ذلك.

وقال في الوجه الخامس: إنه لو قدر أن معنى ذلك معنى التوسل بالأنبياء، فالتوسل بهم الذي جاءت به الشريعة هو التوسل إلى الله بالإيمان بهم وبطاعتهم أو بدعائهم وشفاعتهم كما كان الصحابة يتوسلون بدعاء رسول الله ﷺ في الاستسقاء وغيره كما في حديث الأعمى، وكما يتوسل الخلائق يوم القيامة بشفاعته، وأعظم وسائل الخلائق إلى الله تعالى الإيمان بهم واتباعهم وطاعتهم، فأما التوسل بذواتهم والسؤال بهم بدون دعائهم[1] وشفاعتهم وطاعتهم التي يثيب الله عليها فهذا باطل لا أصل له في شرع ولا عقل)) أ.هـ من تلخيص الاستغاثة للحافظ ابن كثير[2].

وأما الاستدلال بالأحاديث المتقدمة في جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ فهي استدلال بها في غير مَحَلِّها فإنها في جواز التوسل لا في جواز الاستغاثة وقد

---

(١) أي حصول الدعاء منهم في حياتهم عليهم الصلاة والسلام.

(٢) ص: ١٨٢ ـ ١٨٧.

تقدم الفرق بين الأمرين في كلام شيخ الإسلام المنقول آنفاً.

قلت: ومنهم من يجعل الاستغاثة من باب النداء لا من باب الدعاء فيجوِّز الطلب من الأموات.

ويُقال في دفع هذه الشبهة: أن تغيير الأسماء لا يغيِّر حقائق تلك المسمّيات ولا يزيل أحكامها، إذ العبرة بالحقائق لا بالأسماء.

يقول الشيخ عبد الله أبابطين -رحمه الله تعالى-: ((من جعل شيئاً من العبادة لغير الله فقد عبده واتخذه إلهاً، وإن فرّ من تسميته معبوداً وإلهاً، وسمّى ذلك توسلاً وتشفعاً أو التجاء ونحو ذلك، فالمشرك مشرك شاء أم أبى، فتغيير الاسم لا يغيِّر حقيقة المسمى ولا يزيل حكمه)) أ.هـ[1].

الشبهة الثانية: من الأسباب التي أدت إلى الوقوع في الشرك – ولا سيما الاستغاثة بالنبي ﷺ فيما لا يقدر عليه إلا الله- الاشتباه في معنى العبادة ومعنى كلمة "الإله" حيث فُسرت العبادة بالاعتقاد وفُسِّر معنى الإله بتوحيد الربوبية، ولذلك اعتقدوا أن الشرك هو اعتقاد الفاعلية في غير الله تعالى، ولذا أجازوا الدعاء والطلب من غير الله ما دام أن الداعي والسائل يعتقد أن مقاليدَ الأمور بيد الله تعالى، وأن الفاعل حقيقة هو الله وإنما المدعو والمستغاث به هو مجرّد واسطة بينك وبين الله.

يقول الشيخ عبد الرحمن المعلِّمي[2] ـ رحمه الله ـ في مطلع كتابه (رفع

---

(١) الانتصار، ص: ٣٣، وانظر: تأسيس التقديس ص: ٥٠، ٦٤، ومنهاج التأسيس ص: ١٠٥.

(٢) هو: عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن محمد العُتْمي المعلمي اليماني ثم المكي، نسبته إلى بلاد عُتمة باليمن، عالم محقق في السنة، كانت ولادته في أواخر سنة (١٣١٢) هـ، ووفاته في أوائل سنة (١٣٨٦)

الاشتباه عن معنى العبادة والإله): ((أما بعد: فإني تدبرت الخلاف المستطير بين الأمة في القرون المتأخرة في شأن الاستغاثة بالصالحين الموتى وتعظيم قبورهم ومشاهدهم، وتعظيم بعض المشايخ الأحياء، وَزَعْم بعض الأمة في كثير من ذلك أنه شرك، وبعضها أنه بدعة، وبعضها أنه من الدين الحق. ورأيت كثيراً من الناس قد وقعوا في تعظيم الكواكب والروحانيين مما يطول شرحه، وهو موجود في كتب التنجيم والتعزيم[١]، كشمس المعارف[٢] وغيرها.

وعَلِمْتُ أن مسلماً من المسلمين لا يَقْدم على ما يعلم أنه شرك ولا تكفير من يعلم أنه غير كافر، ولكنه وقع الاختلاف في حقيقة الشرك، فنظرت في حقيقة الشرك فإذا هو بالاتفاق: اتخاذ غير الله ﷻ إلهاً من دونه، أو عبادة غير الله ﷻ. فانتقل النظر إلى معنى الإله والعبادة فإذا فيه اشتباه شديد، فإن أصح الأقوال في تفسير "إله" قولهم: معبود أو معبود بحق، ومعنى العبادة مشتبه كذلك ـ كما

هـ. انظر: الأعلام للزركلي (٣/ ٣٤٢).

(١) التعزيم: من العزائم، وهي مطلق الرقى. انظر: لسان العرب (٩/ ١٩٣).

(٢) كتاب "شمس المعارف" لأحمد بن علي البوني، كتاب سحر وشعوذة، وهو مليء بالشرك ـ والعياذ بالله تعالى.

قال الشيخ ابن جبرين ـ حفظه الله ـ : ((هذا الكتاب من كتب الخرافيين، وقد شحنه مؤلفه بالأكاذيب والخرافات الباطلة، وفيه عقائد باطلة يكفر من اعتقدها، وهو أيضاً مليء بأمور السحر والكهانة، وأكثر من يقتنيه هم السحرة وأهل الشعوذة، وقد حصل بسببه مفاسد وأضرار أوقعت جماعات كثيرة في أنواع من الكفريات والضلالة والضرر بالأمة)) [نقلاً عن كتب حذر منها العلماء (١/ ١٢٤) للشيخ مشهور بن حسن آل سلمان].

سنراه إن شاء الله ــ. فعلمت أن ذلك الاشتباه هو سبب الخلاف، وإذاً الخطر أشد مما يُظَنّ، لأن الجهل بمعنى الإله يلزمه الجهل بمعنى كلمة التوحيد؛ "لا إله إلا الله" وهي أساس الإسلام وأساس جميع الشرائع الحقة، قال الله ﷻ: ﴿أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأنبياء الآية:٢٥]))[١].

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- سبب التعلُّق بالصالحين الموتى والاستغاثة بهم في دفع العوائق فقال: ((ولهذا كان من أتباع هؤلاء من يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها كما يدعو الله تعالى، ويصوم لها، وينسك لها، ويتقرب إليها ثم يقول إن هذا ليس بشرك، وإنما الشرك إذا اعتقدت أنها هي المدبرة لي، فإذا جعلتها سبباً وواسطة لم أكن مشركاً.

ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام أن هذا شرك. فهذا ونحوه من التوحيد الذي بعث الله به رسله وهم لا يدخلونه في مسمى التوحيد الذي اصطلحوا عليه))[٢].

---

(١) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (ص: ٣١ ـ ٣٢).
(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨).

الشبهة الثالثة: وهي استدلالهم بحديث:

١ ـ ((لو حسَّن أحدكم ظنه بحجر لنفعه)):

حاصل الرد: أن هذا الحديث موضوع مكذوب على رسول الله ﷺ وأظنه من وضع الزنادقة، فإن النبي ﷺ إنما جاء للنهي عن عبادة الأحجار فكيف يأمر بما يناقض أصل بعثته وزبدة رسالته!!

وممن حكم عليه بالوضع ابن الديبع في تمييز الطيِّب من الخبيث(١)، وعلى القاري في الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة(٢)، وابن تيمية كما في مجموع الفتاوى(٣)، والحافظ ابن حجر العسقلاني كما نقله عنه تلميذه السخاوي في المقاصد الحسنة(٤)، والألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة(٥).

٢ ـ ((إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور)) وهو كسابقه حديث مكذوب موضوع لا تجوز نسبته للنبي ﷺ، وهو معارِض لأصل الدين وأساس الملة؛ فإن التعلق بأصحاب القبور ذريعة إلى الشرك وذلك لما يفضي إليه من دعاء الأموات وطلب الحوائج منهم، بل هو أصل الشرك في الأمم السابقة فعن ابن عباس -رضي الله عنهما- في تفسير قوله تعالى في سورة

---

(١) ص: ١٣٣.
(٢) ص: ٢٨٨ برقم (٣٧٦).
(٣) (٢٤/ ٣٣٥).
(٤) ص: ٣٤٤ عند الحديث رقم (٨٤٤).
(٥) ١/ ٦٤٧ برقم (٤٥٠).

نوح: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ٢٤﴾. قال: ((هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح؛ فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتُنُسِّخ العِلْمُ عُبِدَت))[1].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: ((وأصل الشرك في بني آدم كان من الشرك بالبشر: الصالحين المعظَّمِين؛ فإنهم لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوهم.

فهذا أول شرك كان في بني آدم وكان في قوم نوح؛ فإنه أول رسول بعث إلى أهل الأرض يدعوهم إلى التوحيد وينهاهم عن الشرك كما قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا ٢٣ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ٢٤﴾.

وهذه أسماءُ قومٍ صالحين كانوا في قوم نوح، فلما ماتوا جعلوا الأصنام على صورهم ثم ذهبت هذه الأصنام لما أغرق الله أهل الأرض ثم صارت إلى العرب كما ذكر ذلك ابن عباس وغيره))[2].

ويقول ابن القيم -رحمه الله تعالى- في صدد حديثه عن الأسباب التي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٤/ ١٨٧٣ برقم (٤٦٣٦).
(٢) مجموع الفتاوى ١٤/ ٣٦٣.

أدت إلى الفتنة بأصحاب القبور: ((ومنها: أحاديث مكذوبة مختلقة وضعها أشباه عباد الأصنام من المقابرية على رسول الله ﷺ تناقض دينه وما جاء به، كحديث: إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور، وحديث: لو أحسن أحدكم ظنه بحجر نفعه، وأمثال هذه الأحاديث التي هي مناقضة لدين الإسلام وضعها المشركون، وراجت على أشباههم من الجهال الضلال، والله بعث رسوله يقتل من حسَّن ظنه بالأحجار، وجنَّب أمته الفتنة بالقبور من كل طريق كما تقدم)) [١].

وممن حكم بوضع هذا الحديث: غير ابن القيم –رحمه الله– ابن تيمية كما في الاستغاثة في الرد على البكري[٢] وقال: ((هذا مكذوب باتفاق أهل العلم لم يروه عن النبي ﷺ أحد من علماء الحديث)) أ.هـ. وممن حكم عليه بالوضع أيضاً: الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ في تيسير العزيز الحميد[٣].

فهذه أقوال أهل العلم في حكم هذا الحديث، وبها يتبين بطلان الاستدلال به على دعاء الأموات والاستغاثة بهم.

٣ ـ حديث عتبة بن غزوان عن النبي ﷺ أنه قال: ((**إذا أضل أحدكم شيئاً، أو أراد أحدكم عوناً، وهو بأرض ليس بها أنيس فليقل: يا عباد الله**

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٢١٥).
(٢) ٢/ ٤٨٣.
(٣) ص: ١٩٩.

أغيثوني يا عباد الله أغيثوني، فإن لله عباداً لا نراهم))[١]:

والرد على استدلالهم بهذا الحديث من جهتين:

الأولى: من جهة الحكم على الحديث، فإن الحديث كما بيَّن الحفاظ أنه ضعيف لا تقوم به حجة رواه الطبراني في المعجم الكبير[٢] وفي إسناده معروف بن حسان قال عنه الهيثمي في مجمع الزوائد[٣] «ضعيف». وقال أبو حاتم في الجرح والتعديل[٤]:«مجهول». وقال ابن عدي في الكامل[٥]: «منكر الحديث».

قلت: وراوي الحديث إذا اجتمعت فيه هذه الأوصاف التي تقدمت في أقوال أهل العلم فإن حديثه ممَّا لا يُحتجُ به لأنه يدور بين الضعف الشديد الذي لا ينجبر وبين الوضع والبطلان.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ بعد أن ذكر أقوال أهل العلم في معروف هذا: «وأقول بل هو باطل –يعني هذا الحديث– إذ كيف يكون عن سعيد عن قتادة ثم يغيب عن أصحاب سعيد الحفاظ الأثبات مثل: يحيى القطان، وإسماعيل بن علية، وأبي أسامة، وخالد بن الحارث، وأبي

---

(١) جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمة العظام والتوسل بجاه خير الأنام عليه الصلاة والسلام ص: ٨٩.

(٢) ١٧/ ١١٧ برقم (٢٩٠).

(٣) ١٠/ ١٣٢.

(٤) ٥/ ٣٢٢ ترجمة رقم (١٤٩٠).

(٥) ٦/ ٣٢٥ برقم (١٨٠٥).

خالد الأحمر، وسفيان، وشعبة، وعبد الوارث، وابن المبارك، والأنصاري، وغندر، وابن أبي عدي ونحوهم، حتى يأتي به هذا الشيخ المجهول المنكر الحديث؛ فهذا من أقوى الأدلة على وضعه»[١].

الجهة الثانية: على تقدير ثبوته: فإنه لا دليل فيه لأن هذا من دعاء الحاضر فيما يقدر عليه كما جاء في الرواية الأخرى عن عبد الله بن مسعود أنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة فليناد: يا عباد الله احبسوا. يا عباد الله احبسوا؛ فإن لله في الأرض حاضراً سيحبسه عليكم**))[٢].

يقول ابن سحمان -رحمه الله تعالى- بعد أن ذكر روايات هذا الحديث وحكم على أسانيدها بالضعف-: «على تقدير صحتها فليس فيه إلا نداء الأحياء والطلب منهم ما يقدر هؤلاء الأحياء عليه، وذلك لا يجحده أحد، وأين هذا من الاستغاثة بأصحاب القبور من الأولياء والصالحين....

فإن قيل: إن عباد الله المذكورين غائبون، وأنتم تمنعون من دعاء الأموات

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص: ١٩٧.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده ٩/ ١٧٧ برقم (٥٢٦٩)، والطبراني في المعجم الكبير ١٠/ ٢١٧ برقم (١٠٥١٨)، وابن السني في عمل اليوم والليلة ص: ٤٥٥ ـ ٤٥٦ برقم (٥٠٨) من حديث عبد الله بن مسعود. وإسناده ضعيف لضعف معروف بن حسان كما تقدم.

وأعلّه الحافظ ابن حجر -رحمه الله تعالى- بعلة أخرى وهي الانقطاع بين عبد الله بن بريدة وابن مسعود نقل ذلك ابن علان في شرح الأذكار ٥/ ١٥٠. وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ١/ ١٠٨ برقم (٦٥٥).

والغائبين؟!

فالجواب: إن عباد الله المذكورين ليسوا بغائبين، وعدم رؤيتهم لا يستلزم غيبتهم، فإنا لا نرى الحفظة، ومع ذلك فهم حاضرون، ولا نرى الجن ومع ذلك فهم حاضرون، وكذلك الشياطين والهواء ونحو ذلك، فإن علة الرؤية ليس هو الوجود فقط، فإن هذا من الأسباب الظاهرة العادية، ولا خلاف بين أهل العلم في جوازها، فلا حجة لهم في هذا الحديث ولا متعلَّق لهم فيه بوجه من الوجوه، والله أعلم»[1].

وأجاب الشيخ عبد الله أبا بطين -رحمه الله تعالى- مفتي الديار النجدية عن استدلالهم بهذا الحديث في جواز دعاء الأموات والغائبين فقال:

((وأما الجواب عن الحديث فيمن انفلتت دابته في السفر أن يقول: «يا عباد الله احبسوا» فأجيب بأنه غير صحيح لأنه من رواية معروف بن حسان وهو منكر الحديث قاله ابن عدي.

ومن المعلوم -إن كان صحيحاً- أن النبي ﷺ لا يأمر من انفلتت دابته أن يطلب ردّها وينادي مَنْ لا يسمعه ولا يقدر على ردِّها، بل نقطع أنه إنما أَمَره أن ينادي من يسمعه وله القدرة على ذلك، كما ينادي الإنسان أصحابه الذين معه في سفره ليردوا دابته.

وهذا يدل -إن صحَّ- على أن لله جنوداً يسمعون ويقدرون ﴿وَمَا يَعْلَمُ

---

(١) كشف غياهب الظلام عن أوهام جلاء الأوهام ص: ٣٢٥ بتحقيق الشيخ عبد الرحمن السلطان، بحث غير منشور. وانظر: تيسير العزيز الحميد ص: ١٩٧.

﴿جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة المدثر: الآية ٣١] وروي زيادة لفظة في الحديث «فإن لله حاضراً» فهذا صريح في أنه إنما ينادي حاضراً يسمع، فكيف يُستدل بذلك على جواز الاستغاثة بأهل القبور...

فإذا تحققت أن الرسول ﷺ لا يأمر من انفلتت دابته أن ينادي مَنْ لا يسمعه ولا قدرة له على ذلك، وكما دلّ عليه قوله «فإن لله حاضراً» تبيّن لك ضلال من استدلّ به على دعاء الغائبين والأموات الذين لا يسمعون ولا ينفعون، وهل هذا إلا مضادة لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة يونس: الآية ١٠٦]، ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [سورة فاطر: الآية ١٣]، وقوله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [سورة الأحقاف: الآية ٥]، وقال: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [سورة الرعد: الآية ١٤].

فهذه الآيات وأضعافها نصٌّ في تضليل من دعا مَنْ لا يسمع دعاءه ولا قدرة له على نفعه ولا ضره، ولو قُدِّر سماعه فإنه عاجز.

فكيف تترك نصوص القرآن الواضحة وتُردُّ بقوله «يا عباد الله احبسوا» مع أنه ليس في ذلك معارضة لما دلّ عليه القرآن ولا شبهة معارضة، ولله

الحمد)) [١] أ.هـ.

ثم مما يبين أن المراد بالحديث ليس الاستغاثة بالموتى والغائبين على -فرض صحته- الرواية الأخرى التي في مسند البزار -من حديث ابن عباس- ولفظها: أن رسول الله ﷺ قال: ((**إن لله ﷻ ملائكة في الأرض سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر، فإذا أصاب أحدكم عرجة في الأرض لا يقدر فيها على الأعوان فليصيح فليقل: عباد الله أغيثونا أو أعينونا فإنه سَيُعان**))[٢] وفي رواية: ((**إن لله ملائكة في الأرض يسمون الحفظة يكتبون ما يقع في الأرض من ورق الشجر، فما أصاب أحداً منكم عرجة أو احتاج إلى عون بفلاة من الأرض فليقل: أعينونا عباد الله رحمكم الله، فإنه يعان إن شاء الله**))[٣].

---

(١) دحض شبهات على التوحيد من سوء الفهم لثلاثة أحاديث (ص: ٣٦ ـ ٣٨).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٦/ ٩١ برقم (٢٩٧٢٠)، والبيهقي في شعب الإيمان ٦/ ١٢٨ برقم (٧٦٩٧)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٣٢ وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات. وأورده الشوكاني -رحمه الله تعالى- في تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين ص ٢٣٨ ثم قال: وفي الحديث دليل على جواز الاستعانة بمَنْ لا يراهم الإنسان من عباد الله من الملائكة وصالحي الجن، وليس في ذلك بأس كما يجوز للإنسان أن يستعين ببني آدم إذا عثرت دابته أو انفلتت)).

والحديث حسَّن إسناده الحافظ ابن حجر كما في شرح الأذكار لابن علان ٥/ ١٥١. ورجَّح الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله تعالى- وقفه. وهو كما قال. وله حكم الرفع لأنه إخبار عن علم غيبي لا مجال للرأي فيه. والله تعالى أعلم بالصواب. انظر: تعليق الشيخ عبد السلام بن برجس -رحمه الله- على هذا الحديث في تحقيقه رسالة دحض شبهات على التوحيد من سوء الفهم لثلاثة أحاديث ص: ٣٧.

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٦/ ١٢٨ برقم (٧٦٩٧).

وبهذا يُعلم ضعف استنادهم على هذا الحديث في جواز الاستغاثة بالأموات والغائبين.

٤ ـ استدلالهم بحديث الأعمى على دعاء الأموات: حديث الأعمى هو حديث عثمان بن حنيف ﷺ عن النبي ﷺ ولفظه كما في الترمذي[١]: أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال: ((**ادع الله أن يعافيني قال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك». قال: فادعه قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة: إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه فيَّ. وفي بعض الروايات: «فشفعه فيَّ وشفعني في نفسي. فرجع، وقد كشف له عن بصره**))[٢].

وهذا الحديث اختلف أهل العلم في صحته، فمنهم من يضعفه والقول بتضعيفه جاء عن صاحب المنار[٣] وصاحب السنن والمبتدعات[٤]. ومن أهل العلم من صححه وممن قال بتصحيحه الإمام الترمذي[٥] وشيخ الإسلام ابن تيمية[٦] والألباني[٧] وجمع من المحققين. ومنهم من توقف في صحته كالعز ابن

---

(١) سنن الترمذي ٥/ ٥٦٩ برقم (٣٥٧٨).

(٢) أخرجها النسائي في سننه الكبرى ٦/ ١٦٨ حديث رقم (١٠٤٩٤)، والحاكم في المستدرك ١/ ٧٠٧ برقم (١٩٢٩).

(٣) هو: الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله تعالى- صاحب تفسير المنار، ومجلة المنار.

(٤) انظر: السنن والمبتدعات للشيخ محمد عبد السلام خضر ص: ١٢٥ ـ ١٢٦.

(٥) كما في سننه ٥/ ٥٦٩ برقم (٣٥٧٨).

(٦) انظر: التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية ص: ٩٨.

(٧) انظر: التوسل أنواعه وأحكامه ص: ٧٥.

ابن عبد السلام[١] والإمام الصنعاني[٢]، وصاحب تيسير العزيز الحميد[٣].

ومهما يكن من شيء فإن غاية ما فيه هو توسل الأعمى بدعاء النبي ﷺ حال حياته وليس فيه متمسَّك بجواز الاستغاثة بالنبي ﷺ بعد مماته ولا كذلك التوسل به أو بجاهه بعد مماته.

ومما يبين ذلك أن الأعمى قد جاء إلى النبي ﷺ طالباً منه الدعاء فعلَّمه أن يقول: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة.. إلى أن قال: اللهم فشفعه فيَّ وشفعني في نفسي. فالحاصل أن الدعاء وقع من الطرفين مِنْ طرف النبي ﷺ[٤] ومِنْ طرف الأعمى ولذا جاز أن يُقال: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي -أي بدعائك-، فلو كانت الاستغاثة به جائزة لما كان ثمة حاجة

(١) انظر: الرد على البكري ١/ ٣٦٤، وإغاثة اللهفان ١/ ٢١٧ مع تيسير العزيز الحميد ص: ١٩٥.

(٢) انظر: السنن والمبتدعات للشيخ محمد عبد السلام خضر ص: ١٢٦.

(٣) تيسير العزيز الحميد للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص: ١٩٥.

(٤) وممّا يدل على وقوع الدعاء من النبي ﷺ أن في الدعاء الذي علّمه رسول الله ﷺ إياه أن يقول: «اللهم فشفعه فيَّ» وهذا يستحيل حمله على التوسل بذاته ﷺ، أو جاهه أو الاستغاثة به. إذ إن المعنى: اللهم اقبل شفاعته ﷺ فيَّ، أي: اقبل دعاءه في أن ترد عليَّ بصري، والشفاعة لغة الدعاء، وهو المراد بالشفاعة الثابتة له ﷺ ولغيره من الأنبياء والصالحين يوم القيامة، وهذا يبيِّن أن الشفاعة أخصُّ من الدعاء، إذ لا تكون إلا إذا كان هناك اثنان يطلبان أمراً، فيكون أحدهما شفيعاً للآخر، بخلاف الطالب الواحد الذي لم يشفع غيره. قال في لسان العرب ٨/ ١٨٤: «الشفاعة كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره... والشافع الطالب لغيره يتشفع به إلى المطلوب، يقال: تشفعت بفلان إلى فلان، فشفعني فيه » انتهى. فثبت أن توسل الأعمى إنما كان بدعائه ﷺ لا بذاته. بتصرف يسير من التوسل أنواعه وأحكامه للألباني -رحمه الله تعالى- ص: ٧٩ ـ ٨٠.

للمجيء للنبي ﷺ والطلب منه أو الاستغاثة به عنده بل كان يقعد في بيته ويستغيث بالنبي ﷺ بأن يقول مثلاً: يا رسول الله رد عليَّ بصري، أو أسألك أن تشفيَني وتجعلني بصيراً، أو نحو ذلك من الكلام. ولكنه لم يَفْعَل، لماذا؟ لأنه عربي يفهم معنى الاستغاثة فيما لا يقدر عليه إلا الله وأنها عبادة لا يجوز صرفها لغير الله. فإذاً ليس في هذا الحديث متمسَّك لجواز الاستغاثة بالنبي ﷺ بل غاية ما فيه جواز التوسل بدعائه ﷺ حال الحياة.

يقول العلامة الألباني -رحمه الله تعالى-: ((أن الأعمى إنما جاء إلى النبي ﷺ ليدعو له، وذلك قوله: «ادعُ الله أن يعافيني» فهو قد توسل إلى الله تعالى بدعائه ﷺ، لأنه يعلم أن دعاءه ﷺ أرجى للقبول عند الله بخلاف دعاء غيره، ولو كان قصد الأعمى التوسل بذات النبي ﷺ أو جاهه أو حقه لما كان ثمة حاجة به إلى أن يأتي النبي ﷺ، ويطلب منه الدعاء له، بل كان يقعد في بيته، ويدعو ربه بأن يقول مثلاً: «اللهم إني أسألك بجاه نبيك ومنزلته عندك أن تشفيني، وتجعلني بصيراً». لكنه لم يَفْعَل، لماذا؟ لأنه عربي يفهم معنى التوسل في لغة العرب حق الفهم، ويعرف أنه ليس كلمةً يقولها صاحب الحاجة، يذكر فيها اسم الموسَّل به، بل لا بد أن يشتمل على المجيء إلى من يعتقد فيه الصلاح والعلم بالكتاب والسنة، وطلب الدعاء منه له)) [1]. أ.هـ.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: ((فهذا الحديث فيه التوسل به إلى الله في الدعاء.

(١) التوسل أنواعه وأحكامه ص: ٧٦ ـ ٧٧.

فمن الناس من يقول هذا يقتضي جواز التوسل به مطلقاً حياً وميتاً، وهذا يحتج به من يتوسل بذاته بعد موته وفى مغيبه، ويظن هؤلاء أن توسل الأعمى والصحابة في حياته كان بمعنى الإقسام به على الله، أو بمعنى أنهم سألوا الله بذاته أن يقضي حوائجهم، ويظنون أن التوسل به لا يحتاج إلى أن يدعو هو لهم، ولا إلى أن يطيعوه، فسواء عند هؤلاء دعا الرسول لهم أو لم يدع الجميع عندهم توسل به، وسواء أطاعوه أو لم يطيعوه، ويظنون أن الله تعالى يقضي حاجة هذا الذي توسل به بزعمهم، ولم يدع له الرسول كما يقضي حاجة هذا الذي توسل بدعائه، ودعا له الرسول إذ كلاهما متوسل به عندهم، ويظنون أن كل من سأل الله تعالى بالنبي فقد توسل به كما توسل به ذلك الأعمى، وأن ما أمر به الأعمى مشروع لهم، وقول هؤلاء باطل شرعاً وقدراً، فلا هم موافقون لشرع الله ولا ما يقولونه مطابق لخلق الله .

ومن الناس من يقولون: هذه قضية عين يثبت الحكم في نظائرها التي تشبهها في مناط الحكم لا يثبت الحكم بها فيما هو مخالف لها لا مماثل لها، والفرق ثابت شرعاً وقدراً بين من دعا له النبي ﷺ وبين من لم يدع له، ولا يجوز أن يجعل أحدهما كالآخر .

وهذا الأعمى شفع له النبي ﷺ، فلهذا قال في دعائه: **((اللهم فشفعه فيَّ))** فعُلِم أنه شفيع فيه ولفظه: **((إن شئت صبرت، وإن شئت دعوت لك))** فقال: ادع لي. فهو طلب من النبي ﷺ أن يدعو له فأمره النبي ﷺ أن يصلي ويدعو هو أيضاً لنفسه، ويقول في دعائه: «اللهم فشفِّعه فيَّ» فدل ذلك على أن معنى قوله: «أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد» أي: بدعائه وشفاعته

كما قال عمر: «اللهم إنا كنا إذا أجدبنا توسلنا إليك بنبينا فتسقينا»[١] فالحديثان معناهما واحد، فهو عَلَّم رجلاً أن يتوسل به في حياته كما ذكر عمر أنهم كانوا يتوسلون به إذا أجدبوا، ثم إنهم بعد موته إنما كانوا يتوسلون بغيره بدلاً عنه)) أ.هـ[٢].

وقال صاحب تيسير العزيز الحميد: ((فالحديث سواء كان صحيحاً أو لا وسواء ثبت قوله فيه: يا محمد أو لا. لا يدل على سؤال الغائب، ولا على سؤال المخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله بوجه من وجوه الدلالات، ومن ادعى ذلك فهو مفترٍ على الله وعلى رسوله ﷺ، لأنه إن كان سأل النبي ﷺ نفسه فهو لم يسأل منه إلا ما يقدر عليه، وهو أن يدعو له، وهذا لا إنكار فيه، وإن كان توجه به من غير سؤال منه نفسه فهو لم يسأل منه وإنما سأل من الله به، سواء كان متوجهاً بدعائه كما هو نص أول الحديث وهو الصحيح، أو كان متوجهاً بذاته على قول ضعيف؛ فإن التوجه بذوات المخلوقين والإقسام بهم على الله بدعة منكرة لم تأت عن النبي ﷺ، ولا عن أحد من أصحابه والتابعين لهم بإحسان، ولا الأئمة الأربعة ونحوهم من أئمة الدين. قال أبو حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به. وقال: أبو يوسف: أكره بحق فلان، وبحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت والمشعر الحرام. وقال القدوري: المسألة بحق

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥.

المخلوق لا تجوز، فلا يقول أسألك بفلان أو بملائكتك أو أنبيائك ونحو ذلك، لأنه لا حق للمخلوق على الخالق. واختاره العز بن عبد السلام إلا في حق النبي ﷺ خاصة إن ثبت الحديث - يشير إلى حديث الأعمى، وقد تقدم: أنه على تقدير ثبوته ليس فيه إلا أنه توسل بدعائه لا بذاته)) [(١)] أ.هـ.

إذا ثبت هذا، فلهم شبهة أخرى متعلقة بإحدى زيادات هذا الحديث وهي قوله ﷺ للأعمى «وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك» فيستدلون بها على جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ لأمره الأعمى أنْ يَفْعَل مثل ذلك في سائر حاجاته ولا يأتي إلى النبي ﷺ فيطلب منه الدعاء.

وحاصل الرد أن هذه الزيادة أعلَّها شيخ الإسلام في «التوسل والوسيلة»[(٢)] بتفرد حماد بن سلمة بها، ومخالفته لرواية شعبة، وهو أجلّ من روى هذا الحديث.

قال الألباني: ((وهذا إعلال يتفق مع القواعد الحديثية، ولا يخالفها البتة، وقول الغماري في: «المصباح» (ص: ٣٠) بأن حماداً ثقة من رجال الصحيح، وزيادة الثقة مقبولة، غفلة منه أو تغافل عما تقرر في المصطلح، أن القبول مشروط بما إذا لم يخالف الراوي من هو أوثق منه، قال الحافظ في «نخبة الفكر» : «والزيادة مقبولة ما لم تقع منافية لمن هو أوثق، فإن خولف بأرجح، فالراجح المحفوظ، ومقابله الشاذ».

---

(١) تيسير العزيز الحميد ص: ١٩٥.

(٢) ص: ٩٩ أو مجموع الفتاوى ١/ ٢٧٥.

قلت: وهذا الشرط مفقود هنا، فإن حماد بن سلمة، وإن كان من رجال مسلم، فهو بلا شك دون شعبة في الحفظ، ويتبين لك ذلك بمراجعة ترجمة الرجلين في كتب القوم، فالأول أورده الذهبي في «الميزان» وهو إنما يورد من تُكلِّم فيه، ووصفه بأنه «ثقة له أوهام» بينما لم يورد فيه شعبة مطلقاً، ويظهر لك الفرق بينهما بالتأمل في ترجمة الحافظ لهما، فقال في «التقريب»: «حماد بن سلمة ثقة عابد أثبت الناس في ثابت، وتغير حفظه بآخره» ثم قال: «شعبة بن الحجاج ثقة حافظ متقن، كان الثوري يقول: هو أمير المؤمنين في الحديث، وهو أول من فتش بالعراق عن الرجال، وذب عن السنة، وكان عابداً».

قلت: إذا تبين لك هذا عرفت أن مخالفة حماد لشعبة في هذا الحديث بزيادته عليه تلك الزيادة غير مقبولة، لأنها منافية لمن هو أوثق منه، فهي زيادة شاذة كما يشير إليه كلام الحافظ السابق في «النخبة» ولعلّ حماداً روى هذا الحديث حين تغيّر حفظه، فوقع في الخطأ، وكأن الإمام أحمد أشار إلى شذوذ هذه الزيادة، فإنه أخرج الحديث من طريق مؤمَّل -وهو ابن إسماعيل- عن حماد عقب رواية شعبة المتقدمة، إلا أنه لم يسق لفظ الحديث، بل أحال به على لفظ حديث شعبة، فقال: «فذكر الحديث» ويحتمل أن الزيادة لم تقع في رواية مؤمل عن حماد، لذلك لم يشر إليها الإمام أحمد كما هي عادة الحفاظ إذا أحالوا في رواية على أخرى بينوا ما في الرواية المحالة من الزيادة على الأولى. وخلاصة القول: إن الزيادة لا تصح لشذوذها، ولو صحت لم تكن دليلاً على على جواز التوسل بذاته ﷺ، لاحتمال أن يكون

معنى قوله: «فافعل مثل ذلك» يعني من إتيانه ﷺ في حال حياته، وطلب الدعاء منه والتوسل به، والتوضؤ والصلاة، والدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ أن يدعو به، والله أعلم)) (١).

ثم على تقدير ثبوتها لم يكن فيها حجة، وإنما غايتها أن يكون عثمان بن حنيف ؓ ظن أن الدعاء يُدعى ببعضه دون بعض، فإنه لم يأمره بالدعاء المشروع بل ببعضه، وظن أن هذا مشروع بعد موته، ولفظ الحديث يناقض ذلك؛ فإن في الحديث أن الأعمى سأل النبي ﷺ أن يدعو له، وأنه عَلَّم الأعمى أن يدعو، وأمره في الدعاء أن يقول: «اللهم فشفعه فيَّ» وإنما يدعى بهذا الدعاء إذا كان النبي ﷺ داعياً شافعاً له بخلاف من لم يكن كذلك، فهذا يناسب شفاعته ودعاءه للناس في محياه في الدنيا ويوم القيامة إذا شفع لهم(٢).

فظهر مما تقدّم أن هذا الحديث لا متمسَّك لهم به في جواز الاستغاثة بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله أو الاستغاثة بالميت مطلقاً بل ذلك من الشرك الذي لا يُغفر. وقد سدَّ النبي ﷺ باب الشرك بها مطلقاً فنهى عن الاستغاثة به مطلقاً، فقال: «إني لا يُستغاث بي»(٣) مع أن القائلين أرادوا بها معنى صحيحاً وهو الاستغاثة فيما يقدر عليه؛ فإن تخليصهم من هذا المنافق

---

(١) التوسل أنواعه وأحكامه ص: ٩٠ ـ ٩٢.
(٢) مجموع الفتاوى ١/ ٢٧٥ ـ ٢٧٦.
(٣) تقدم تخريجه.

في مقدوره ﷺ، ولكن حتى لا يُعمَّم اللفظ في الجائز وغير الجائز منع منه مطلقاً. وهذا من حمايته ﷺ لجناب التوحيد وسدِّه الطرق المفضية إلى الشرك.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ: ((قوله: «إني لا يُستغاث بي وإنما يستغاث بالله» قال بعضهم فيه التصريح بأنه لا يستغاث بالنبي في الأمور وإنما يستغاث بالله. والظاهر أن مراده ﷺ إرشادهم إلى التأدب مع الله في الألفاظ، لأن استغاثتهم به ﷺ من المنافق من الأمور التي يقدر عليها إما بزجره أو تعزيره ونحو ذلك، فظهر أن المراد بذلك الإرشاد إلى حسن اللفظ والحماية منه ﷺ لجانب التوحيد وتعظيم الله تبارك وتعالى؛ فإذا كان هذا كلامه ﷺ في الاستغاثة به فيما يقدر عليه فكيف بالاستغاثة به أو بغيره في الأمور المهمة التي لا يقدر عليها أحد إلا الله كما هو جار على ألسنة كثير من الشعراء وغيرهم، وقَلَّ مَنْ يعرف أن ذلك منكر فضلاً عن معرفة كونه شركاً)) [(١)] انتهى كلامه -رحمه الله تعالى-.

الشبهة الرابعة: استدلالهم على جواز الاستغاثة بالنبي ﷺ بالحكايات والمنامات والقصص البعيدة الواهيات أو تلك التي حصل فيها المقصود وتحقق فيها المرغوب.

الجواب: أن هذا الدين مبناه على التوقيف، والأحكام تبنى على النصوص الشرعية. أما القصص والمنامات والتجارب فليست بحجة في

(١) تيسير العزيز الحميد ص: ٢٠٦ ـ ٢٠٧.

الشرع لا سيما في أعظم الأمور وهو تبرير الشرك وتجويزه، فليس لأحد أن يعارض الشرع بذوقه أو بما يراه في منامه أو يستدل على جواز فعلٍ حرمه الشرع بمن جرّب فحصل مراده ومقصوده. فلو اعتمدنا ذلك لصار الدين لعبة في أيدي العابثين وساغ لكل مبطلٍ أن يعارض الشرع بقوله وذوقه.

وليس كل من دعا عند قبر أو استغاث بصاحب ذلك القبر فاستجيب دعاؤه كان عمله صالحاً لأن الإجابة قد تكون فتنة وابتلاء، وقد تكون لافتقاره واضطراره، لأنه يدعو الله وغيره.

يقول ابن القيم –رحمه الله-: ((ومنها: حكايات حكيت لهم عن تلك القبور أن فلاناً استغاث بالقبر الفلاني في شدة فخلص منها، وفلاناً دعاه أو دعا به في حاجة فقضيت له. وفلاناً نزل به ضر فاسترجى صاحب ذلك القبر فكشف ضره. وعند السدنة والمقابرية من ذلك شيء كثير يطول ذكره، وهم من أكذب خلق الله تعالى على الأحياء والأموات، والنفوس مولعة بقضاء حوائجها وإزالة ضروراتها ويسمع بأن قبر فلان ترياق مجرب، والشيطان له تلطف في الدعوة فيدعوهم أولاً إلى الدعاء عنده فيدعو العبد بحرقة وانكسار وذلة فيجيب الله دعوته لما قام بقلبه لا لأجل القبر، فإنه لو دعاه كذلك في الحانة والخمارة والحمام والسوق أجابه فيظن الجاهل أن للقبر تأثيراً في إجابة تلك الدعوة، والله سبحانه يجيب دعوة المضطر ولو كان كافراً.... فليس كل من أجاب الله دعاءه يكون راضياً عنه، ولا محباً له، ولا راضياً بفعله، فإنه يجيب البر والفاجر والمؤمن والكافر، وكثير من الناس يدعو دعاء يعتدي فيه، أو يشترط في دعائه أو يكون مما لا يجوز أن

يسأل فيحصل له ذلك أو بعضه فيظن أن عمله صالح مرضي لله ويكون بمنزلة من أملي له وأمد بالمال والبنين وهو يظن أن الله تعالى يسارع له في الخيرات. وقد قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [سورة الأنعام، الآية: ٤٤] فالدعاء قد يكون عبادة فيثاب عليه الداعي، وقد يكون مسألة تقضى به حاجته ويكون مضرة عليه، إما أن يعاقب بما يحصل له، أو تنقص به درجته فيقضي حاجته ويعاقبه على ما جرأ عليه من إضاعة حقوقه واعتداء حدوده.

والمقصود: أن الشيطان بلطف كيده يحسن الدعاء عند القبر وأنه أرجح منه في بيته ومسجده وأوقات الأسحار، فإذا تقرر ذلك عنده نقله درجة أخرى من الدعاء عنده إلى الدعاء به والإقسام على الله به، وهذا أعظم من الذي قبله، فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه وقد أنكر أئمة الإسلام ذلك...

فإذا قرر الشيطان عنده أن الإقسام على الله به والدعاء به أبلغ في تعظيمه واحترامه وأنجع في قضاء حاجته نقله درجة أخرى إلى دعائه نفسه من دون الله، ثم ينقله بعد ذلك درجة أخرى إلى أن يتخذ قبره وثناً يعكف عليه ويوقد عليه القنديل ويعلق عليه الستور ويبني عليه المسجد ويعبده بالسجود له والطواف به وتقبيله واستلامه والحج إليه والذبح عنده، ثم ينقله درجة أخرى إلى دعاء الناس إلى عبادته واتخاذه عيداً ومنسكاً وأن ذلك أنفع لهم في دنياهم وآخرتهم.

قال شيخنا قدس الله روحه: وهذه الأمور المتبدعة عند القبور مراتب

أبعدها عن الشرع أن يسأل الميت حاجته ويستغيث به فيها كما يفعله كثير من الناس. قال: وهؤلاء من جنس عباد الأصنام، ولهذا قد يتمثل لهم الشيطان في صورة الميت أو الغائب كما يتمثل لعباد الأصنام، وهذا يحصل للكفار من المشركين وأهل الكتاب يدعو أحدهم من يعظمه فيتمثل له الشيطان أحياناً، وقد يخاطبهم ببعض الأمور الغائبة، وكذلك السجود للقبر والتمسح به وتقبيله المرتبة الثانية أن يسأل الله عز وجل به، وهذا يفعله كثير من المتأخرين وهو بدعة باتفاق المسلمين.

الثالثة: أن يسأله نفسه.

الرابعة: أن يظن أن الدعاء عند قبره مستجاب أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد فيقصد زيارته والصلاة عنده لأجل طلب حوائجه فهذا أيضاً من المنكرات المبتدعة باتفاق المسلمين، وهي محرمة وما علمت في ذلك نزاعاً بين أئمة الدين وإن كان كثير من المتأخرين يفعل ذلك ويقول بعضهم: قبر فلان ترياق مجرب)) (1).

---

(١) إغاثة اللهفان ١/ ٢١٥ ـ ٢٢٨.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث فإني أحمد الله كثيراً أن وفقني لإتمامه، فله الشكر أولاً وآخراً، وله الحمد باطناً وظاهراً. لا أحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه.

وبعد، فقمت بإعداد هذا البحث والذي اشتمل على مقدمة وثلاثة مطالب ثم خرجت بنتائج أهمها ما يلي:

١ ـ تطابق الأدلة وتوافرها في تحريم الاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله تبارك وتعالى بل هي من الشرك المخرج من الملة.

٢ ـ تهافت الشبهات التي استدل بها المخالفون في تسويغ الاستغاثة بالنبي ﷺ حيث يغلب عليها أنها أحاديث موضوعة أو ضعيفة، وما صح منها حجة عليهم لا لهم.

٣ ـ جهود شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في توضيح هذه المسألة.

٤ ـ كثرة المخالفين في هذه القضية من أهل البدع والحامل لهم على ذلك هو الغلو في شخصه الكريم ﷺ.

٥ ـ حماية النبي ﷺ لجناب التوحيد ونهيه الصريح عن أن يستغاث به ﷺ كما في قوله: ((**إني لا يستغاث بي**)).

المصادر والمراجع

📖 إغاثة اللهفان، لابن القيم، تحقيق محمد حامد الفقي، نشر دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، عام (١٣٩٥)هـ.

📖 الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة، لنور الدين علي بن محمد بن سلطان المشهور بالملا علي القارئ، نشر دار الأمانة، ومؤسسة الرسالة، بيروت، عام (١٣٩١)هـ.

📖 الأعلام، تأليف: خير الدين الزركلي، نشر: دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط: الخامسة عشرة (٢٠٠٢) م.

📖 تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين، لمحمد بن علي الشوكاني، نشر دار القلم بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٩٨٤)م.

📖 تلخيص الاستغاثة في الرد على البكري لشيخ الإسلام ابن تيمية، تلخيص الحافظ ابن كثير الدمشقي، نشر المطبعة السلفية، مصر (١٣٦٤).

📖 تمييز الطيِّب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث، لعبد الرحمن بن علي المعروف بابن الديبع، دار الكتاب العربي، بيروت.

📖 التوسل أنواعه وأحكامه، بحوث للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، ألف بينها ونسقها محمد عيد العباسي، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الخامسة (١٤٠٦)هـ.

📖 التوسل والوسيلة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: زهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي، بيروت عام (١٣٩٠)هـ.

📖 تيسر العزيز الحميد، للشيخ سليمان بن عبد الله آل الشيخ، تحقيق محمد

أيمن الشبراوي، نشر عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٩٩)م.
📖 الجرح والتعديل، لعبد الرحمن بن أبي حاتم التميمي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى (١٢٧١)هـ.
📖 جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمة العظام والتوسل بجاه خير الأنام عليه الصلاة والسلام، تأليف: مختار بن أحمد المؤيد العظمي، نشر مطبعة الفيحاء دمشق، الطبعة الأولى عام (١٢٣٠) هـ.
📖 الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، تأليف: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي، تحقيق: يوسف علي بدوي، نشر دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، ط: الأولى (١٤١٣)هـ.
📖 دحض شبهات على التوحيد من سوء الفهم لثلاثة أحاديث «يئس الشيطان من عبادته بجزيرة العرب» وحديث: «يا عباد الله احبسوا» وحديث: عصمة كلمة التوحيد لدم قائلها وماله، تأليف العلامة: عبد الله بن عبد الرحمن البابطين النجدي الحنبلي، تحقيق د. عبد السلام بن برجس بن ناصر العبد الكريم، الطبعة الأولى (١٤٠٦)هـ.
📖 الرد على البكري، لشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، تحقيق د. عبد الله السهيلي، نشر: دار الوطن، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ.
📖 رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله، تأليف: عبد الرحمن بن يحيى اليماني، تحقيق: الداني بن منير آل زهوي، نشر: المكتبة العصرية، بيروت ـ صيدا. ط: الأولى (١٤٢٣)هـ.
📖 سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة السيئ في الأمة، للشيخ محمد

ناصر الدين الألباني، نشر دار المعارف، الرياض، الطبعة الثانية (١٤٠٨)هـ.
📖 سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، نشر دار الفكر، بيروت.
📖 سنن الترمذي، للحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق أحمد شاكر، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.
📖 السنن والمبتدعات للشيخ محمد عبد السلام خضر، تصحيح: محمد خليل هراس، طبع دار الفكر، بيروت.
📖 شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد بسيوني زغلول، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١٠)هـ.
📖 صحيح البخاري، للإمام الحافظ محمد بن إسماعيل البخاري، نشر دار الفكر، بيروت عام (١٤١٤)هـ.
📖 صحيح مسلم، للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، نشر إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية عام (١٤٠٠)هـ.
📖 الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري، نشر دار صادر، بيروت.
📖 عمل اليوم والليلة، لأحمد بن محمد بن إسحاق الدينوري المعروف بابن السني، تحقيق كوثر البرني، نشر دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة.
📖 كتب حذر منها العلماء، تصنيف: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان،

نشر: دار الصميعي، الرياض، ط: الأولى (١٤١٥)هـ.

📖 الكامل في ضعفاء الرجال، لعبد الله بن عدي بن عبد الله الجرجاني، تحقيق يحيى مختار غزاوي، نشر دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة، عام (١٤٠٩)هـ.

📖 لسان العرب، لابن منظور، نشر دار صادر، بيروت.

📖 مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لعلي بن أبي بكر الهيثمي، نشر دار الكتاب العربي، القاهرة، عام (١٤٠٧)هـ.

📖 مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم النجدي، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، عام (١٤١٦)هـ.

📖 مسند الإمام أحمد بن حنبل، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية (١٣٩٨).

📖 المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤١١)هـ.

📖 مصنف ابن أبي شيبة، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق كمال يوسف الحوت، نشر مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٠٩)هـ.

📖معارج الألباب في مناهج الحق والصواب، تحقيق محمد عبد الله مختار، نشر دار المغني، الرياض، الطبعة الأولى (١٤٢٥)هـ.

📖 معجم الطبراني الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق حمدي السلفي، نشر مكتبة الزهراء، الموصل، العراق، الطبعة الثانية (١٤٠٤)هـ.

📖 المعجم الوسيط، إعداد الدكتور إبراهيم أنيس ورفقائه، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى.

📖 المقاصد الحسنة، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى (١٤٠٧)هـ

فهرس الموضوعات

جُهُود الإِمَامِ

عبْدالعَزِيْز بن محمَّد بْن سُعُود

في نَشْر العَقِيْدة السَّلفية

إعداد :

د. محمود بن عبدالرحمن قدح

الأستاذ المشارك في كلية الدعوة بالجامعة الإسلامية

وعميد التطوير الإداري

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه ، أما بعد :

فإن من نعم الله ﷻ العظيمة على الجزيرة – في هذا العصر – ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإصلاحية، التي دعا فيها إلى عقيدة السلف والالتزام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ . ولقد ناصره الإمام محمد بن سعود وبايعه على نصرة الدعوة ونشرها وتطبيق الشريعة الإسلامية، فانضم إلى قوة الحجة والدليل والبرهان ، قوة السنان والسلطان، وإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

ومنذ ذلك الحين حمل آل سعود على عاتقهم مسؤولية نشر هذه الدعوة السلفية المباركة، فجاهدوا تحت لوائها ، وبذلوا النفس والنفيس في سبيلها، وعليها تأسست الدولة السعودية الأولى والثانية والمملكة العربية السعودية، وما زالوا – بحمد الله وعونه – سائرين على هذا المنهج القويم والعقيدة السلفية إلى زمننا هذا؛ عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود – حفظه الله ورعاه – .

((إن سير أئمة دعوة التوحيد هي في الواقع لوحة مضيئة ، تنضح بالصدق والإخلاص والإيمان بالله والعمل لمرضاته، وتجسد الحياة الإسلامية في صورة بهية ، تعطي من ذاتها القدوة الحسنة والسيرة الحميدة))[(١)] .

ومن أئمة آل سعود والأعلام المبرزين الذين حملوا لواء نشر الدعوة الإصلاحية والدفاع عنها : الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود – رحمه الله– ، الذي نشأ في مدرسة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وشارك في تأسيس الدولة السعودية الأولى مع أبيه ، فاجتمعت فيه ملكات الإمارة ومواهبها ، مع سلفية في العقيدة ، ورسوخ في العلم، فكان أميراً ينصر الحق بقوة الحجة والبرهان ، مع السيف والسلطان.

لقد كان عهد الإمام محمد بن سعود عهد البيعة والنصرة والتأسيس، أما عهد ابنه الإمام عبدالعزيز فهو عهد الانطلاق والتوسع؛ فقد انطلق بحماس شديد وإخلاص في نشر الدعوة السلفية، وبذل في سبيلها النفس والنفيس، فبارك الله له في جهده وجهاده، فدانت له البلاد والعباد، واتسع ملكه من الخليج إلى الحجاز، ومن حدود العراق إلى عسير وتهامة وعمان.

تلك شخصية أحببت دراستها ، وإبراز جهودها في نشر العقيدة السلفية؛ في بحث عنوانه " جهود الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود في نشر العقيدة السلفية " ؛ (لأن من الدلائل التي تعرف بها عافية الأمة،

---

(١) رسائل أئمة دعوة التوحيد (ص٢٣٤-٢٣٥)، صاحب السمو الملكي الدكتور/ فيصل بن مشعل بن سعود بن عبدالعزيز .

ورجحان عقلها، ويقظة قلبها، ووعيها : موقفها من المؤسسين الأوائل لكيانها ونهضتها. فالأمة الحية المحترمة هي التي تنصف روادها وأئمتها وبُناتها وصانعي مجدها؛ تنصفهم بأن تذكرهم دوما كما يذكر المرء الوفي – بالحب والتقدير – والديه، ومعلميه، وذوي الفضل عليه؛ وتنصفهم بأن تحدد –دوما– المعاني والمبادئ الحية التي عاشوا من أجلها ، وماتوا في سبيلها . وتنصفهم بأن تعصم نفسها من مثلب الجحود، وتطهر روحها من الاستغراق في الحاضر وحده . وتنصفهم بأن تدعو لهم بالرحمة والمغفرة وحسن الثواب، وبأن تردد مع الخلف المؤمن الوفي : ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [سورة الحشر / ١٠])[١] .

وقد اتبعت في كتابة هذا البحث منهج الاستقراء التاريخي مع التحليل، إلى جانب المنهج الوصفي والاستنباطي، ومراعاة القواعد والأصول العلمية المتبعة في البحث العلمي .

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين ، كالتالي :

- التمهيد ؛ ويشتمل على مطلبين ، هما :

المطلب الأول : الحالة الدينية والسياسية في نجد قبل قيام الدولة السعودية الأولى.

المطلب الثاني : نبذة عن حياة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود.

---

(١) مقدمة معالي الدكتور عبدالمحسن بن عبدالله التركي (وزير الشؤون الإسلامية سابقاً) (ص٥–٦)، لكتاب الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة .

- المبحث الأول : جهود الإمام عبدالعزيز في توضيح العقيدة من خلال بعض رسائله.
- المبحث الثاني: جهود الإمام عبدالعزيز في نشر العقيدة من خلال بعض أعماله.
- الخاتمة .
- الفهارس .

سائلاً المولى ﷻ أن أكون قد وفقت فيما كتبت، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

محمود بن عبدالرحمن قدح

تحريراً في المدينة ١٤/ ٦/ ١٤٢٩هـ

التمهيد : التعريف بالإمام عبدالعزيز وعصره

المطلب الأول : الحالة الدينية والسياسية في نجد قبل قيام الدولة السعودية الأولى .

عاشت نجد مقفرة من المعتقد الصحيح في القرون المتأخرة ، حتى ظهور مجددي الدعوة السلفية الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، والإمام محمد بن سعود .

ومرت قرون عديدة كاد الناس ينسون خلالها الإسلام الصحيح، فعادت الجاهلية بعاداتها ومعتقداتها إلى هذا الجزء من الجزيرة العربية، وانتشر الشرك، وكثر الاعتقاد في الأشجار والأحجار والقبور ، والبناء عليها ، والتبرك بها، والنذر لها ، والاستعاذة من الجن ، والذبح لها [(١)] .

وقد صوّر لنا هذه الحالة الشيخ حسين غنام[(٢)] في تاريخه المشهور، فقال[(٣)] :

((...ولقد انتشر هذا الضلال ، حتى عمَّ ديار المسلمين كافة؛ فقد كان في بلدان نجد من ذلك أمر عظيم ، وهول مقيم؛ كان الناس يقصدون قبر زيد ابن الخطاب في (الجبيلة) ، يدعونه لتفريج الكرب ، وكشف النوب ، وقضاء الحاجات، وكانوا يزعمون أن في (قريوة) في الدرعية قبور بعض الصحابة، فعكفوا على عبادتها، وصار أهلها أعظم في صدورهم من الله

---

(١) ينظر : عنوان المجد (١/ ٦)، لابن بشر .

(٢) حسين بن غنام النجدي الأحسائي، مؤرخ شاعر، له مصنفات، توفي بالدرعية سنة ١٢٢٥هـ . (انظر: الأعلام ٢/ ٢٥١ للزركلي).

(٣) تاريخ نجد (١/ ١١-١٩) .

خوفاً ورهبة، فتقربوا إليهم ، وهم يظنون أنهم أسرع إلى تلبية حوائجهم من الله...، وكانوا يأتون في شعيب (غبيراء) من المنكر ما لا يعهد مثله، يزعمون أن فيه قبر ضرار بن الأزور، وذلك كذب محض ، وبهتان مثّله لهم إبليس ، وصوَّره ، ودلَّس عليهم من غير أن يشعروا .

وكان النساء والرجال يأتون بليدة (الفدا)، حيث يكثر ذكر النخل – المعروف بالفحل–، ويفعلون عنده أقبح الأفعال، ويتبركون به، ويعتقدون فيه؛ فكانت تأتيه المرأة إذا تأخرت عن الزواج، فتضمه بيدها، ترجو أن يفرج عنها كربها، وتقول : يا فحل الفحول! أريد زوجاً قبل الحول !! .

وفي أسفل الدرعية غار كبير ، يزعمون أن الله تعالى خلقه في الجبل لامرأة تسمى بنت الأمير، أراد بعض الفسقة أن يظلمها، فصاحت، ودعت الله، فانفلق لها الغار بإذن العلي الكبير ، فأجارها من ذلك السوء، فكانوا يرسلون إلى ذلك الغار اللحم والخبز، ويبعثون بصنوف الهدايا...وكان عندهم رجل من الأولياء اسمه (تاج) ، سلكوا فيه سبيل الطواغيت، فصرفوا إليه النذور، وتوجهوا إليه بالدعاء، واعتقدوا فيه النفع والضر، وكانوا يأتونه لقضاء شؤونهم أفواجاً...)) .

ويقول ابن بشر [(١)] ما نصه [(٢)] : ((...وكان الشرك إذ ذاك قد فشا في نجد وغيرها، وكثر الاعتقاد في الأشجار، والأحجار، والقبور، والبناء عليها،

---

(١) عثمان بن عبدالله النجدي، مؤرخ نجد وآل سعود، له مؤلفات ، توفي سنة ١٢٩٠هـ. (انظر: الأعلام ٤/ ٢٠٩ للزركلي).

(٢) عنوان المجد (١/ ٦) .

والتبرك بها، والنذر لها، والاستعاذة بالجن والذبح لهم، ووضع الطعام لهم، وجعله لهم في زوايا البيوت؛ لشفاء مرضاهم ونفعهم وضرهم، والحلف بغير الله، وغير ذلك من الشرك الأكبر والأصغر ...)).

ويقول الشيخ عبدالعزيز بن باز –رحمه الله– [(١)] : ((كان أهل نجد قبل دعوة الشيخ على حالة لا يرضاها مؤمن، كان الشرك الأكبر قد انتشر في نجد ، حتى عبدت القباب والأشجار، وعبدت الغيران، وعبد من يدعي الولاية ، وهم من المعتوهين أو المجانين، واشتهر في نجد السحرة والكهنة، وسؤالهم وتصديقهم، وليس هناك مُنْكِرٌ إلا من شاء الله، وغلب على الناس الإقبال على الدنيا وشهواتهم، وقلّ القائم لله ، والناصر لدين الله)) .

وعلى الرغم من ذلك كله ، لم تخل نجد من علماء في الفقه الحنبلي ، حيث أشار ابن بشر إلى كثير منهم [(٢)] .

وأما الحالة السياسية : فإن إقليم نجد لم يحظ باهتمام الدولة العثمانية، نظراً لبعده عن المناطق الاستراتيجية، ومن ثم لم يدخل في قائمة التقسيمات الإدارية التي وضعتها الدولة العثمانية في أوائل القرن الحادي عشر الهجري، وظلت معتمدة حتى القرن الثالث عشر الهجري، وترتب على ذلك أن خلا إقليم نجد من الولاة العثمانيين ، ومن النفوذ العثماني .

---

(١) محاضرة للشيخ عبدالعزيز بن باز، بعنوان (محمد بن عبدالوهاب...دعوته وسيرته)، ص٢٣–٢٤ . الدار السعودية للنشر .

(٢) ينظر : عنوان المجد (١/ ٢٢، ٣١، ٨٦) .

لذا اتسمت الأوضاع السياسية في نجد بالتفكك السياسي، وبالصراع على السلطة بين عدد من الأسر كانت تحكم هذا الإقليم، فكل أمير كان يحكم بلدة معينة مستقلاً بذاته عن غيره، وعلاقته بجيرانه كانت سيئة في أغلب الأحيان، وكانت القوة هي الفيصل فيما يحدث بينهم من نزاع، وكانت تلك الإمارات دائماً في صراع مستمر، وتنافس على السلطة، ومرابطة دائمة، وثأر لا ينقطع .

وكان من أشهر الإمارات الموجودة بنجد والمناطق المحيطة به ، هي :

١- إمارة آل معمر في العيينة .

٢- إمارة آل سعود في الدرعية .

٣- إمارة آل زامل في الخرج .

٤- إمارة دهام بن دواس في الرياض [1] .

---

(١) الإمام محمد بن سعود "دولة الدعوة والدعاة" (ص٢٩-٣٩) ، جامعة الإمام محمد بن سعود .

المطلب الثاني : حياة الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود [١] .

١ - اسمه ونسبه :

هو الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن ربيعة بن مانع بن ربيعة بن مريد ، وينتهي نسبه إلى بنـي حنيفـة ، من بكر بن وائل من بني أسد بن ربيعة .

---

(١) وردت ترجمته في المصادر التالية :

- تاريخ نجد (١/ ٢٢٢)، (٢/ ٧٤) ، لابن غنام (روضة ابن غنام) .
- عنوان المجد في تاريخ نجد (١/ ٩٩-٢٩٧) ، عثمان بن عبدالله بن بشر .
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ١٤٧-١٥٢)، جمع عبدالرحمن بن قاسم .
- تاريخ المملكة العربية السعودية، عبدالله الصالح العثيمين .
- نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود (ص٦٨-٧٠) ، محمد بن أحمد العقيلي .
- محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه (ص٧٤-٩٠) ، مسعود الندوي .
- تاريخ البلاد العربية السعودية (ص٢١٣-٢٧١) ، د. منير العجلاني .
- ملوك آل سعود (ص٧) ، الأمير سعود بن هذلول .
- تاريخ الدولة السعودية (ص٥٥-٧٤) ، أمين سعيد .
- الدرعية (ص١٧٥-١٨٩) ، عبدالله بن محمد بن خميس .
- قلب جزيرة العرب (ص٢٢٦-٣٣٩) ، فؤاد حمزة .
- صقر الجزيرة (ص٥٠-٥٤) ، أحمد بن عبدالغفور عطار .
- الأعلام (٤/ ٢٧) ، خير الدين الزركلي .
- الموسوعة العربية العالمية (١٦/ ١٠٢) .

٢- مولده ونشأته :

ولد بالدرعية عام ١١٣٣هـ، وتعلم القراءة والكتابة مبكراً، وكان له من مجلس والده ، وما يدور في شؤون البلدة وما جاورها ، وأحوال نجد ، ما يعدّ كمدرسة لمن هو في ذكائه ومنشئه [(١)] .

٣- طلبه العلم :

كان للإمام عبدالعزيز اهتمام بعلم الشيخ محمد بن عبدالوهاب، منذ أن كان صغير السن، فلقد كتب للشيخ –وقد كان في العيينة عند ابن معمر– يسأله أن يكتب له تفسير الفاتحة، فكتب الشيخ لأجل ذلك تفسير سورة الفاتحة ، وأرسلها إلى الأمير عبدالعزيز ، وقد ناهز الاحتلام [(٢)] .

((وبعد وصول الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى الدرعية، واتفاقه مع الإمام محمد بن سعود، كان عبدالعزيز من الملازمين لحلقة الشيخ والحضور لتلقي دروسه، فتوسعت معارفه، واستفاد علمياً، مما جعله من نجباء من تلقى عن الشيخ، وقد حاز على ثقة الشيخ وحبه وإعجابه، وكان الشيخ يثني عليه في مجالسه العامة والخاصة، وينوّه بمزاياه، ويشيد بتقواه وشجاعته. ويفيدنا (رينو) وهو أوروبي وصل إلى الدرعية، وقابل عبدالعزيز قال عنه جملة مختصرة ، ولكنها واسعة الدلالة: إنه على حظ كبير من الثقافة والعلم)) [(٣)] .

---

(١) تعليق الشيخ محمد العقيلي ، في تحقيقه لكتاب " نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود " (ص٦٨-٦٩) .

(٢) تاريخ نجد (١/ ٢٢٢) لابن غنام .

(٣) من تعليق الشيخ محمد العقيلي ، في كتاب " نفح العود " (ص٦٩) .

٤ – صفاته :

كان الإمام عبدالعزيز معروفاً بالشجاعة والإقدام، صبوراً على المكاره، كريماً سخياً، عالماً بالحديث والتفسير والتوحيد، يحب العلماء وطلبة العلم وحملة القرآن، ويعظمهم، ويشارك العلماء في البحوث العلمية، ويملي النصائح النافعة المرصعة بآيات القرآن والأحاديث الصحيحة، وكان كثير الخوف من الله والذكر، كثير العبادة والتهجد [(١)] ، وكان لا يخرج من المسجد بعد صلاة الصبح حتى ترتفع الشمس، ويصلي فيه صلاة الضحى .

وكان رحمه الله متواضعاً لا يكترث في لباسه وسلاحه، بحيث أن بنيه وبني بنيه محلاة سيوفهم بالذهب والفضة، ولم يكن في سيفه شيء من ذلك ، إلا قليلاً [(٢)] .

وكان الإمام عبدالعزيز –رحمه الله– عادلاً، حازماً، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، ينفذ الحق ولو في أهل بيته وعشيرته[(٣)] ، ساهراً على مصالح الرعية والبلاد، كثير الرأفة والرحمة بالرعية، والدعاء لهم ، فكان يقول : اللهم ابق فيهم كلمة لا إله إلا الله حتى يستقيموا عليها ، ولا يحيدوا عنها. ويعطي الضعفاء والمساكين حقهم من الصدقات، ويكثر لهم العطاء ولأهل العلم وطلبته ومعلمي القرآن

---

(١) حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ص٣٨٩) ، حسين خلف الشيخ مزعل.

(٢) عنوان المجد (١/ ٢٦٦).

(٣) حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، (ص٣٨٩).

والمؤذنين وأئمة المساجد، وكان يوصي عماله بتقوى الله -ﷻ-، وأخذ الزكاة على الوجه المشروع، ويزجرهم عن الظلم وأخذ كرائم الأموال [(١)] .

وكان -رحمه الله- مع رأفته بالرعية ، شديداً على الجناة وقطاع الطرق والسارقين؛ لذلك كانت جميع البلاد التي تحت يده آمنة مطمئنة في عيشة هنية، بحيث كان المسافر يجوب البلاد شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً ، ومعه الأموال الكثيرة ، لا يخشى أحداً إلا الله [(٢)] .

٥- توليه الإمامة :

بعد وفاة الإمام محمد بن سعود -رحمه الله- سنة ١١٧٩هـ، بويع لابنه عبدالعزيز بن محمد -وكان في السادسة والأربعين من العمر- إماماً، فبايعه الخاص والعام، وتتابع على البيعة الحضر والبدو، والشيخ محمد بن عبدالوهاب هو رأس تلك البيعة، ففتح الله الفتوح على يديه ، وملأ قلوب العِدا هيبة، وسارت بفتوحه الركبان في الأمصار، وملأت هيبته قلوب ملوك الأقطار [(٣)] .

٦- أعماله :

---

(١) عنوان المجد (١/ ٢٦٦، ٢٧٥) .

(٢) المرجع السابق (١/ ٢٦٧، ٢٦٨) .

(٣) المرجع السابق (١/ ٩٩، ١٠٠)، تاريخ الدولة السعودية (١/ ٥٥)، أمين سعيد .

لقد كان الإمام عبدالعزيز الساعد الأيمن لوالده قبل توليه الإمامة، فقد كان -رحمه الله- يتمتع بشخصية قيادية، وحنكة سياسية، وشجاعة حكيمة، لذا اشترك مع أبيه محمد بن سعود في تأسيس الدولة وإدارة الأمور وتولي قيادة الجيش، فكان جُل الغزوات التي تمت في عصر والده بقيادته، وجل المهمات أنيط حملها به [(١)] .

وبعد توليه الإمامة، سار على نهج والده في مناصرة الدعوة السلفية، ونشرها، والجهاد في سبيلها، فقد حكم الإمام عبدالعزيز من سنة ١١٧٩هـ إلى سنة ١٢١٨هـ أي مدة تسعة وثلاثين عاماً، ومضى أكثر عهده تحت إشراف مباشر من شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبدالوهاب نفسه [(٢)] .

ويعتبر الإمام عبدالعزيز أول من حكم نجداً من أقصاها إلى أقصاها، واتسع ملكه من شواطئ الفرات ووادي السرحان إلى رأس الخيمة وعمان، ومن الخليج إلى أطراف الحجاز وعسير [(٣)] .

ويعد الإمام عبدالعزيز الباني الثاني للدولة السعودية الأولى لما أنجزه من أعمال كبيرة في سبيل نشر الدعوة السلفية الإصلاحية، وتطبيق مبادئها من جهة، وفي سبيل بناء الدولة من جهة ثانية، فكانت الأقطار والرعية مطمئنة في عيشة هنيئة، وتأمنت السبل والطرق، وأبطل الأموال التي تؤخذ من

---

(١) الدرعية (ص١٧٥) ، عبدالله بن محمد بن خميس .

(٢) محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه (ص٩٠) ، مسعود الندوي.

(٣) قلب جزيرة العرب (ص٣٣٩) ، فؤاد حمزة .

الحجاج وغيرهم وكذلك العطايا التي تؤخذ على المجتازين، فارتقت البلاد تجارياً واقتصادياً وعلمياً في أيامه ، مما مهد السبيل لمن بعده من الحكام(١) .

٦- وفاته :

توفي -رحمه الله- يوم الاثنين الثاني والعشرين من شهر رجب سنة ١٢١٨هـ، إثر طعنة وهو ساجد أثناء صلاة العصر في مسجد الطريف بالدرعية، فقد طعنه رجل رافضي من أهل العمارة في العراق، كان قد انتحل زي درويش (٢) ، انتقاماً لما قامت به قوات الإمام بقيادة ابنه سعود من هدم للمزارات والقباب والأضرحة في المناطق السنية والشيعية، فمات الإمام من يومه، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته .

وكان عمره يوم أن توفي خمساً وثمانين سنة، وكان له ثلاثة أبناء ، هم : الإمام سعود، وعبدالله، وعمر(٣) .

---

(١) انظر : عنوان المجد (١/ ٢٦٩) ، الدرعية (ص١٨٨) .

(٢) الدرويش: الراهب والمتعبد والزاهد، واللفظة فارسية معناها: فقير، جمعه: دراويش. انظر: المنجد (ص٢١٤) مادة (دروش)، المعجم الوسيط (ص٢٨٠).

(٣) عنوان المجد (١/ ٢٦٤، ٢٦٥) ، حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ص٣٨٨) ، تاريخ الدولة السعودية (١/ ٧٣).

المبحث الأول:
جهود الإمام عبدالعزيز بن محمّد بن سعود في توضيح العقيدة من خلال بعض رسائله

لقد اجتمع في الإمام عبدالعزيز مؤهلات الإمارة وملكاتها ومواهبها ، مع طلبه للعلم ، ورسوخه فيه ، وسلامة العقيدة ، منذ نعومة أظفاره، فهو ليس أميراً يناصر الحق بقوة السلطان والسنان فحسب، بل إنَّه كذلك ينصر الحق بقوة الحجة والبرهان .

فلقد نشأ وتتلمذ منذ صغره في مدرسة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، فحاز على ثقة الشيخ وحبه وإعجابه، وكان الشيخ يثني عليه في مجالسه العامة والخاصة، وينوّه بمزاياه ويشيد بتقواه وشجاعته (١) .

((فكان عالماً بالحديث والتفسير والتوحيد، وقد كان يشارك العلماء في البحوث العلمية، ويملي النصائح النافعة المرصعة بآيات القرآن والأحاديث النبوية الصحيحة، كما كان كثير الخوف من الله ، كثير العبادة والتهجد والطاعة له)) (٢) .

لذا فقد امتازت خطابات الإمام عبدالعزيز ورسائله ببيان حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، والرد على التهم الباطلة عليها، وبالدعوة إلى التوحيد ، والتحذير من الشرك والبدع، والرد على شبه المخالفين المبتدعين،

(١) تعليق الشيخ محمد العقيلي على كتاب نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود (ص٦٩) ، للعلامة عبدالرحمن البهكلي.
(٢) حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ص٣٨٩) ، للشيخ حسين خلف الشيخ خزعل .

كما تميزت رسائله بكثرة الاستدلال بالنصوص الشرعية ، من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وبساطة الأسلوب ووضوحه وقوته .

وقد اطلعت على بعض رسائل الإمام عبدالعزيز –رحمه الله –، وهي كالتالي:

١- رسالته إلى أهل بلدان العجم والروم .

٢- رسالته إلى أهل المخلاف السليماني (جازان).

٣- رسالته إلى أحمد بن علي القاسمي .

٤- رسالته إلى ياقوت الصغاني .

٥- رسالته إلى السيد علي .

٦- رسالته إلى العلماء والقضاة في الحرمين والشام ومصر والعراق ، وسائر علماء المغرب والمشرق .

٧- رسالته إلى محمد بن أحمد الحفظي [(١)] .

٨- رسالة أخرى إلى محمد بن أحمد الحفظي .

٩- رسالة في ا لرد على سؤال [(٢)] .

وسأورد من هذه الرسائل نماذج من أقواله ، التي تدل على جهوده في نشر العقيدة وتوضيحها والدفاع عنها، وذلك في المطالب التالية :

---

(١) وهذه الرسائل جمعت في ملحق الجزء الأول من تاريخ البلاد العربية السعودية ١/ ٢١٣-٢٦٠، د. منير العجلاني، علماً بأن الرسالة السادسة قد طبعت مستقلة عدة مرات، وحققها مؤخراً الأستاذ عبدالله بن زيد آل مسلم ونشرها بعنوان (الرسالة الدينية في معنى الإلهية) .

(٢) وردت الرسالتان في الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/ ١٦٦-١٧٠، جمع الشيخ سليمان بن سحمان.

المطلب الأول : بيانه الحكمةَ من خلق الإنس والجن.

قال الإمام عبدالعزيز – رحمه الله - : ((فإن الله ﷻ شأنه، وتعالى سلطانه، لم يخلق الخلق عبثاً، ولا تركهم سدى، وإنما خلقهم لعبادته، فأمرهم بطاعته، وحذرهم مخالفته، وأخبرهم تعالى أن الجزاء واقع لا محالة، إما في ناره بعدله ، أو في جنته بفضله ورحمته، قد أخبر ﷻ بذلك في كل كتاب أنزله، وعلى لسان كل رسول أرسله، كما نطقت بذلك الآيات القرآنية، وأخبرتنا به الأحاديث النبوية، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[الذاريات/ ٥٦] وقال : ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[النساء / ٣٥] وقال سبحانه ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾[الإسراء / ٢٣] .

فالعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال مختصة بجلالته وعظمته ، فهي الغاية المحبوبة له -تعالى شأنه- والمرضية له، وبها أرسل جميع الرسل، كما قال نوح لقومه : ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [سورة الأعراف/ ٥٩] ، وكذلك قال هود وصالح وشعيب ، وغيرهم من الرسل، كلٌّ قال لقومه: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[هود/ ٥٠، ٦٠، ٨٤]، وذلك أن الإله يطلق على كل معبود بحق أو بباطل، والإله الحق هو : (الله)، قال تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[محمد/ ١٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل/ ٣٥] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَآ

أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾[سورة الأنبياء : ٢٥] [(١)]».

المطلب الثاني : حرصه على بيان معنى ((لا إله إلا الله)) .

لقد كان الإمام عبدالعزيز حريصاً كل الحرص على بيان معنى (لا إله إلا الله) ، وتوضيح معناها الصحيح، مكرراً ومؤكداً ذلك في جميع رسائله، فقال رحمه الله : ((فنحن لما علمنا وفهمنا من كلام الله وسنة رسوله، وكلام الأئمة الأعلام رضي الله عنهم كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم من أئمة السلف أنّ لـ(لا إله إلا الله) معنى يخصها، وهي ترك كل معبود مع الله، وإخلاص الإلهية له تعالى وحده، وأن العبادة بأفعالهم مما أمرهم به في كتابه وعلى لسان رسوله، إذا جعلت لغيره تعالى، صار ذلك الغير إلها مع الله ، وإن لم يعتقد الفاعل ذلك. فالمشرك مشرك شاء أم أبى[(٢)].

وقال أيضاً : فأول ما دعا إليه الرسول ﷺ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ومعنى لا إله إلا الله نفي الإلهية عما سوى الحق جل جلاله، وإثباتها له وحده لا شريك له، والإلهية فعل العبد [(٣)] .

---

(١) رسالته إلى العلماء والقضاة في المشرق والمغرب (ص٢٣٢) ، د/ منير العجلوني، وكرره في رسالته إلى أهل المخلاف السليماني (١/ ٢٨١).
(٢) رسالته إلى العلماء في المشرق والمغرب ١/ ٢٣٣.
(٣) رسالته إلى السيد علي ١/ ٢٢٩.

وقال : وهو معنى لا إله إلا الله، فإن الإله هو المعبود بحق أو باطل، فمن عبَد الله وحده لا شريك له، وأخلص الدعوة كلها لله، وأخلص التوكل على الله، وأخلص الذبح لله، وأخلص النذر لله، فقد وحّد الله بالعبادة ، وجعل الله إلهه دون ما سواه [١] .

المطلب الثالث : بيانه أنواع التوحيد

قال الإمام عبدالعزيز مبيناً توحيد الربوبية : ((الإيمان بأفعال الله تعالى وتقدس، كخلقه السموات والأرض، والليل والنهار، ورزق العباد وتدبير أمورهم؛ لأن هذا يسمى (توحيد الربوبية)، الذي أقرّ به الكفار الأولون في سورة يونس[٢] والزمر[٣] والزخرف[٤] وغيرها)) [٥].

وحرص الإمام عبدالعزيز في جميع رسائله على بيان توحيد الألوهية ، ويسميه أيضا (توحيد الله بالعبادة) ؛ لأنه التوحيد الذي وقع النزاع فيه بين الأنبياء ومخالفيهم ، فقال -رحمه الله- :

((وإخلاص الدين هو صرف جميع أنواع العبادة لله تعالى وحده لا شريك له، وذلك بأن لا يدعى إلا الله، ولا يستغاث إلا بالله، ولا يذبح إلا

---

(١) رسالته إلى الفرس والترك ١/ ٢١٣.

(٢) قال الله تعالى : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [سورة يونس : ٣١] .

(٣) قال تعالى : {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ} [سورة الزمر: ٣٨]

(٤) قال تعالى : {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ} [سورة الزخرف: ٩].

(٥) رسالته إلى المشرق والمغرب ١/ ٢٣٣، وذكره في رسالته إلى السيد علي ١/ ٢٢٩.

لله، ولا يخشى ولا يرجى سواه، ولا يرهب ولا يرغب إلا فيما لديه، ولا يتوكل في جميع الأمور إلا عليه، وأن كل ما هنالك لله تعالى، لا يصلح منه شيء لملك مقرب ولا نبي مرسل ولا غيرهما . وهذا هو بعينه توحيد الألوهية الذي أسس الإسلام عليه، وانفرد به المسلم عن الكافر، وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله)) (١) .

وذكر بعض الأدلة على توحيد الألوهية ، وأنه أصل دين رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام ، فقال : ((فإن أصل دين رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام هو توحيد الله بجميع أنواع العبادة، لا يدعى إلا هو، ولا ينذر إلا له، ولا يذبح إلا له، ولا يخاف خوف السر إلا منه، ولا يتوكل إلا عليه، كما دل على ذلك الكتاب العزيز، فقال تعالى : ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾ [الجن / ١٨] ، وقال تعالى : ﴿ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ ﴾ [الرعد / ١٤] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾[النحل/ ٣٥]، وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء : ٢٥] . فهذا التوحيد هو أصل دين أهل البيت عليهم السلام، من لم يأتِ به فالنبي ﷺ

---

(١) رسالته إلى أهل المخلاف السليماني (١/ ٢١٨-٢١٩)، ورسالته إلى الفرس والترك (١/ ٢١٣)، رسالته إلى القاسمي (١/ ٢٢٢)، ورسالته إلى ياقوت (١/ ٢٢٥)، ورسالته إلى الحفظي (الدرر السنية ٢/ ١٦٧)، وجوابه لسؤال (الدرر السنية ٢/ ١٧٣)

وأهل بيته براء منه، قال الله تعالى : ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ ﴾[التوبة / ٣] [١] .

كما بيّن العلاقة بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية فقال : ((ولا يغني أحد التوحيدين عن الآخر، بل صحة أحدهما مرتبطة بوجود الآخر)) [٢] .

وأشار إلى توحيد الأسماء والصفات ، فقال : ((وكسؤال الله بأسمائه الحسنى ، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾ [سورة الأعراف : ١٨٠] ، وكالأدعية المذكورة في السنن : ((**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت الحنان المنان ، بديع السماوات والأرض ، ياذا الجلال والإكرام**[٣] ، وأمثال ذلك)) [٤] .

المطلب الرابع : تحذيره من الشرك .

قال الإمام عبدالعزيز -رحمه الله- محذراً من الشرك ودواعيه : ((ومن أشرك مع الله إلها غيره في الدعوة أو في الاستغاثة أو في التوكل أو في الذبح أو في النذر ، فقد اتخذ مع الله إلهاً آخر، وعبد معه غيره، وهو أعظم الذنوب إثما عند الله، كما ثبت في الصحيحين عن عبدالله بن مسعود ، قلت: يا رسول

---

(١) رسالته إلى المشرق والمغرب (١/ ٢٣٣) .

(٢) رسالته إلى القاسمي (١/ ٢٢٢) .

(٣) أخرجه أحمد ح ١٣٦٠٥ ، والبخاري في الأدب المفرد ح ٧٠٥، وأبوداود ح ١٤٩٢، وابن ماجه ح ٣٨٥٨، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٢٠٥٩.

(٤) رسالته إلى المشرق والمغرب ١/ ٢٤٨.

الله! أي الذنب أعظم ؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك ، الحديث[١] . وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء/ ٤٨] ، وقال : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[المائدة/ ٧٢] . وهذا هو سبب عداوة الناس لنا وبغضهم إيانا ، لـمّا أخلصنا العبادة لله وحده ، ونهينا عن دعوة غير الله ولوازمها ، مع البدع المضللة والمنكرات المغوية))[٢] .

وقال : ((واتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد هو الموقع لكثير من الأمم إما في الشرك الأكبر، أو فيما دونه من الشرك، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل القوم الصالحين؛ كودّ وسواع ويغوث، وتماثيل طلاسم الكواكب، ونحو ذلك؛ يزعمون أنها تخاطبهم وتشفع لهم . والشرك بقبر النبي ﷺ أو الرجل المعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر، ولهذا تجد أهل الشرك كثيرا ما يتضرعون ويخشعون عندها ما لا يخشعون لله في الصلاة، ويعبدون أصحابها بدعائهم ورجائهم ، والاستغاثة بهم، وسؤال النصر على الأعداء ، وتكثير الرزق، وإيجاده، والعافية، وقضاء الديون، ويبذلون لهم النذور لجلب ما أمّلوه، أو دفع ما خافوه، مع اتخاذهم أعياداً ، والطواف بقبورهم، وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود على تربتها، وغير ذلك من أنواع العبادات، والطلبات التي كان عليها عباد الأوثان يسألون أوثانهم ليشفعوا لهم عند مليكهم. فهؤلاء يسأل كل منهم حاجته

(١) أخرجه البخاري ح ٤٧٦١ ومسلم برقم ح ٨٦.
(٢) رسالته إلى الفرس والترك (١/ ٢١٥) .

وتفريج كربته، ويهتفون عند الشدائد باسمه، كما يهتف المضطر بالفرد الصمد، ويعتقدون أن زيارته موجبة للغفران، والنجاة من النيران، وأنها تجب ما قبلها من الآثام، بل قد وجد هذا الاعتقاد في الأشجار والغيران، ويهتفون باسمها واسم من ينسبون إليه من المعتقدين بما لا يقدر عليه إلا رب ا لعالمين، وأكثر ما يكون ذلك عند الشدائد)) [١] .

وأوضح أقسام الشرك ، فقال :

((والشرك: شركان ، أكبر: وله أنواع، ومنه الذي تقدم بيانه آنفاً، وشرك أصغر: كالرياء والسمعة، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال : ((**قال الله تعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري، تركته وشركه**)) [٢] ، ومنه الحلف بغير الله لما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ : ((**من حلف بغير الله فقد أشرك**))[٣] أخرجه الإمام أحمد وأبوداود والترمذي والحاكم وصححه ابن حبان. وقال ﷺ : ((**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**)) أخرجه الشيخان [٤] ، وروى الإمام أحمد وأبوداود من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ أنه قال له رجل: ما شاء الله وشئت ، قال : ((**أجعلتني لله نداً ؟ قل ما شاء الله**

---

(١) رسالته إلى الشرق والغرب (١/ ٢٤١-٢٤٢) .

(٢) أخرجه الإمام مسلم ح ٢٩٨٥.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (ح٦٢١٥)، وأبوداود ح ٣٢٥١، والترمذي ح ١٥٣٥، والحاكم (١/ ١٧٢) وابن حبان ح ١١٧٧، وصححه الألباني في إرواء الغليل ٨/ ١٨٩ .

(٤) أخرجه البخاري ح ٦٦٤٦، ومسلم ح ١٦٤٦ .

وحده)) [١] ، والشرك الأصغر لا يخرج عن الملة وتجب التوبة منه ومن كل ذنب)) [٢] .

وبيّن حكم الشرك الأكبر، فقال : ((إنه الشرك الأكبر الذي نهى الله عنه وتهدد بالوعيد الشديد عليه، وأخبر في كتابه أنه لا يغفره إلا بالتوبة منه، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء/ ٤٨] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴾[المائدة/ ٧٢] ، وقال تعالى : ﴿ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴾ [فاطر/ ١٤] . والآيات في أن دعوة غير الله تعالى الشرك الأكبر كثيرة واضحة شهيرة)) [٣] .

المطلب الخامس : بيانه حقوق النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم وأوليائه .

قال الإمام عبدالعزيز : ((وحق أنبيائه عليهم السلام: الإيمان بهم وبما جاؤوا به، وموالاتهم وتوقيرهم، واتباع النور الذي أنزل معهم، ومحبتهم على النفس والمال والبنين والناس أجمعين، وعلامة الصدق في ذلك اتباع هديهم ، والإيمان بما جاؤوا به من عند ربهم . قال تعالى : ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٧٨٣)، وأحمد في المسند ح ١٨٣٩، وحسنه الألباني في السلسلة الضعيفة (رقم ١٣٩) .

(٢) رسالته إلى المشرق وا لمغرب (١/ ٢٤٧) .

(٣) رسالته إلى أهل المخلاف السليماني (١/ ٢١٩)، (١/ ٢١٥).

تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران/ ٣١] . والإيمان بمعجزاتهم، وأنهم بلغوا رسالات ربهم، وأدوا الأمانة، ونصحوا الأمة، وأن محمداً ﷺ خاتمهم وأفضلهم، وإثبات شفاعتهم التي أثبتها الله في كتابه، وهي من بعد إذنه لمن رضي عنه من أهل التوحيد. وأما المقام المحمود الذي ذكره الله في كتابه وعظّم شأنه فهو لنبينا محمد ﷺ)) (١) .

وقال : ((وحق الرسول ﷺ التصديق والطاعة في جميع ما يأمر به وجميع ما ينهى عنه، ويكفيك ما ذكر الله في آخر سورة الكهف : ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾ [الكهف/ ١١٠])) (٢) .

وقال أيضاً : ((فنقول بل الله سبحانه افترض على الناس محبة النبي ﷺ وتوقيره،و أن يكون أحب إليهم من أنفسهم وأولادهم والناس أجمعين، ولكن لم يأمرنا بالغلو فيه، وإطرائه ، بل هو ﷺ نهى عن ذلك فيما ثبت عنه في الصحيح ، أنه قال : ((**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله**(٣))))) (٤) .

وقال مثبتاً الشفاعة العظمى للنبي ﷺ وأنواع الشفاعة الأخرى ، بشروطها: ((وحقيقة قولنا : إن الشفاعة – وإن كانت حقاً في الآخرة – فلها أنواع مذكورة في محلها، ووجب على كل مسلم الإيمان بشفاعته ﷺ ، بل وغيره

---

(١) رسالته إلى المشرق والمغرب (١/ ٢٣٤) .
(٢) رسالته إلى ياقوت (١/ ٢٢٦) .
(٣) أخرجه البخاري ح ٣٤٤٥.
(٤) رسالته إلى القاسمي (١/ ٢٢٣) .

من الشفعاء، فهي ثابتة بالوصف لا بالشخص، ما عدا الشفاعة العظمى فإنها لأهل الموقف عامة ، وليس منها ما يقصدون ؛ فالوصف من مات لا يشرك بالله شيئاً ، كما في البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : ((**لكل نبي دعوة مستجابة، وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي، وهي نائلة منكم إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً** [١])))) [٢] .

وبيّن حقوق صحابة النبي ﷺ ، فقال : ((ومن مذهب أهل البيت محبة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان. وأفضل السابقين الأولين الخلفاء الراشدون، كما ثبت ذلك عن علي من رواية ابنه محمد بن الحنفية ، وغيره من الصحابة أنه قال : خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر . والأدلة الدالة على فضيلة الخلفاء الراشدين أكثر من أن تحصر)) [٣] .

وقال : ومن المحرمات التي نهى الله عنها في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ سب أفاضل الصحابة كأبي بكر و عمر ، وغيرهما من الصحابة [٤] .

وبيّن الإمام عبدالعزيز صفات أولياء الله والإيمان بكراماتهم ، فقال : ((وكذلك حق أوليائه : محبتهم، والترضي عنهم، والإيمان بكراماتهم ، لا

---

(١) أخرجه البخاري ح ٧٤٧٤، ومسلم ح ٣٣٨.

(٢) رسالته إلى المشرق والمغرب (١/ ٢٣٥، ٢٣٦ ، ٣٣٧، ٢٣٨) وفي رسالته إلى السيد علي (١/ ٢٣١) .

(٣) رسالته إلى القاسمي (١/ ٢٢٢) .

(٤) المرجع السابق (١/ ٢٢٣) .

دعاؤهم ليجلبوا لمن دعاهم خيرا لا يقدر على جلبه إلا الله تعالى ، أو ليدفعوا عنهم سوءاً لا يقدر على دفعه إلا هو ﷻ ؛ لأن ذلك عبادة مختصة بجلاله تعالى وتقدس. هذا إذا تحققت الولاية أو رجيت لشخص معين كظهور اتباع سنة، وعمل بتقوى في جميع أحواله، وإلا فقد صار الولي في هذا الزمان من أطال سبحته، ووسّع كمه، وأسبل إزاره، ومد يده للتقبيل، ولبس شكلاً مخصوصاً، وجمع الطبول والبيارق، وأكل أموال عباد الله ظلماً وادعاءً، ورغب عن سنة المصطفى وأحكام شرعه)) [١] .

المطلب السادس : دعوته إلى الالتزام بالكتاب والسنة وتطبيق شرائع الإسلام .

قال الإمام عبدالعزيز – رحمه الله - : ((ونأمر رعايانا باتباع كتاب الله وسنة رسوله، وإقام الصلاة في أوقاتها والمحافظة عليها، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً ، ونأمر بجميع ما أمر الله به ورسوله من العدل، وإنصاف الضعيف من القوي، ووفاء المكاييل والموازين، وإقامة حدود الله على الشريف والوضيع، وننهى عن جميع ما نهى عنه الله ورسوله من البدع والمنكرات، مثل : الزنا والسرقة وأكل أموال الناس بالباطل، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وظلم الناس بعضهم بعضاً، ونقاتل لقبول فرائض الله التي أجمعت عليها الأمة، فمن فعل ما فرض الله عليه ، فهو أخونا المسلم وإن لم يعرفنا ونعرفه)) [٢] .

---

(١) رسالته إلى المشرق والمغرب (١/ ٢٣٤، ٢٣٥).

(٢) رسالته إلى الفرس والترك (١/ ٢١٦) .

وقال : ((فنحن إنما ندعو إلى العمل بالقرآن العظيم، والذكر الحكيم، الذي فيه الكفاية لمن اعتبر و تدبر، وبعين بصيرته نظر وفكر، فإنه حجة الله وعهده، ووعده ووعيده، وأمانه وقدره، ومن اتبعه عاملاً بما فيه جدَّ جدُّه، وعلا مجده، وأنار رشده، وأبان سعده))[١] .

المطلب السابع : تجليته بعض المفاهيم الخاطئة وردُّه على المخالفين.

لقد ناقش الإمام عبدالعزيز في رسائله مسائل عقدية، أوضح فيها الحق بالأدلة والبراهين الساطعة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ورد على المخالفين المبتدعين الذين استدلوا بشبه سموها أدلة، ليروجوا بضاعتهم ويجادلوا بالباطل، ومن تلك المسائل العقدية ما يأتي :

- الشفاعة . بيّن الإمام عبدالعزيز حقيقة الشفاعة، فقال : ((فنحن نقول: ليس للخلق من دون الله من ولي ولا نصير. وسائر الشفعاء محمد ﷺ سيدهم وأفضلهم فمن دونه، لا يشفعون لأحد إلا بإذنه ﴿ **مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ** ﴾[البقرة/ ٢٥٥] ، ﴿ **أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ** ﴾ [الكهف/ ١٠٢]، ﴿ **وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ** ﴾ [الأنبياء / ٢٨] . وإذا كان كذلك، فحقيقة الشفاعة كلها لله، فلا تسأل في هذه الدار إلا منه ﷻ ، وأن يشفع فيه[٢] نبيه ﷺ ، فجميع الأنبياء والأولياء لا يجعلون وسائل ولا وسائط بين الله وبين الخلق، في جلب الخير أو دفع الشر، ولا

---

(١) رسالته إلى المشرق والمغرب (١/ ٢٣٥) .

(٢) أي في السائل.

يجعل لهم من حقه شيء؛ لأن حقه تعالى وتقدس غير جنس حقهم، فإن حقه عبادته بأنواعها ، بما شرع في كتابه، وعلى لسان رسوله))[١] .

- التوسل. أوضح رحمه الله أنواع التوسل الصحيح، فقال: ((فلم يبقَ إلا التوسل بالأعمال الصالحة، كتوسل المؤمنين بإيمانهم في قوله : ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ ﴾[آل عمران/ ١٩٣] ، وكتوسل أصحاب الصخرة المنطبقة عليهم ، وهم ثلاثة نفر توسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة – الحديث في صحيح البخاري[٢] – ، لأنه وعد أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ، ويزيدهم من فضله، وكسؤال الله بأسمائه الحسنى، قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف/ ١٨٠] ، وكالأدعية المأثورة في السنن : ((**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت الحنان المنان ، بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام**. وأمثال ذلك وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ [المائدة / ٣٥))[٣] .

وردَّ على المخالفين استدلالاتهم الباطلة في التوسل بالمخلوق ، فقال: ((وليست الوسيلة بمخلوق يبتغى ليحصل واسطة بين الله وبين خلقه، يشفع لهم ويتقربون إليه؛ لأن هذا عين ما نهى الله عنه في الآيات، وأنزل

(١) رسالته إلى المشرق والمغرب (١/ ٢٣٤، ٢٣٧)، وناقش هذه المسألة في رسالته إلى السيد علي (١/ ٢٣١) .

(٢) أخرجه البخاري ح ٣٤٦٥، ومسلم ح ٢٧٤٣.

(٣) رسالته إلى المشرق والمغرب (١/ ٢٤٧-٢٤٨) .

بقبحه الكتب، وأرسل الرسل، وهو ما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ ﴾ [الأعراف / ١٣٨]؛ لأن قصدهم أن يتقربوا به)) [١].

- زيارة قبر النبي ﷺ . أرشد الإمام عبدالعزيز إلى الزيارة الشرعية لقبر النبي ﷺ ، ورد على المخالفين في ذلك ، فقال : ((وإذا جاء السفر المشروع لقصد مسجد النبي ﷺ للصلاة فيه ، دخلت زيارة القبر تبعاً؛ لأنها غير مقصودة استقلالاً، وحينئذ فالزيارة مشروعة مجمع على استحبابها، بشرط عدم فعل محذور عند القبر، كما تقدم عن مالك، وما حكاه الغزالي رحمه الله ومن وافقه من متأخري الفقهاء من زيارة القبر، فمرادهم السفر المجرد عن فعل العبادة من الصلاة والدعاء عنده، بل يصلي ويسلم عليه، ويسأل له الوسيلة، ثم يسلم على أبي بكر، ثم عمر، ولا يقصد الصلاة عند القبر للعنه ﷺ المتخذين قبور أنبيائهم مساجد، واللعنة في كلام الله وكلام رسوله لا تجامع إلا الحرمة والإثم ، لا مجرد الكراهة، قوله : ((**اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد . اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**))[٢]، وقال ابن حجر[٣] رحمه الله في "الإمداد"

(١) وانظر ردوده على شبهات المتوسلين بالنبي ﷺ ، في رسالته إلى المشرق والمغرب (١/ ٢٤٩-٢٥٥).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ (ح٨٥)، وابن عبدالبر في التمهيد (٥/ ٤٣)، وصححه من حديث أبي سعيد الخدري.

(٣) هو ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي الهيتمي الأنصاري، أبوالعباس، فقيه مصري، له تصانيف كثيرة. توفي بمكة المكرمة، سنة ٩٧٤هـ. الأعلام (١/ ٢٣٤) للزركلي.

الموسوم بشرح الإرشاد: ينوي الزائر المتقرب السفر إلى مسجده ﷺ ، وشدّ الرحل إليه ، لتكون زيارة القبر تابعة. انتهى)) (١) .

المطلب الثامن : بيانه مسألة التكفير وشروطه .

قال الإمام عبد العزيز : ((والتوحيد ليس هو محل الاجتهاد ، فلا تقليد فيه ولا عناد ، ولا نكفر إلا من أنكر أمرنا هذا ونهينا ، فلم يحكم بما أ نزل الله في التوحيد ، بل يحكم بضده الذي هو الشرك الأكبر، الذي لا يغفر ، كما سنذكر أنواعه ، فجعله ديناً وسماه الوسيلة عناداً وبغياً ، ووالى أهله وظاهرهم علينا ، ولم يقوّم أركان الدين ممتنعا أن دعوناه ، وأمرهم أن يبدأوا بقتالنا ليرجعونا عن دين الله -الذي وصفنا-، إلى ما هم فيه وكانوا عليه من الشرك بالله ، والعمل بسائر ما لا يرضي رب العباد ﴿ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة/ ٣٢]. وما حجتهم علينا إلا أن المدعو يكون شفيعا ووسيلة . ونحن نقول : هؤلاء الداعون الهاتفون بذكره ، المعتقدون في الأحياء الغائبين المدعوين والأموات، يطلبون كشف شدتهم ، وتفريج كربتهم ، وإبراء مريضهم ، ومعافاة سقيمهم ، وتكثير رزقهم ، وإيجاده من العدم ، ونصرهم على عدوهم براً وبحراً ، لم يكفهم الاقتصار على مسألة الشفاعة والوسيلة ، وهما من أعظم المخاصمة الجارية علينا ممن قاتلنا وبدّعنا، وجعل اليهود والنصارى أخف شرا منا ومن أتباعنا ...)) (٢) .

---

(١) رسالته إلى المشرق والمغرب (١/ ٢٤١) .

(٢) رسالته إلى المشرق والمغرب (١/ ٢٣٥)

وقال موضحاً : ((ونحن لا نكفر إلا من عرف التوحيد وسبّه وسماه دين الخوارج [١] ، وعرف الشرك ، وأحبه وأحب أهله ، ودعا إليه وحض الناس عليه ، بعدما قامت عليه الحجة ، وإن لم يفعل الشرك ، أو فعل الشرك وسماه التوسل بالصالحين، بعدما عرف أن الله حرمه ، أوكره بعض ما أنزل الله ، كما قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ [محمد/ ٩]، أو استهزأوا بالدين أو القرآن ، كما قال الله تعالى : ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ [التوبة / ٦٥-٦٦] . قال العلماء في هذه الآية : الاستهزاء بالله كفر مستقل بالإجماع ، والاستهزاء بالرسول كفر مستقل بالإجماع .

وهذه الأنواع التي ذكرنا أننا نكفر من فعلها ، قد أجمع العلماء كلهم من جميع أهل المذاهب على كفر من فعلها ، وهذه كتب أهل العلم من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم موجودة ، ولله الحمد والمنة، وصلى الله على نبينا محمد وصحبه وسلم)).[٢]

(١) الخوراج : هم الذين خرجوا على الإمام علي ﷺ بعد قضية التحكيم، وهم فرق شتى، يجمعهم القول بتكفير علي وعثمان والحكمين وأصحاب الجمل، ومرتكب الكبيرة، والخروج على الإئمة إذا ظلموا. انظر : مقالات الإسلاميين (١/ ١٦٧) لأبي الحسن الأشعري، الفرق بين الفرق (ص٤٩) للبغدادي، والملل والنحل (٢/ ١١٤) للشهرستاني.

(٢) رسالته إلى الفرس والترك (١/ ٢١٦-٢١٧).

المطلب التاسع : إيضاحه مفهوم الجهاد وشروطه .

قال الإمام عبد العزيز – رحمه الله – : ((وأما الجيوش والأجناد الذين نجهزهم من الوادي وأتباعهم، فنأمرهم بقتال كل من بلغته الدعوة، وأبى عن الدخول في الإسلام، والانقياد لتوحيد الله وأوامره وفرائضه ، واستمسك بما هو عليه من الشرك بالله وترك الفرائض والأحكام الجاهلية المخالفة لحكم الله ورسوله ، ومثل هؤلاء لا يحتاجون إلى الدعوة إذا كانت الدعوة قد بلغتهم قبل ذلك بسنين ، وأبوا وأعرضوا عن دين الإسلام وإخلاص العبادة لله ، وقد أغار رسول الله ﷺ على بني المصطلق وهم غارون وأنعامهم ترعى، فسبى رسول الله ﷺ النساء والذرية والنعم والشاء، مع أن الدعوة قبل القتال مستحبة، ولو كانت الدعوة قد بلغتهم، لأن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب حين بعثه لقتال أهل خيبر : **((فادعهم إلى الإسلام ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فو الله لئن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم** [1])) .

وأجاب بعضهم : شرع الله الجهاد ، وأمر بالقتال ، وبين لنا الحكمة في ذلك ، وموجبه وما يحصل به الكف ، قال سبحانه : ﴿ **وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ** ﴾ [البقرة / ١٩٣] . قال المفسرون : الفتنة الشرك، والدين اسم عام لكل ما بعث الله به محمدا ﷺ . وقال ﷺ ((**بعثت**

---

(١) أخرجه الترمذي (١٦٨١)، وابن ماجه (٢٨١٨) ، وقال الترمذي : حديث حسن.

بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله ولا يشرك به شيء)) [١] . وقال **((أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها))** [٢] . وقد عمل بهذا أبو بكر، ووافقه الصحابة ﷺ في قتال مانعي الزكاة ، فدل الحديث وعمل الصحابة على أن من ترك شيئا من شرائع الدين الظاهرة، وكانوا طائفة مجتمعة على ذلك، أنهم يقاتلون ، قال شيخ الإسلام رحمه الله : كل طائفة ممتنعة عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المعلومة فإنه يجب قتالها ، فلو قالوا نشهد ولا نصلي، قوتلوا حتى يصلوا، ولو قالوا نصلي ولا نزكي، قوتلوا حتى يزكوا ، ولو قالوا نزكي ولا نصوم ولا نحج البيت، قوتلوا حتى يصوموا ويحجوا البيت ، فلو قالوا نفعل هذا كله، لكن لا ندع الربا وشرب الخمر ولا الفواحش، ولا نجاهد في سبيل الله، ولا نضرب الجزيه على اليهود والنصارى، ونحو ذلك، قوتلوا حتى يفعلوا ذلك، كما قال الله تعالى : ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾[البقرة / ١٩٣] انتهى .

فاعلم أن المقاتلين أنواع؛ منهم من يقاتل على الدخول في الإسلام، وهو الإقرار لله بالوحدانية والاعتراف له بذلك، والعمل به، والشهادة لمحمد ﷺ بالرسالة، فهذا إذا التزم بذلك التزامًا ظاهرًا، كف عن قتاله على ذلك،

---

(١) أخرجه أحمد (برقم ٥٢٣٣) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ح ٢٨٣١.

(٢) أخرجه البخاري ح ٣٤ .

ووكلت سريرته إلى الله، إلا إن قام به ناقض ينقض ما التزمه، وأظهر الناقض، وترك شريعة من شرائعه كالصلاة والزكاة وغيرهما من الشرائع ، فيجب على ولي الأمر أن يقاتل هذا، وأن يبعث عماله على هذا المنوال. وما كان من نقص، فهو نقص في الراعي والرعية)).[1]

---

(١) رسالته إلى محمد الحفظي ١/ ٢٥٩

المبحث الثاني :
جهود الإمام عبدالعزيز بن محمَّد بن سعود
في نشر العقيدة السلفية من خلال بعض أعماله

انطلقت الدعوة الإصلاحية في عهد الإمام عبدالعزيز وتوسعت، وصار لها كثير من الأنصار والمؤيدين، وازدادت قوتها وتجمع لديها الخيل والسلاح والرجال، فقد تمّ له بعد جهاد طويل -في إعلاء كلمة الله، وإخلاص العبادة لله، وتنفيذ أحكام شرع الله- إخضاع أواسط الجزيرة العربية والأحساء وعسير وتهامة، واستقر سلطانه على شواطئ الخليج، ووصلت جيوشه إلى حدود الحجاز.

وبذلك تأسست له دولة لها مسؤولياتها وواجباتها وحقوقها، فوطّد أركانها، وشيّد بناءها، وأحكم سياجها، ووحّد رعاياها تحت راية التوحيد وشعار الإسلام.

وسيطول الحديث بنا عن منجزات وأعمال الإمام عبدالعزيز -رحمه الله- ولكن حسبنا أن نسلط الضوء على بعض أعماله الجليلة المتعلقة بنشر العقيدة السلفية ، وهي في المطالب التالية :

المطلب الأول: تأسيسه نظام الحكم والإدارة :

لقد كان النظام السائد في تلك الفترة أن يحكم الأمير طبقاً للعرف والتقاليد التي يفرضها النظام القبلي، وكانت تلك السمة البارزة في معظم إمارات ومناطق الجزيرة العربية في ذلك الوقت .

إلا أن هذا النظام بدأ يهتز ويطرأ عليه التغيير والتطور منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر، أي منذ تحالف الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود على نشر دعوة التوحيد، وتنفيذ أحكام الشرع التي نص عليها القرآن والسنة واجتهادات السلف [١] .

((إن الدعوة بمعناها الشامل تنتظم : تمكين عقيدة التوحيد، وترسيخها، و إقامة الحدود، وتوفير الأمن، وصون الأعراض والدماء والأموال، ولا يتحقق ذلك إلا بسلطان الحكم والدولة)) [٢] .

وحينما اتسع حدود الدولة السعودية، وضع الإمام عبدالعزيز نظاماً للحكم وإدارة شؤون الدولة، ترسيخاً لدولة التوحيد، ونشراً للعقيدة. ومن ذلك ما يأتي :

١ - **تعيين عمال وأمراء نيابة عنه في حكم الأقاليم الخاضعة له**، وخولهم سلطات واسعة في حكمهم، بشرط ألا يحيدوا عن نظام الدولة، وأن يسيروا وفقاً لما يصدره لهم من تعاليم وأوامر، فكان عامله وأميره على تهامة وما

---

(١) الدولة السعودية الأولى (ص٢٢٥) ، د/ عبدالرحيم عبدالرحمن . باختصار

(٢) مقدمة معالي د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي (ص١٠) لكتاب " الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة " .

يليها من اليمن عبدالوهاب المعروف بكنيته أبو نقطة، وعلى الحجاز وما يليه من النواحي عثمان بن عبدالرحمن المضايفي، وعلى عمان صقر بن راشد رئيس رأس الخيمة، وعلى الأحساء ونواحيه سليمان بن ماجد الناصري، وعلى الزبارة والبحرين سلمان بن خليفة، وعلى ناحية الخرج إبراهيم بن سليمان بن عفيصان، وعلى جبل شمر محمد بن عبدالمحسن بن فايز بن علي في بلد حائل، وغيرهم من الأمراء والعمال [١] .

فكان الإمام عبدالعزيز يرسل كتبه إلى عماله في الأقاليم، يوضح لهم فيها سبل السير في حكم رعاياه، ويوصيهم بتقوى الله، ويحضهم على الجهاد، ويزجرهم عن جميع المحظورات، ويوضح لهم ذلك كله بأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف [٢] .

((وكان الإمام السعودي يقوم باختيار هؤلاء الحكام الذين ينوبون عنه من العناصر المخلصة لآل سعود ، والمؤمنة بمبادئ الدعوة السلفية إيمانا عميقا، حتى يطمئن إلى تنفيذ نظم الدولة على خير وجه)) [٣].

٢- اتخاذه ولياً للعهد :

قال ابن بشر : في سنة ١٢٠٢هـ أمر الشيخ محمد بن عبدالوهاب جميع أهل نجد أن يبايعوا سعود بن عبدالعزيز، وأن يكون ولي العهد بعد أبيه، وذلك بإذن عبدالعزيز، فبايعوه جميعهم [٤] .

(١) عنوان المجد (١/ ٢٧٨) .
(٢) الدولة السعودية الأولى (ص٢٢٧) د/ عبدالرحيم .
(٣) المرجع السابق (ص٢٣٤).
(٤) عنوان المجد (١/ ٦٢) .

٣- تطبيقه نظام الشورى :

بعد تحالف الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود، كان الأمير يستشير الشيخ في كل الأمور، ويستشير ابنه عبدالعزيز الذي كان ساعده الأيمن في إدارة شئون الدرعية، وظل الأمر ذلك طوال فترة حكم الأمير محمد بن سعود، ولكن في عهد عبدالعزيز بن محمد اتسعت أملاك الدولة وتعقدت شؤونها، وفوض الشيخ محمد بن عبدالوهاب كل أمور الدولة إلى عبدالعزيز، وانقطع هو للأمور الدينية، إلا أن عبدالعزيز لم يكن في مقدوره أن يبت في كل الأمور بمفرده، ولذا فإنه كان دائماً يلجأ إلى استشارة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولا ينفذ حكماً إلا بإذنه، بالإضافة إلى استشارته للأمراء من أفراد أسرته، والعلماء، وأصحاب الرأي [١] .

٤ – تعيينه القضاة :

كان يشترط فيمن يتولى القضاء أن يكون من علماء الشرع الذين لهم خبرة طويلة بعلوم الشريعة، وكان الإمام عبدالعزيز أول من أرسل قضاة إلى الأقاليم[٢] ، وكان القضاة لا يعينون إلا بمشورة من الشيخ محمد بن عبدالوهاب؛ لأن منصب القضاء منصب مهم له تأثير كبير، فبالإضافة إلى القضاء يتولون الإمامة والخطابة والتدريس والفتوى والإرشاد، ويكونون أصحاب الكلمة الفاصلة في البلد الذي يتولون القضاء فيه، ولا يخفى ما يكون لهم من أثر كبير وعظيم في نشر عقيدة السلف الصالح –رحمهم الله تعالى– [٣] .

---

(١) المرجع السابق (١/ ٤٦، ٤٧)، الدولة السعودية الأولى (ص٢٣٢، ٢٣٣) .

(٢) الدولة السعودية الأولى (ص٢٣٨) .

(٣) عقيدة محمد بن عبدالوهاب السلفية (ص٥٢٦، ٥٢٧) ، د/ صالح عبدالله العبود .

وكان من القضاة في عهد الإمام عبدالعزيز في الدرعية بعد الشيخ محمد ابن عبدالوهاب ابنه حسين بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وفي ناحية الوشم عبدالعزيز بن عبدالله الحصين، وعلى ناحية سدير حمد بن راشد العريني، وعلى ناحية الخرج محمد بن سويلم من أهل الدرعية، وعلى ناحية الجنوب سعيد بن حجي، وغيرهم من القضاة في غير ذلك من النواحي(١).

٥- توفير الأمن :

كان الإمام عبدالعزيز -رحمه الله- حريصاً على نشر الأمن، وتوفير الأمان والطمأنينة لرعيته في جميع الأقطار، فكان مع رأفته بالرعية، شديداً على من جنى جناية من الأعراب، أو قطع سبلاً، أو سرق شيئاً من مسافر أو غيره، بحيث من فعل شيئاً من ذلك، أخذ ماله نكالاً أو بعض ماله أو شيئاً منه، على حسب جنايته، وأدبه على غير ذلك أدباً بليغاً(٢) .

لذا كانت البلاد من جميع الأقطار في زمنه آمنة مطمئنة في عيشة هنية...، لأن الشخص الواحد يسافر بالأموال العظيمة في أي وقت شاء، شتاءً وصيفاً، يميناً وشمالاً، شرقاً وغرباً، في نجد والحجاز واليمن وتهامة وعمان وغير ذلك، لا يخشى أحداً إلا الله، لا سارق ومكابر(٣) . وليس يؤخذ من المسافرين شيء من القوانين والجوائز التي يأخذها الأعراب على الدروب يحيون بها سنن الجاهلية، فبطلت جميعها، ولله الحمد، وصار بعض العمال إذا

(١) عنوان المجد (١/ ٢٧٨، ٢٧٩) .

(٢) عنوان المجد (١/ ٢٦٨) .

(٣) المرجع السابق (١/ ٢٦٦، ٢٦٧) .

جاءوا بالأخماس والزكاة من أقاصي البلاد، يجعلون مزاود الدراهم أطناباً لخيمتهم وربطاً لخيلهم بالليل، لا يخشون سارقاً ولا غيره[١]، ونمت المواشي والثمار وساد الأمن جميع البلاد. وهذا من أثر عقيدة السلف الصالح التي أظهرها الشيخ محمد بن عبدالوهاب . قال الله –تعالى– : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾[الأنعام / ٨٢].

٦– تطبيقه النظام المالي الإسلامي :

كان الإمام عبدالعزيز يرسل عماله الذين يوكل إليهم أمر جمع الزكاة بمختلف أنواعها، ويحاسبهم عليها، ويقدّر لهم رواتبهم، وكان يوصي عماله بتقوى الله، وأخذ الزكاة على الأمر الشرعي، وإعطاء الضعفاء والمساكين، ويزجرهم من الظلم وأخذ كرائم الأموال . كما كان من مصادر الدخل للدولة السعودية الأولى خمس الغنائم التي كانت الجيوش السعودية تحوزها من سائبة وأموال أثناء غزوها، فكان على قائد كل جيش أن يقوم بعزل خمس ما غنمه جيشه، ويرسله إلى بيت المال في الدرعية، ويقوم بتوزيع الأخماس الأربعة الباقية على أفراد الجيش، الذين اشتركوا في المعارك .

وكان من الأموال التي تضم إلى بيت المال، الأموال التي تصادر من الخارجين على الأمن، والعابثين به، والمتخلفين عن الغزو[٢].

---

(١) المرجع السابق (١/ ٢٦٩) .

(٢) عنوان المجد (١/ ٢٦٩–٢٧٧) بتصرف واختصار .

وكانت الدولة تقوم بالإنفاق من بيت المال الذي تتكون حصيلته –مما ذكرناه– على المساكين والفقراء وباقي الأصناف الثمانية الذين لهم حق في الزكاة طبقاً لأحكام الشرع، كما ينفق أيضاً على إقامة المساجد والأئمة والمؤذنين، وعلى أهل العلم وطلبته، وعلى المحتاجين، ورواتب القضاة وغيرهم [(١)].

المطلب الثاني : جهوده في تعليم التوحيد ونشر العلم الشرعي :

قامت الدولة السعودية على أساس الدعوة الإصلاحية التي كان منهجها الالتزام بكتاب الله –ﷻ– وسنة رسوله –ﷺ– وهدي السلف الصالح، عقيدة وشريعة وسلوكاً، ولا يتم ذلك إلا بالعلم . لذا كان الإمام عبدالعزيز –يرحمه الله– حريصاً كل الحرص على تعليم التوحيد، وغرسه في رعيته وأتباعه، ونشر العلم الشرعي فيهم، حتى إنه كان يكثر الدعاء لشعبه في ورده، ويقول : اللهم أَبْقِ فيهم كلمة لا إله إلا الله، حتى يستقيموا عليها، ولا يحيدوا عنها [(٢)] .

ولما كان الحكام هم القدوة، فقد حرص أئمة آل سعود كل الحرص على حضور مجالس العلم، والتتلمذ على الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأبنائه وتلامذته من بعده. وقد طلب الإمام عبدالعزيز من الشيخ محمد، أن يكتب رسالة موجزة في أصول الإسلام، ليتعلمها الناس، فكتب الشيخ ثلاثة

---

(١) الدولة السعودية الأولى (ص٢٢٩، ٢٤٢–٢٥١) باختصار .

(٢) عنوان المجد (١/ ٢٦٦) .

الأصول، وهي معرفة الرب المعبود، والرسول -ﷺ-، ودين الإسلام بالأدلة، مبنية على مسائل القبر الثلاث : من ربك ؟ وما دينك ؟ ومن نبيك ؟ وأرسلها الإمام عبدالعزيز إلى جميع النواحي، وأمر الناس أن يتعلموها في المساجد على يد أئمتها وطلبة العلم، وأن يعملوا بها جميعاً بدون استثناء، فصاروا يسألون الناس في المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبين العشاءين عن معرفة ثلاثة الأصول، وقد كتب بصيغ مختلفة مطولة ومختصرة وباللغة الفصحى وبالعامية على حسب طبقات الناس، وعلى مستوى كل طبقة وما يناسبها، وكان الشيخ يعلمها الناس في الدرعية ويأمرهم بتعلمها[١] ، وألحق بها شروط الصلاة وأركانها، ونحو ذلك من أمور الدين التي لا يسع أحداً من المسلمين جهله .

وأصبحت الدرعية مركزاً للعلم، ومقصداً لطلبة العلم الشرعي، للتتلمذ على الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأبنائه وتلامذته من بعده. وكان الطلبة يتلقون تعليمهم دون مقابل، بل كانت تصرف لهم نفقة جارية من بيت المال، ويعطى المتفوقون جوائز سخية[٢] ، كما كان القضاة الذين يعينهم الإمام عبدالعزيز بمشورة من الشيخ محمد في الأقاليم الخاضعة له، يتولون بالإضافة إلى القضاء الإمامة والخطابة والتدريس والفتوى والإرشاد...، ولا يخفى ما يكون لهم من أثر كبير وعظيم في نشر عقيدة السلف الصالح [٣].

---

(١) المرجع السابق (١/ ١٤، ٩٠)، وعقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية (ص٥١٦) ، د/ صالح عبدالله العبود .

(٢) عنوان المجد (١/ ١٨٦، ٢٧٥) .

(٣) عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ص٥٢٧).

وكانت المساجد وبيوت المعلمين هي أماكن الدراسة، وكان التعليم مركزاً بدرجة كبيرة على التوحيد وما يتعلق بالعبادة، ويشمل أيضاً دراسة التفسير والحديث والسيرة النبوية وكتب الفقه الحنبلي[١].

كما كان الإمام عبدالعزيز والشيخ محمد إذا وفد عليهم وفود المناطق والأقاليم وبايعوهم على دين الله ورسوله والسمع والطاعة، ورجعوا إلى بلادهم، كانوا يرسلون معهم العلماء وطلبة العلم، ليعلموهم التوحيد وأصول الدين، ويفقّهوهم في ذلك[٢] .

وكذلك إذا فتحوا البلاد ودانت لهم، أمَّروا فيها أميراً وإماماً، وجعلوا فيهم علماء يعلمونهم التوحيد، ويذاكرونهم فيه، ويعلمونهم أصول الإسلام[٣] .

المطلب الثالث : جهاده في نشر العقيدة :

بعد الدعوة والإرشاد والتعليم، يأتي الجهاد حماية للحق ونشره، ودفعاً لأهل الباطل وقمعه .

---

(١) الدولة السعودية الأولى (ص٢٥١) د/ عبدالرحيم عبدالرحمن، تاريخ المملكة العربية السعودية (١/ ١٨١) د/ عبدالله العثيمين .
(٢) عنوان المجد (١/ ١٢٩، ١٦٦) .
(٣) عنوان المجد (١/ ٧٦، ٢٠٢، ٢٠٣) .

والجهاد في الشرع له تعريفات عديدة، أشملها تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، حيث قال: والجهاد: هو بذل الوسع -وهو القدرة- في حصول محبوب الحق ودفع ما يكرهه.

وقال أيضاً: وذلك لأن الجهاد حقيقته: الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان [(١)].

وللجهاد أنواع مختلفة ومراتب متفاوتة، هي: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار والمنافقين، وجهاد أرباب الظلم والبدع والمنكرات [(٢)].

وقد تظاهرت آيات الكتاب، وتواترت نصوص السنة على الترغيب في الجهاد والحض عليه، ومدح أهله والإخبار عمّا لهم عند ربهم من أنواع الكرامات والعطايا الجزيلات، ويكفي في ذلك قوله -تعالى-: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الصف/ ١٠-١٢][(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ١٩١، ١٩٢، ١٩٣).

(٢) زاد المعاد (٢/ ١٠) لابن القيّم.

(٣) طريق الهجرتين (ص٥٨٢-٥٨٤) لابن القيم (بتصرف).

ومن الأحاديث النبوية : حديث معاذ بن جبل -رضي الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((**رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله**))[١] . قال الإمام ابن تيمية : والأمر بالجهاد وذكر فضائله في الكتاب والسنة أكثر من أن تُحصر، ولهذا كان أفضل ما تطوع به الإنسان، وكان -باتفاق العلماء- أفضل من الحج والعمرة، ومن الصلاة التطوع والصوم التطوع، كما دل عليه الكتاب والسنة...، وهذا باب واسع، لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها مثل ما ورد فيه، وهو ظاهر عند الاعتبار، فإن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره في الدين والدنيا، ومشتمل على جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة[٢] .

ووسيلة الجهاد في سبيل الله شرعت من أجل نشر الدعوة وتبليغها للناس، ولابد للتبليغ من قوة تُخْضع الطواغيت للإسلام؛ وذلك لا يكون إلا بالجهاد في سبيل الله -عز وجل-؛ لأن أعداء الدعوة لن يتركوا الدعوة تسير في طريقها، يسمعها من شاء، ويهتدي بها من شاء، ويتركها من شاء، بل يصدون دعاة الإسلام، ويصدون الناس عن سماع دعوتهم، فإذاً لابد أن تظهر الدعوة في أمة مهيبة الجانب، عندها قوة تحمي نفسها، وتحمي من

---

(١) رواه الترمذي (ح ٢٦١٦) .
(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٣٥٢-٣٥٣) .

استجاب لها، وتؤدب من اعتدى عليها أو صدها، وإلا فإن العالم سيُحرم من تبليغ هذه الدعوة، والتمتع بهذا الدين، بدون الجهاد في سبيل الله [١] .

وقد كان للإمام عبدالعزيز –يرحمه الله– النصيب الأوفر من هذا الأمر ، منذ أن أمر الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالجهاد لمن عادى أهل التوحيد وسبه وسب أهله، وحضهم عليه فامتثلوا [٢] .

وكان في مقدمة من استجابوا لدعوة الشيخ محمد بالجهاد: الإمام عبدالعزيز الذي كان يتولى المشاركة في المعارك وقيادة جيوش الدعوة في عهد والده الإمام محمد بن سعود، منذ عام ١١٦١هـ إلى عهد ولايته الإمامة ، ثم إلى وفاته سنة ١٢١٨هـ ، فلم تخل سنة من تلك السنوات من معركة أو غزوة قادها الإمام عبدالعزيز بنفسه، أو كانت بأمره وتحت رايته، وهي كثيرة جداً يصعب حصرها [٣] .

وقد حقق الإمام عبدالعزيز من خلال جهاده ومعاركه في نصرة دعوة التوحيد أهدافاً جليلة، منها :

١ – كسر شوكة من لم يقبل مبادئ الدعوة بعد وصولها إليه، ومجاهدة من أساء إلى الدعوة ودولتها أو تحرش بهما وتأديبه، وإثبات تفوق أنصار الدعوة عليهم .

---

(١) الجهاد في سبيل الله، حقيقته وغايته (٢/ ٥٢١) د/ عبدالله أحمد قادري .

(٢) عنوان المجد (١/ ٤٥، ٤٦، ٤٨) .

(٣) انظر للتوسع في معرفة معارك الإمام: عنوان المجد (١/ ٥٦–٢٧٧) .

٢- استرداد القرى والمدن التي نكصت عن الدعوة بعد قبولها، ومعاقبة أهلها، وجعلهم عبرة لغيرهم .

٣- بناؤه الحصون قرب المدن والقرى التي يستعصي فتحها على أنصار الدعوة، ووضع بعض المرابطين فيها، حتى يحكموا الحصار على أهلها ، مما يضطرهم في النهاية إلى الاستسلام والدخول في دولة الدعوة .

٤- توسيع نفوذ الدعوة خارج نجد، لتشمل دولة التوحيد من شواطئ الفرات ووادي السرحان إلى رأس الخيمة وعمان، ومن الخليج العربي إلى أطراف الحجاز وعسير .

المطلب الرابع : إزالته المظاهر الشركية والبدعية :

لقد قام الإمام عبدالعزيز –رحمه الله– وأتباعه بالدعوة إلى التوحيد الخالص، ونبذ الشرك والبدع، كهدم الأوثان والأحجار المعظمة، وقطع الأشجار المتبرك بها، وهدم القباب على القبور، ومحاربة أعمال الرافضة(١) المنكرة، كإقامة المشاهد والمقدسات الشركية .

---

(١) الرافضة: من فرق الشيعة، وهم فرق شتى. سموا بهذا الاسم لرفضهم إمامة أبي بكر وعمر، وقيل: لرفضهم زيد بن علي بن الحسين حينما تولى أبابكر وعمر، ويجمعهم القول بالنص على استخلاف علي ﷺ ، وأنها في ذريته من بعده، والبراءة من أبي بكر وعمر، وعصمة أئمتهم ، وغير ذلك من العقائد الباطلة .

انظر : مقالات الإسلاميين (١/ ٨٩)، لأبي الحسن الأشعري، الفرق بين الفرق (ص٢١)، للبغدادي .

وكل ذلك من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أمر به الإسلام، فعن أبي الهياج قال : قال لي علي -رضي الله عنه- : ((**ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله -ﷺ- ، أن لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته**))[1] . لذلك أمر الإمام عبدالعزيز أمراءه وعماله وجنده بإزالة معالم الشرك والبدعة، فاستجابوا لأمر الله ورسوله .

ومن صور ذلك ما يأتي :

- في سنة ١٢٠٦هـ حينما غزا الأمير سعود بن عبدالعزيز القطيف ، أزال جميع ما في القطيف من الأوثان والمتعبدات والكنائس، وأحرق كتبهم القبيحة، بعد ما جمع منها أحمالاً[2] .
- وفي سنة ١٢٠٧هـ حينما دخلت الجيوش السعودية الأحساء بقيادة الأمير سعود بن عبدالعزيز، هدموا جميع ما فيها من القباب والمشاهد التي على القبور والمواضع الشركية، فلم يتركوا لها أثراً[3] .
- وفي سنة ١٢١٦هـ سار الأمير سعود بن عبدالعزيز بجيوش التوحيد إلى أرض كربلاء في شهر ذي القعدة، وهدموا القبة الموضوعة على القبر المزعوم للحسين -رضي الله عنه-[4] .

---

(١) أخرجه مسلم (ح ٢٢٨٧) .
(٢) عنوان المجد (١/ ١٧٨) .
(٣) المرجع السابق (١/ ٢٠٢) .
(٤) المرجع السابق (١/ ٢٥٧) .

- وفي سنة ١٢١٧هـ دخل الأمير سعود بن عبدالعزيز مكة المكرمة وأعطى أهلها الأمان، وبذل من الصدقات والعطاء لأهلها شيئاً كثيراً، وأمر بهدم القباب التي بنيت على القبور والمشاهد الشركية، وكان في مكة من هذا النوع شيء كثير في أسفلها وأعلاها ووسطها وبيوتها، حتى لم يبق في مكة شيء من تلك المشاهد والقباب إلا أعدموها وجعلوها تراباً[1].

المطلب الخامس: نشره العقيدة خارج دولته :

اعتنى الإمام عبدالعزيز -رحمه الله- بالدعوة إلى العقيدة السلفية خارج حدود سلطته ودولته -بل إلى علماء الشرق والغرب وبلدان العجم والروم- ، بالنصيحة وإقامة الحجة والبيان، وإرسال الرسائل والدعاة والمبعوثين، وذلك من منطلق حمله لأمانة الدعوة إلى الله التي أمر الله بها نبيه محمداً -ﷺ- وأمته من بعده، قال تعالى: ﴿ **ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ** ﴾ [النحل/ ١٢٥] .

ومن جهوده -رحمه الله- في هذا المجال ما يأتي :

١ - إرساله الرسائل العامة للدعوة إلى التوحيد والعقيدة السلفية . ومن تلك الرسائل :

أ- رسالة إلى من يراه من أهل بلدان العجم والروم، أرسلها مع رجل منهم اسمه محمد خلفا النواب، وفد عليهم مع الحاج، وأقام

(١) المرجع السابق (١/ ٢٦٣) بتصرف بسيط .

عندهم مدة طويلة، وعرف ما هم عليه من الحق، وقال فيها : ((من عبدالعزيز بن محمد بن سعود إلى من يراه من أهل بلدان العجم والروم...)) وبعد الثناء والحمد لله والصلاة والسلام على رسوله، بيّن في رسالته العقيدة السلفية الصحيحة، ودَفَع الشُّبَه المثارة حول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه [١] .

ب- رسالته إلى العلماء والقضاة في الحرمين والشام ومصر والعراق وسائر علماء المشرق والمغرب، أبان فيها عقيدة السلف الصالح بالبيان الواضح والأدلة القويمة والبراهين العظيمة، كما بيّن -رحمه الله- الأمور التي أنكرها الناس على أصحاب الدعوة الإصلاحية المباركة، وأوضح أدلتها وكشف الشبه التي تعلق بها عباد الأنبياء والأولياء، فجاءت بحمد الله رسالة كافية شافية في بيان حقيقة التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأتباع الكتاب والسنة، والرد على المخالفين المبتدعين [٢] .

ج- رسالته إلى أهل المخلاف السليماني (منطقة جازان) . وهي أيضاً في بيان عقيدة السلف الصالح [٣] .

د- رسالته إلى سليمان باشا الكبير والي بغداد نصيحة له، مصحوبة بنسخة من (كتاب التوحيد) للشيخ محمد بن عبدالوهاب،

---

(١) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/ ٢٥٨-٢٦٤) جمع عبدالرحمن بن محمد بن قاسم.

(٢) انظر : الهدية السنية (ص٥-٢٩) ابن سحمان .

(٣) انظر: الدرر السنية (١/ ٢٦٥-٢٦٨) .

وطلب منه أن يجمع علماء بغداد للنظر في كتاب الشيخ، والإيمان بما جاء فيه [(١)] .

٢- إرساله الرسائل الخاصة، وفيها بيان التوحيد والعقيدة السلفية وما يضادها، والدعوة إلى اتباع الكتاب والسنة، كرسالته إلى أحمد بن علي القاسمي، وإلى الأخ ياقوت الصنعاني، وإلى أحمد بن محمد العويلي، ومحمد ابن أحمد الحفظي وغيرهم [(٢)] .

٣- إرساله الدعاة والعلماء لبيان التوحيد وعقيدة السلف الصالح وما يضادها، والدعوة إلى تحكيم كتاب الله -عز وجل- وسنة رسوله -ﷺ-، والردَّ على الشبهات، ومناظرة المخالفين والخصوم. ومن ذلك:

- في حوادث سنة ١١٨٥هـ - أن الإمام عبدالعزيز والشيخ محمد بن عبدالوهاب أرسلا الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحصين إلى والي مكة أحمد ابن سعيد الشريف، وأرسلا معه رسالة للتفاوض والمناظرة مع بعض علماء مكة، فتفاوضوا في ثلاث مسائل؛ الأولى : ما نسب إلى الدعوة الإصلاحية من التكفير بالعموم، والثانية : هدم القباب التي على القبور، والثالثة : إنكار دعوة الصالحين للشفاعة؛ فبيَّن الشيخ عبدالعزيز لهم الحق في تلك المسائل، وأقام عليها الأدلة والحجج والبراهين، فأقروا واقتنعوا [(٣)] .

---

(١) الدولة السعودية الأولى (ص١٩١، ١٩٢) د/ عبدالرحيم عبدالرحمن .

(٢) انظر : الدرر السنية (١/ ٢٦٩، ٢٧٥، ٢٧٩)، (٢/ ١٦٦، ١٧٠) .

(٣) روضة ابن غنام (ص١٢١) طبعة المدني، حاشية عنوان المجد (١/ ١١٧) ، تحقيق الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ .

- وجاء في أخبار سنة ١٢٠٤هـ أن الإمام عبدالعزيز والشيخ محمد بن عبدالوهاب أرسلا القاضي الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحصين ومعه كتاب، بناءً على طلب الشريف غالب، ليبين له حقيقة دعوتهم وما هم عليه. وعندما قدم الشيخ عبدالعزيز الحصين مكة المشرفة، عرض عليه رسالة الشيخ محمد فأذعن الشريف وأقر بذلك، وطلب الشيخ عبدالعزيز حضور العلماء للمناظرة في التوحيد، فأبوا [(١)] .

- وفي سنة ١٢١١هـ تكرر الطلب من غالب بن مساعد -شريف مكة- إلى الإمام عبدالعزيز أن يرسل إليه علماء يناظرون علماء مكة في أصل الدين والتوحيد، فأجاب الإمام عبدالعزيز طلبه، وأرسل إليه جماعة من العلماء كبيرهم الشيخ حمد بن ناصر بن معمر، فلما وصلوا إلى مكة قابلهم الشريف بالإكرام، وأحضر لهم علماء يناظرونهم عدة ليال، وجرت المناظرة في مسألتين، إحداهما: مسألة قتال الموحدين الناس، والثانية: مسألة دعاء الأموات؛ فكان الشيخ حمد بن ناصر يأتي لبيان حجته بالدليل القاطع والبرهان الواضح، من كتاب الله، وأحاديث رسوله الصحيحة، وأقوال الأئمة وأتباعهم المتقدمين الأخيار، فاضطرهم بذلك إلى التسليم له في المسألة الأولى، والاعتراف بالحقّ، بعد أن لجوا في المغالطة والعناد حيناً. ولكنهم أنكروا وجود ما ذكره لهم من مظاهر الشرك، بدعوة الأموات، وجحدوا أن يكون ذلك واقعاً في البلاد، مع أنه عندهم كثير، مشهود، يرونه كل ساعة.اهـ [(٢)] .

---

(١) عنوان المجد (١/ ١٧١، ١٧٢) .

(٢) روضة ابن غنام (ص٢٠٠) بتصرف بسيط .

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، و الصلاة والسلام على المبعوث بخاتمة الرسالات، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والتابعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد :

في نهاية هذا البحث الموجز أود أن أسجل بعض النتائج التي توصلت إليها، وهي كالتالي :

١ – أن الدولة السعودية الأولى قامت على العقيدة السلفية، وامتد سلطانها في عهد الإمام عبدالعزيز من الخليج شرقا إلى حدود الحجاز غرباً، ومن حدود العراق شمالاً إلى عسير وتهامة وعمان جنوباً .

٢ – أن الإمام عبدالعزيز كان من تلامذة الشيخ محمد بن عبدالوهاب منذ صغره، مما كان له الأثر الكبير في حماسه وجهاده في الدعوة الإصلاحية.

٣– أن الإمام عبدالعزيز قد اجتمعت فيه مواهب الإمارة وملكاتها، مع تمسك بالعقيدة السلفية، ورسوخ في العلم، فكان أميراً ينصر الحق بقوة الحجة والبرهان، مع قوة السيف والسلطان .

٤ – عناية الإمام عبدالعزيز بتوضيح التوحيد وشرح العقيدة السلفية في جميع رسائله العامة والخاصة، وعنايته بإيراد الشواهد والأدلة من الكتاب والسنة ، والرد على المخالفين .

٥- لقد بذل الإمام عبدالعزيز جهده في نشر العقيدة، والدعوة إليها، وحماية جناب التوحيد في داخل دولته وخارجها بشتى الوسائل والإمكانات المتوفرة لديه، فبارك الله له في عمله وجهاده، ورزقه دولة آمنة مطمئنة رغيدة، يأتيها رزقها من كل مكان، فرحمه الله رحمة واسعة، وأدخله فسيح جناته.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فهرس المراجع

- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط٥، دار العلم، بيروت، ١٩٨٠م.
- الإمام سعود بن عبدالعزيز وجهوده في الدعوة إلى الله- محمد بن عبدالرحمن التركي، ط١، دار الأندلس- جدة، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م .
- الإمام محمد بن سعود دولة الدعوة والدعاة – اعتنى بإصداره وقدم له د/ عبدالله بن عبدالمحسن التركي- طبع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٨هـ.
- تاريخ البلاد العربية السعودية- د/ منير العجلاني، دار الكتاب العربي، بيروت .
- تاريخ الدولة السعودية –أمين سعيد، دار الكاتب العربي .
- تاريخ المملكة العربية السعودية- د/ عبدالله الصالح العثيمين، ط٩، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م .
- تاريخ نجد، المسمى روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام –الشيخ حسين بن غنام، ط١، مطبعة الحلبي بمصر، ١٣٦٨هـ .
- الجامع الصحيح، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، إشراف ومراجعة صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، دار السلام، الرياض، ط الأولى ١٤١٧هـ.

- الجهاد في سبيل الله حقيقته وغايته- د/ عبدالله أحمد قادري، ط١، دار المنار، جدة – ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .
- حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب –حسين خلف الشيخ خزعل، ط١، مطابع دار الكتب- بيروت، ١٩٦٨م .
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية- جمع عبدالرحمن بن قاسم، الدار العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، عام ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- الدرعية –عبدالله بن محمد بن خميس، ط١، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .
- الدولة السعودية الأولى، د/ عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم، ط٢، دار نافع للطباعة ، القاهرة، ١٩٧٥م.
- رسائل أئمة دعوة التوحيد- جمع د.فيصل بن مشعل بن سعود آل سعود، ط٢، مطابع الحميضي، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .
- السنن، أبوعبدالله محمد يزيد ابن ماجه القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، (د.ت).
- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام، الرياض، ط الأولى ١٤١٧هـ .
- صحيح الجامع الصغير وزيادته، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٨ هـ.
- صحيح مسلم، للإمام مسلم بن حجاج النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت، ط٢ ، ١٣٩٨هـ.

- صقر الجزيرة – أحمد عبدالغفور عطار، ط٢.
- عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي –د/ صالح بن عبدالله العبود .
- عنوان المجد في تاريخ نجد –الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ط٤، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .
- الفرق بين الفرق – عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار المعرفة، بيروت .
- قلب جزيرة العرب – فؤاد حمزة، مكتبة النصر الحديثة، الرياض .
- محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه – الأستاذ مسعود الندوي، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- المسند، أحمد بن حنبل الشيباني، ط الثانية، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م. (د.ن).
- المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية ، المكتبة الإسلامية، استنبول.
- مقالات الإسلاميين – لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م.
- الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

- ملوك آل سعود – الأمير سعود بن هذلول، ط١، ١٣٨٠هـ.
- المنجد في اللغة والأعلام، ط٢٦، دار المشرق، بيروت.
- الموسوعة العربية العالمية – مؤسسة أعمال الموسوعة، ط٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.
- نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود – للعلامة عبدالرحمن بن أحمد البهكلي، تحقيق محمد بن أحمد العقيلي، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية –جمع الشيخ سليمان بن سحمان، ط٢، المنار سنة ١٣٤٤هـ، وط مطابع دار الثقافة بمكة المكرمة عام ١٣٩٣هـ.

فهرس الموضوعات

ظَاهِرَةُ التَّصْحِيْح عِنْدَ الشِّيْعَة

عرضٌ وبيانٌ

إعداد

د. بسمة بنت أحمد جستنية

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة

المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، واشهد أن محمداً عبده ورسوله .

وبعد :

فليس الغرض من هذا البحث الحديث عن عقائد الشيعة ، وبيان حالها ومناقشتها ، فلذلك مقام آخر أفردت له رسائل خاصة .وإنما البحث هو في الحديث عن ظاهرة من الظواهر التي بدت واضحة عند الشيعة ، ألا وهي "التصحيح" .

ويمكن أن أجمل أهمية دراسة هذا الموضوع فيما يلي:

-تمثل مسألة التصحيح ، ويقصد بها هداية بعض مشايخ وأئمة التشيع إلى سلبيات مذهبهم ، قضية جديرة بالاهتمام ،حيث اكتشف مجموعة من كبار القوم عندهم ما في مذهبهم من الخلل، وبدأوا يعيدون دراسة مذهب أجدادهم وقومهم . وهذا يعد أحد السبل في إقامة الحجة عليهم ، وهذا من باب إقامة الحجة عليهم، وكما يقال : وشهد شاهد من أهلها.

-أمر آخر هو أن هؤلاء المهتدين ليسوا على مرتبة واحدة في الوصول إلى الحقيقة ، لكنهم في الجملة بدأوا يفكرون بما هم عليه ، ويدرسون دينهم دراسة المراجع والناقد ، فبالعناية بمثل هؤلاء ، وعرض أقوالهم ، وشبهاتهم على معتقداتهم يبين الحق، ويدحض الباطل بشبهه.

– هذه الظاهرة ربما يعرف بعض دعاتها ، من خلال كتاباتهم . وعند شروعي في هذا الموضوع ، لم أقف على مؤلف مستقل فيه ، وبعد أن انتهيت من البحث وقفت على كتاب (أعلام التصحيح والاعتدال) لمؤلفه خالد بن محمد البديوي ، تناول فيه بعض الموضوعات التي تناولها علماء الشيعة المصححون بالتصحيح .

وفي هذا البحث الذي بين أيديكم ، من الموضوعات ما لم يتطرق إليه صاحب الكتاب ، مما ينقض جملة من دعائم مذهبهم، والتي لا تزال تحتاج إلى مزيد توضيح وتبيين.

وهنا تكمن أهمية هذا الموضوع.

وأخيراً وليس آخراً فإن الشيعة لهم احتكاك بأهل السنة في أكثر دول العالم، فضلاً عن البلاد الإسلامية ، وهم لا يألون جهداً في نشر معتقداتهم بشكل أو بآخر، فلا يعقل أن يجاوروا أهل السنة دون أن يتركوا أثراً ، لاسيما عند من لم يكن محصناً ضد معتقداتهم وأقوالهم .

لذا فإني أرجو من دراسة ظاهرة التصحيح –موضوع البحث– ، أن توضح جانباً من أهمية دراسة مثل هذه الموضوعات ، وبيان منهج الحق ، لاسيما من انخدع ظاهراً بأفكار ومعتقدات الشيعة ، أو عند دعاة التقريب من أهل السنة وغيرهم ،ممن لم ير بأساً أو فرقاً بين المعتقدين.

ولسائل أن يسأل : هل ثمة ضرورة لهذا الجدال العقدي بين الشيعة وأهل السنة؟ والجواب: نعم ! إنه جدال لايستقيم أمر الحق إلا به ؛ فإن أجمل ما يحيا له الإنسان هو الوصول للحقيقة، والجهاد في سبيلها. ولقد كان

لهؤلاء الشيعة الحظ الأوفر في إحياء البدع بكل صورها، مما ترك أثره في العالم الإسلامي ، بسبب ضعف الدين ، وركام الجهل، وعدم الاهتمام بعلم السلف في أكثر البلدان الإسلامية . لذا فإن بيان حقيقة ما عليه هذه الطائفة من انحرافات ومخالفات ، اعترف بها من ينتمي إليهم ، يعدّ أكبر دليل في بيان الحق ، ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾[الأنفال ٤٢].

استناداً إلى ما أوردت في هذه المقدمة ، والتي أرجو أن تكون قد بينت أهمية هذا البحث، فإني قسمت هذا البحث إلى : مقدمة –وقد سبقت–، وتمهيد ، ومبحثين ، وخاتمة .

أما التمهيد ففي تعريف بعض المسميات الواردة في عنوان البحث .

وأمَّا المبحثان : فالمبحث الأول: ظاهرة التصحيح عند الشيعة ، وفيه:

التعريف بأشهر المصححين.

والمبحث الثاني : أهم موضوعات التصحيح ، وتشمل :

- نقض كتاب الكافي ، وبعض أشهر كتبهم .
- نقض القول بتحريف القرآن.
- نقض قولهم في الإمامة والخلافة.
- نقض القول بالتقية .
- نقض عقيدة المهدية .
- نقض عقيدة الرجعة .
- إبطال الغلو في الأئمة ، ويشمل :

*أقوالهم في: زيارة القبور (مراقد الأئمة).

❋ السجود على التربة الحسينية .

❋ الاحتفال بيوم عاشوراء.

- إبطال بدعة الشهادة الثالثة في الأذان.

- نقض المتعة .

وأخيراً الخاتمة ، وفيها أهم النتائج .

أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت فيما عرضت ، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه سبحانه .

تمهيد
في تعريف بعض المصطلحات

معنى الظاهرة : الظاهرة من الأرض وغيرها : المشرفة ، ومن العين الجاحظة ، والأمر ينجم بين الناس ؛ يقال : بدت ظاهرة الاهتمام بالصناعة[١] .

معنى التصحيح في اللغة :

قال الزبيدي[٢] : صحح الشيء جعله صحيحاً . وصححت الكتاب والحساب تصحيحاً ، إذا كان سقيماً ، فأصححت خطأه[٣] .

ظاهرة التصحيح :

هي ظاهرة هداية بعض مشايخ وأئمة التشيع إلى فساد مذهبهم ، واقترابهم إلى اكتشاف الحق والصواب ، ومحاولتهم إعادة دراسة مذهب أجدادهم.

المذهب : الطريقة والمعتقد الذي يذهب إليه . يقال : ذهب مذهباً حسناً ، ويقال : ما يُدرى له مذهب : أي أصل[٤] .

---

(١) المعجم الوسيط (ص٥٧٨).

(٢) هو : محمد بن محمد بن عبدالرزاق مرتضى الحسيني الحنفي أبو الفيض (ت١٢٠٥) .انظر : مقدمة التاج ١/ ٢٨-٣٨، تاريخ الجبرتي ٢/ ١٩٦ .

(٣) تاج العروس (٢/ ١٧٨) .

(٤) المعجم الوسيط ص٣١٧ .

الشيعة (الرافضة):

مادة كلمة (الشيعة) تدور حول الموافقة في الرأي والمتابعة والمناصرة . فعلى سبيل المثال يقول ابن دريد[١]: " فلان من شيعة فلان، أي ممن يرى رأيه ، وشيعت الرجل على الأمر تشييعاً ، إذا أعنته عليه ، وشايعت الرجل على الأمر مشايعة وشياعاً ، إذا مالأته عليه". [٢]

وقال الجوهري[٣]:" تشيع الرجل : أي ادعى دعوى الشيعة ، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض ، فهم شيع ". [٤]

وقال ابن منظور[٥]: "والشيعة : أتباع الرجل وأنصاره ، وجمعها شيع، وأشياع: جمع الجمع . وأصل الشيعة : الفرقة من الناس . وقد غلب هذا الاسم على من يتولى علياً وأهل بيته ، حتى صار لهم اسماً خاصاً ، فإذا قيل : فلان من الشيعة ، عرف أنه منهم". [٦]

---

(١) هو محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية ، أبو بكر الأزدي، نزيل بغداد. من أئمة اللغة والأدب والشعر،كان واسع الحفظ، له تصانيف عديدة. توفي سنة ٣٢١هـ.انظر : تاريخ بغداد (٢/ ١٩٥) ، طبقات الشافعية (٢/ ١٤٥) ،الأعلام (٦/ ٨٠).

(٢) جمهرة اللغة ٣/ ٦٣ .

(٣) هو إسماعيل بن حماد الجوهري التركي الفارابي،أبو نصر. أحد أئمة اللغة .كان جيد الحفظ، وكان يحب الأسفار والتغريب.له عدة تصانيف ، منها : كتاب الصحاح في اللغة ، وهو أشهرها.توفي سنة ٣٨٣هـ.انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٨٠)،كشف الظنون (٢/ ١٠٧١)، معجم البلدان (٤/ ٢٢٥)

(٤) الصحاح (٣/ ١٢٤٠) .

(٥) هو أبو محمد مكرم بن علي.صاحب لسان العرب.إمام لغوي. ولد سنة ٦٣٠هـ ، وتوفي سنة ٧١١هـ.انظر : معجم الأعلام ، ص٧٩٩.

(٦) لسان العرب (مادة شيع) . تاج العروس ٥/ ٤٠٥ ، وانظر : القاموس مادة (شاع)

وهكذا ، وكما سبق أن ألمحت ، فإن لفظ الشيعة والتشيع في اللغة يدور حول معنى المتابعة، والمناصرة ، والموافقة بالرأي ، والاجتماع على الأمر ، أو الممالأة عليه . ثم غلب هذا الاسم على كل من يتولى علياً وأهل بيته .

وهذه الغلبة محل نظر ، لأن الباحث إذا تأمل في المعنى اللغوي للشيعة ، والذي يدل على المتابعة والمناصرة ، ثم نظر إلى أكثر فرق الشيعة التي غلب إطلاق هذا الاسم عليها، يجد أنه لا يصح تسميتها بالشيعة من ناحية لغوية ، لأنها غير متابعة لأهل البيت على الحقيقة ، بل هي مخالفة لهم ، ومجافية لطريقتهم ،اللهم إلا إذا أريد دعواهم المتابعة، حتى ولو كانت غير صحيحة.

تعريف الشيعة اصطلاحاً :

اختلفت تعريفات علماء الشيعة في بيان مدلول هذه الكلمة ، على النحو الآتي :

يعرف شيخ الشيعة القمي[1] الشيعة بقوله : ((الشيعة هم فرقة علي بن أبي طالب ، المسمون شيعة علي في زمان النبي ﷺ وبعده ، معروفون بانقطاعهم إليه ، والقول بإمامته)). [2]

---

(١) هو سعد بن عبدالله القمي. هو عند الشيعة جليل القدر، واسع الأخبار ، كثير التصنيف . من كتبه :الضياء في الإمامة ، ومقالات الإمامية .توفي سنة ٣٠١هـ ، وقيل :٢٩٩هـ .انظر : الفهرست للطوسي ، ص١٠٥.

(٢) المقالات والفرق للقمي ص١٥ .

والملاحظ على هذا التعريف أنه لا يشير إلى مسألة النص على علي وولده وغيرها، سوى ما ذكره في آخر التعريف بالنسبة للإمامة لعلي ، دون ذكر النص أو بقية الأئمة. ومسألة النص على علي وولده تعتبر من أصول التشيع. ثمَّ هو يدعي وجود شيعة علي في زمن النبي ﷺ[(١)] ، وهي دعوى لا سند لها من الكتاب والسنة ، أو التاريخ الإسلامي .

وهناك تعريفات أخرى[(٢)] ، يجمعها أن وصف التشيع عندهم لا يصدق إلا على من اعتقد أن خلافة علي رضي الله عنه ممتدة من وفاة الرسول ﷺ ، إلى أن توفي علي .[(٣)]

وهذه دعوى، الكذب فيها ظاهر، فإنَّ علياً لم يتول الخلافة إلا بعد أكثر من عشرين سنة من وفاة النبي ﷺ . أما شيخهم الطوسي[(٤)] فيربط وصف التشيع بالاعتقاد ، بكون علي إماماً للمسلمين، بوصية من رسول الله ﷺ ،

---

(١) وقد سماهم فقال : منهم : المقداد بن الأسود ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر جندب بن جنادة الغفاري ، وعماربن ياسر ، ومن وافق مودته مودة علي ، وهم أول من سمي باسم التشيع في هذه الأمة . انظر : المقالات والفرق ص١٥ .

(٢) انظر على سبيل المثال : أوائل المقالات ص٣٩ .

(٣) انظر حق اليقين ١/ ١٩٥ .

(٤) هو أبو جعفر محمد بن الحسين بن علي الطوسي. ولد سنة ٣٨٥هـ . وهو عند الرافضة شيخ الإمامية ، ورئيس الطائفة، ومؤلف كتابين من كتبهم الأربعة المعتمدة ، وهما : تهذيب الأحكام ، والاستبصار . توفي سنة ٤٦٠هـ . انظر : الفهرست للطوسي ، ص٨٨-١٩٠، لسان الميزان لابن حجر (٥/ ١٣٥).

وبإرادة من الله. [١] وإلى مثل هذا الرأي ذهب أحد شيوخهم المعاصرين ، وهو محمد جواد مغنية . [٢]

وهكذا فالتشيع عند الشيعة يعني تولي أمير المؤمنين عليًّا ﷺ ، وتفضيله وتقديمه على الأصحاب كافّة ، في أمر الإمامة والخلافة الإسلامية بعد وفاة الرسول ﷺ ، وأن هذا التقديم لأمير المؤمنين ، واستحقاقه لمنصب الإمامة، إنما ثبت عندهم عن طريق الوصية والنص ، وأن الإمامة منحصرة في ولد علي ، ولا تخرج من أهل بيته .

ومن خلال هذا يدخل في معنى التشيع فرق أخرى.

تلك كانت أشهر أقوال الرافضة في تعريف الشيعة .

أما أقدم من عرّف الشيعة من أصحاب المقالات والفرق من غير الشيعة ، فهو أبو الحسن الأشعري؛ يقول : ((إنما قيل لهم شيعة لأنهم شايعوا علياً رضوان الله عليهم، ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله ﷺ)) . [٣]

أما الشهرستاني فيقول : ((الشيعة هم الذين شايعوا علياً ﷺ على الخصوص ، وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية ، إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحيّة تناط

(١) انظر تلخيص الشافي (٢/ ٥٦) .
(٢) انظر الشيعة في الميزان ص١٥ .
(٣) مقالات الإسلاميين (١/ ٦٥). وانظر الفصل (٢/ ١٠٧)

باختيار العامة، وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية أصولية، وهي ركن الدين، لا يجوز للرسل عليهم السلام إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة وإرساله.

ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة، وجوباً عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبري، قولاً وفعلاً وعقداً، إلا في حال التقية[١]))[٢].

ويطلق على الشيعة : (الرافضة)[٣]، وهو اللقب الذي رجح استخدامه أكثر أهل العلم . وهم الذين يغلون في علي ﷺ، فيقدمونه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويعتقدون أحقيته بالخلافة، ويتبرأون من الشيخين، ويطعنون في أصحاب النبي ﷺ ، إلا نفراً قليلاً .

---

(١) اتقيت الشيء وتقيْتُه أتّقِية وأتْقِيه تقىً وتقيّةً وتِقاءً: حَذِرْتُه . انظر: لسان العرب مادة: (وقي). قال ابن حجر: التقية: الحذر من إظهار ما في النفس من معتقدٍ وغيره للغير. انظر: فتح الباري (١٢/ ٣١٤). والتقية : إظهار خلاف ما في الباطن. انظر: النهاية لابن الأثير (١/ ١٩٣). ويعرف الرافضة التقية بأنها : الكتمان للاعتقاد خشية الضرر من المخالفين. شرح عقائد الصدوق ص ٢٦١. وقد جعلوها هي الدين كله، ولا دين لمن لا تقية له، ورووا عن جعفر بن محمد أنَّه قال: "إن تسعة أعشار الدين في التقية، ولا دين لمن لا تقية له" . أصول الكافي (٢/ ٢١٧) . وانظر: وسائل الشيعة (١١/ ٤٦٠)، بحار الأنوار (٧٥/ ٤٢٣)، وسائل الشيعة (١١/ ٤٧٤).

(٢) الملل والنحل (١/ ١٤٦) . وانظر كشاف اصطلاحات الفنون (٤/ ١٣٦).

(٣) انظر في التعريف بهم : طبقات الحنابلة ١/ ١٨٢ ، العقيدة لأحمد بن حنبل ص٦٢ ، السنة لعبدالله بن الإمام أحمد ٢/ ٥٤٨ ، النبوات ص١٣٩ .

المبحث الأول
ظاهرة التصحيح عند الشيعة

إن ظاهرة التصحيح في بعض عقائد الشيعة أو أعمالها ، لا سيما تلك العقائد والأفكار التي سببت الخلاف بين الفرق الإسلامية ، والتي تتناقض مع أصول الإسلام ومبادئه ؛ إن هذه الظاهرة تمثل حلقة من حلقات الصراع التاريخي بين الحق والباطل .

لقد اكتشف مجموعة من كبار القوم – أقصد الرافضة – ، اكتشفوا فساد المذهب ، وبدأوا يعيدون دراسة مذهب أجدادهم وقومهم . وهؤلاء وإن كانوا ليسوا على مرتبة واحدة في الوصول إلى الحقيقة، لكنهم بدأوا يفكرون بما هم عليه ، ويدرسون دينهم دراسة المراجع والناقد، وهذا أول الغيث ، كما يقال.

وعلى النقيض من ذلك ، نجد هناك من يدعو إلى التقارب بين أهل السنة والرافضة ، باسطاً يديه لأئمة التقية من الروافض ، ولو تأمل مقالات هؤلاء المصححين للمذهب ، لما تبنى هذه الدعوة .

التعريف بأشهر المصححين :

من أشهر المصححين في المذهب الرافضي:

– **د. علي مظفريان** : من الأطباء الجراحين المشهورين في مدينة شيراز ، وهو في الأصل من أهالي "بندر لنجة" . تحوَّل من المذهب الشيعي إلى السني في عهد الشاه . وبعد الثورة اشترى بيتًا في شيراز بالتعاون مع عدد

من أهل السنة من أبناء المدينة، وحوّله إلى مسجد ، وصار خطيبًا فيه، ولكنه اعتقل عام ١٩٩٢م ، بعد تعرّضه لعملية تعذيب رهيبة [١].

- **أحمد الكسروي** : هو أحمد مير قاسم بن مير أحمد الكسروي. ولد في تبريز، عاصمة أذربيجان، وتلقى تعليمه في إيران ، وتولى عدة مناصب قضائية، ثم تولى منصب المدعي العام في طهران، له كتب كثيرة، ومقالات منتشرة في الصحف الإيرانية، من أهمها بالعربية (التشيع والشيعة) ، والذي أوضح فيه بطلان المذهب الشيعي. ضُرِب بالرصاص عدة مرات ، آخرها سنة ١٣٢٤هـ ، وطعن مع الضرب بخنجر فمات على إثره، وكان في جسمه تسعة وعشرون جرحاً.[٢]

-"**أبو الفضل البرقعي** . تلقى العلم في إيران ، ونال درجة الاجتهاد في المذهب ، وله مئات التصانيف والمؤلفات والبحوث والرسائل ، ثم اهتدى بفضل الله إلى الحق. ولقد عانى بسبب ذلك؛ فسجن ، ونفي بعد تعذيبه ، ثم اغتيل على يد نفر من حرس الثورة ، الذين كلفوا باغتياله، وهو يصلي ، وكان قد ناهز الثمانين. وفي المستشفى صدر الأمر بعدم معالجته ،فغادر إلى منزله ،ثم اقتادوه إلى السجن في "إوين"؛ أقسى السجون السياسية في إيران، وأمضى قرابة سنة. وقد توفي رحمه الله عام ١٩٩٢م ، وأوصى ألا يدفن في مقبرة الشيعة . [٣]

---

(١) انظر مقدمة كتاب كسر الصنم ، ص١٥ .

(٢) انظر :كتاب حتى لا تنخدع ،عبدالله الموصلي ، ص٧ جريدة الأنباء الكويتية ١٦/ ٦/ ١٩٩٠م، وانظر أيضاً : .www.ansar.org/books .

(٣) انظر مقدمة كتاب "كسر الصنم" ، د.عبدالرحيم ملا زاده البلوشي ، ص٢٤.

- مصطفى طبطبائي : رجل تخرج من حوزات الشيعة في قم، وبلغ رتبة الاجتهاد عندهم، ثم ما لبث أن ترك التشيع ". [(١)]

- (أحمد الكاتب): أحمد الكاتب من مواليد كربلاء سنة ١٩٥٣م بالعراق، أحد رجالهم الذين نفوا ولادة ما يسمى عندهم - بالمهدي المنتظر - (الامام الثاني عشر) ، ونقض الروايات التاريخية التي تقوم عليها هذه العقيدة رواية رواية. استدعي للتحقيق معه، وفي آخر جلسة من جلسات التحقيق ضُرِب بالرصاص، وطعن بخنجر ، فمات على إثر ذلك سنة ١٩٤٦م .[(٢)]

- ابن أبي الحسن الأصفهاني: كان أبوه من أكبر أئمة الشيعة، من بعد عصر الغيبة الكبرى، وسيد علمائهم بلا منازع . أراد تصحيح المنهج الشيعي من الخرافات التي دخلت عليه، فلم يرق ذلك لقومه ، فقتلوا ابنه ليصدوه عن منهجه ، في تصحيح الانحراف الشيعي.[(٣)]

- حسين الموسوي: ولد في كربلاء ، ونشأ في بيئة شيعية، ودرس في مدارس كربلاء والنجف. نال درجة الاجتهاد، وقرأ كثيراً، حتى هداه الله تعالى إلى الحق ، وقرر البقاء في العراق. ألَّف كتاب "لله ثم للتاريخ : كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار" . قال في مقدمته: "أسأل الله تعالى أن يجعل

---

(١) انظر مقدمة كتاب كسر الصنم ، ص١٥.

(٢) انظر مقدمة كتاب كسر الصنم ، ص١٦.وانظر: أعلام التصحيح والاعتدال، ص١٥٧.

(٣) انظر مقدمة كتاب كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار ،حسين الموسوي ،ص٩.

كتابي هذا حافزاً في مراجعة النفس،وترك سبيل الباطل، وسلوك سبيل الحق". [(١)]

- د.موسى الموسوي : من أشهر علمائهم المصححين ، وكتب كتباً في هذا الاتجاه منها : (الشيعة والتصحيح) ، و(عقيدة الشيعة الإمامية في أصول الدين وفروعه في عهد الأئمة وبعدهم)، وقد جعل له اسماً آخر هو: (الصرخة الكبرى)، و(ياشيعة العالم استيقظوا) و(الثورة البائسة) ، وغيرها من الكتب. [(٢)]

- محمد حسين فضل الله: مرجع شيعي لبناني، له مقلدون في جميع أنحاء العالم. أدرك أن بعض الأطروحات العقدية والتاريخية التي كان يدافع عنها صغيرًا، ويدعو إليها ، لم تكن ترقى للحقيقة . وهو مرجع عالم مرموق في الأوساط الشيعية.

ولد في ضاحية الكرادة، في العاصمة بغداد عام ١٩٣٦م ، وتخرج من كلية الآداب في جامعة بغداد عام ١٩٥٨م . تعرض للاغتيال عام ١٩٨٥م [(٣)]

- حسن نوري سلمان العلوي: كاتب وباحث عراقي، تحظى كتبه بدائرة انتشار واسعة، وكان العراقيون يستنسخون سرًّا أي كتاب يصدره، في حين كان العثور على نسخة من كتبه يقود صاحب المكتبة والقارئ إلى سجن طويل.

---

(١) انظر مقدمة كشف الأسرار ،ص ٥-١٠.

(٢) انظر في أعماله ومؤلفاته للاستزادة : www.ansar.org/books.

(١) انظر الحوزة العلمية تدين الانحراف، ص٢٧،٢٨ ، نقلا عن كتاب ربحت الصحابة، ص٥٨.

له العديد من الكتب والمؤلفات، آخرها "عمر والتشيُّع". عمل رئيسًا لتحرير مجلة (ألف باء) ، قبل أن يغادر العراق إلى المنفى في فترة مبكرة من حكم الرئيس العراقي الراحل صدام حسين.

يمكن أن يطلق عليه أنه أحد المصححين، وكما يقول هو عن نفسه :أنا مغضوب علي شيعيًّا من قبل الإسلاميين الشيعة. تميزت كتاباته بالإنصاف والعدل في الحديث عن الصحابة رضوان الله عليهم . آخر كتبه (عمر والتشيع).[1]

- أبو خليفة علي بن محمد القضيبي: معاصر، نشأ في بيت شيعي يتقرب إلى الله كما يقول هو : بخدمة المذهب. وهو وجميع أهله من مقلدي السيد الخوئي، المرجع الأعلى وزعيم الحوزة العلمية بالنجف، ثم هداه الله إلى الحق والتحول إلى عقيدة أهل السنة والجماعة.

كان أول اصطدام له مع المذهب -على حد تعبيره- هو الجانب الخلقي، وحدّده بثلاثة أمور: سب الصحابة ولعنهم، والمتعة، ودعاء غير الله.

من مؤلفاته التي وقفت عليها: ربحت الصحابة ولم أخسر آل البيت.[2]

---

(٢) انظر عمر والتشيع، دار الزوراء،لندن، والتعريف بالمؤلف من كتابات الدار نفسها.

(١) مكتبة الآل والصحب.www.alaal.net

المبحث الثاني
أهم موضوعات التصحيح

أشهر الموضوعات التي تناولها بعض علماء الشيعة بالتصحيح ، ما يلي:

١ -نقض كتاب الكافي ، وبعض أشهر كتبهم :

ألف أبو الفضل البرقعي كتاباً أسماه (كسر الصنم). ويقصد بالصنم "كتاب الكافي"[١]، للكليني[٢] . ويمثل كتاب (الكافي) عند الرافضة أحد أصحّ الكتب المعتمدة عندهم .

أما البرقعي "المهتدي" فيرى أنّ كتاب (الكافي) يمثّل صنماً ، يمنع تحقق وحدة المسلمين، ولا بد من كسره ، والعودة إلى التوحيد ، لتتحقق الوحدة.

---

(١) انظر في التعريف به: الذريعة (١٧/ ٢٤٥)، مستدرك الوسائل(٣/ ٤٣٢)، مقدمة الكافي، وسائل الشيعة (٢٠/ ٧١). وقد أشارت هذه المصادر إلى أن هذا الكتاب أصح الكتب الأربعة المعتمدة عندهم، وأنه كتبه في فترة الغيبة الصغرى ، التي بواسطتها يجد طريقاً إلى تحقيق منقولاته . مع أنه الكتاب الوحيد الذي ورد فيه أساطير الطعن في كتاب الله. يقول الشيخ محمد منظور نعماني: "إن الكليني وُجد في زمان أطلق عليه بالمصطلح الاثني عشري زمان الغيبة الصغرى ، أي في الوقت الذي كان فيه السفراء يحملون الأسرار الخاصة ، ويتوافدون على الإمام الغائب (الإمام المهدي). ومن المعروف لدى علماء الشيعة -كما جاء في بعض كتبهم- أن أبا جعفر الكليني بعد أن ألف كتابه هذا وصل إلى الإمام الغائب من خلال سفيرٍ خاص ، وقد شاهد الكتاب ، وصدَّق عليه ، ووثّقه ، وقال: هذا كافٍ لشيعتنا". ص ١١ الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام.

(٢) الكليني :هو محمد بن يعقوب بن إسحق الكليني البغدادي. من فقهاء الشيعة. من مؤلفاته: الكافي. توفي سنة ٣٢٩هـ. انظر معجم المؤلفين (١٢/ ١١٦).

قال أبو الفضل البرقعي عن الكافي :" إن لكل قوم صنماً خاصاً بهم ، وذلك الصنم قد يكون حجراً أو شجراً أو إنساناً ، أو يكون كتاباً ، فكل ما يجعل الإنسان منحرفاً عن مسيرة العقل الصحيح ، وينتج عنه التعصب الذميم ، يمكن أن يسمى صنماً . ومن ذلك أيضاً كتاب "أصول الكافي" ، الذي يخالف القرآن في معظم محتوياته وموضوعاته ؛ فإن هناك فئة يعدون موضوعاته وحياً إلهياً ، بل يعدونه أعلى من كتاب الوحي ، فهم لا يعدون القرآن كافياً ، في حين أنهم يعدون هذا (الكافي) كافياً لسعادتهم ، ويتعصبون لهذه العقيدة ... إن هذا الكتاب يجمع المتناقضات والأضداد، ويضم بين دفتيه من الخرافات ما لايحصى".[1] .

وقد نقض رحمه الله جميع الروايات التي ((تخالف القرآن والعقل في أصول الكافي وفروعه)).[2] سنداً ومتناً.

وبعد ، فليس بعد شهادة من كان منهم، ومن علمائهم ، ووصل إلى رتبة الاجتهاد عندهم ، ليس بعد شهادته شهادة ، وقد أنصف القوم من كان منهم .

٢-نقض قول الرافضة بتحريف القرآن :

قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[سورة الحجر٩].

تكفل الله تعالى بحفظ الذكر الحكيم من أي تلاعب أو تحريف .

---

(١) انظر مقدمة كتاب كسر الصنم ، لأبي الفضل البرقعي ، ص٢٩.

(٢) انظر مقدمة الكتاب ص ٤٢.

أما مصادر الرافضة نفسها ، فقد اختلفت حول هذا الموضوع؛- القول بتحريف القرآن-؛ فابن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ) يرى أن القرآن هو ما بين الدفتين لم يزد فيه ولم ينقص.[١]، وإلى هذا القول ذهب جمع من الرافضة، منهم الطوسي[٢] والطبرسي[٣].

أما شيخهم المفيد (ت ٤١٣هـ) ؛ تلميذ ابن بابويه القمي : فله رأي آخر، شايعه عليه جماعة أيضاً، حيث قال باختلاف القرآن، وأنه حُذف منه وأنقص.[٤].

وقد ذهب إلى هذا شيخهم علي بن إبراهيم القمي[٥] ، وهو شيخ الكليني صاحب الكافي، وتفسيره مملوء بهذه الادعاءات[٦]، ومن بعد القمي جاء تلميذه الكليني (ت ٣٢٨هـ أو ٣٢٩هـ) الملقب عندهم بـ (ثقة الإسلام) ، فروى روايات عدة بهذا المعنى في كتابه "الكافي" ، دون أن يتعرض لها بقدح ، مع قوله -أول كتابه- أنه يثق بما رواه[٧].

---

(١) الاعتقادات ١٠١-١٠٢.

(٢) التبيان (١/ ٣).

(٣) مجمع البيان (١/ ٣١).

(٤) أوائل المقالات ص ٥٤.

(٥) علي بن ابراهيم القمي : علي بن ابراهيم بن هاشم القمي أبو الحسن . من مشايخ الرافضة الكبار . توفي بعد ٣٠٧هـ انظر : الفهرست للطوسي ص١١٩ ، تنقيح المقال (٢/ ٢٦٠) .

(٦) انظر على سبيل المثال (١/ ٤٨، ١٠٠، ١١٨، ١٤٢)، (٢/ ٢١، ١١، ١٢٥) وغيرها.

(٧) انظر مقدمة الكافي ص ٩.

لكن ابن بابويه القمي[١] حكم بوضع ما روي في تحريف القرآن مع وجودها في الكافي.[٢] وهي دعوى لا سند لها، سوى عقائدهم التي ليس لها أصل في كتاب الله تعالى، ولهذا كان ما أعلنه ابن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ) من براءة الشيعة من هذه العقيدة كما ذكرت، ونقل ذلك عن شيوخه الشيعة؛ كالطوسي والطبرسي.

ولكن هذه القضية لم تمت، ففي القرن السادس أثارها الطبرسي[٣] صاحب كتاب "الاحتجاج"[٤]، وذكر أن المسألة محل إجماع قومه، لذلك جرد الروايات من أسانيدها. ونشطت هذه الدعوى -دعوى النقص والتغيير في كتاب الله- في عهد الدولة الصفوية، حيث إن شيوخ الدولة الصفوية[٥] تولوا نشر هذه الفرية على نطاق واسع، في ظل الحكم الصفوي.

---

(١) ابن بابويه: هو أبو جعفر القمي الملقب بالصدوق محمد بن علي بن الحسن توفي سنة ٣٨١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣٠٣)، رجال الحلي ص١٤٧.

(٢) ومن طبقة الكليني أيضاً: العياشي في تفسيره " تفسيرالعياشي"، وفرات بن إبراهيم في تفسيره المسمى "تفسير فرات"، ومن هذا القرن أيضاً محمد بن إبراهيم النعماني في كتابه "الغيبة".

(٣) هو طبرسي آخر، كان معاصراً لأبي الفضل الطبرسي صاحب "مجمع البيان"، الذي ينكر هذه المقالة ويبرئ الشيعة منها.

(٤) ص ١٤.

(٥) كالمجلسي في "بحار الأنوار"، والكاشاني في "تفسير الصافي"، والبحراني في "البرهان، ونعمة الله الجزائري في "الأنوار النعمانية"، وغيرهم كثير.

وفي آخر القرن الثالث عشر ألف شيخهم "حسين النوري الطبرسي"[١] مؤلفاً في هذه الدعوى، جمع فيه كل ما لهم من روايات مزعومة في هذا الباب، وسماه "فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب"[٢]. وقد ثبت في الكتاب العداوة المبيتة للقرآن وأهله، وخبايا الرافضة[٣].

ومع ذلك قام فئة من شيوخ الشيعة المعاصرين بإنكار هذه المقالة ونسبتها إليهم، مثل: محسن الأمين في "الشيعة بين الحقائق والأوهام"[٤]، ومحمد حسين آل كاشف الغطاء في "أصل الشيعة وأصولها"[٥]، ومحمد جواد مغنية في "الشيعة في الميزان"[٦].

وعن تصحيح هذه الفرية يقول د. موسى الموسوي: " تحريف القرآن يصطدم بعقبة كبيرة لدى أعلام الشيعة أيضاً، وهي إقرار الإمام علي في أيام

(١) حسين النوري الطبرسي: المتوفي سنة ١٣٢٠هـ، صاحب أحد المصادر الثمانية -وهو أخرها-: " مستدرك الوسائل "؛ حيث يعد من ضمن المجاميع الأربعة المتأخرة التي ارتضاها المعاصرون. انظر: الذريعة (٢/ ١١٠-١١١).

(٢) انظر: فصل الخطاب ص ٢.

(٣) انظر: نماذج من روايات التحريف في كتب الشيعة: الاحتجاج ص ١٥٦، للطبرسي -من علماء القرن السادس-، البرهان المقدمة ص ٣٧، بحار الأنوار (١٩/ ٣٠، ٩٢/ ٥٢، ٥٥، ٦٠)، (٢/ ٢١٤)، (٤٢/ ١٧)، تفسير الصافي (١/ ٤١)، تفسير العياشي (١/ ١٣)، أصول الكافي (١/ ٤١٧، ٤٢١)، (٢/ ١٣٤، ٦٢٧)، تفسير القمي (١/ ١٥٩، ١١٠، ٤٨، ١١، ١٠)، وانظر الوشيعة ص ١٢٣.

(٤) ص ١٦٠.

(٥) ص ٨٨.

(٦) ص ٥٨، وانظر أجوبة مسائل موسى جار الله، ص٢٩ وما بعدها.

خلافته بهذا القرآن الموجود بين أيدي المسلمين . ولكن الفكرة تأخذ طابعاً حزيناً ، عندما ينشر الناشرون كتباً ألفها بعض علمائنا في التحريف، وتوزع الكتب تلك على الناس ، أو تستل منها مقتطفات لتذكر في كتب أخرى ، ويطلع عليها المسلمون جميعاً. ومن هنا نوجه نداء التصحيح إلى كل الناشرين في البلاد الشيعية ، كي يقلعوا عن نشر كتب كهذه ، لأنها كتب تخالف كتاب الله ونصوصه، وتضر بسمعة الإسلام وكتابه الكريم ، الذي هو الدستور الخالد للمسلمين، فإذا ما أصابه وهن أصابهم ، وإذا أصابته قوة أصابتهم . فإن الرأي السائد لدى الأكثرية من فقهاء الشيعة هو عدم التحريف" (١).

٣- نقض قولهم في الإمامة والخلافة :

تعد الإمامة أو عقيدة الإمامة من أهم ما يتميز به الرافضة من العقائد ، وقد انحرفوا فيها على نواحٍ عدة ، فهم يرون أنه ما كان في الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام ، ليقود المسلمين في شئونهم الدينية بصفة خاصة ، لأن النبي ﷺ عندهم إنّما بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق ، فلا يجوز أن يفارق الأمة ويتركها هملاً ، يرى كل واحد منهم رأياً ، بل يجب أن يعين شخصاً هو المرجوع إليه ، وينصّ على واحد هو الموثوق والمعوّل عليه .

والقول بالإمامة متّفق عليه بين شيوخ الرافضة منذ القدم .

---

(١) انظر الشيعة والتصحيح ، ص١٣٤ .

فهذا ابن بابويه يصرح في عقائده عن الشيعة : أنهم ((يعتقدون أن لكل نبي وصيًّا ، أوصى إليه بأمر الله تعالى...)) [(١)] .

وقد عنون الكليني في بعض أبواب الكافي: ((باب أن الإمامة عهد من الله عز وجل ، معهود من واحد إلى واحد)) [(٢)]، و"باب ما نصّ الله عز وجل ورسوله على الأئمة واحداً فواحداً"[(٣)]. وفي هذه الأبواب أورد العديد من الروايات التي يعدونها أدلة على الإمامة والنّص عليها .

بل إنه لا فرق عندهم بين النبي والإمام . وفي هذا يقول المجلسي: ((... ولا يصل عقولنا فرق بين النبوة والإمامة)) [(٤)] .

وتتعدد الروايات عندهم ، فتذهب بعض طوائف الرافضة إلى أن الإمامة من أجلّ الأمور بعد النبوة[(٥)] ، وعند الكليني في الكافي "تعلو على مرتبة النبوة" [(٦)] ، وعند البعض الاخر منصب إلهي كالنبوة" [(٧)] . بل لقد صرح أحد علمائهم بأن الإمامة منصب وراثي ، وأورد العديد من الروايات التي تؤكد مذهبه ؛ من ذلك ما رواه عن علي رضي الله عنه ، عن

---

(١) عقائد الصدوق ، ص١٠٦ .
(٢) أصول الكافي (٢ / ٢٢٧) .
(٣) أصول الكافي (١ / ٢٨٦) .
(٤) بحار الأنوار (٢٦ / ٨٢) .
(٥) فرق الشيعة ، ص١٩ .
(٦) أصول الكافي (١ / ١٧٥) .
(٧) أصل الشيعة وأصولها ، ص ٥٨ .

النبي ﷺ قال: ((**يا علي أنت أخي وأنا أخوك ... أنت وصيي وخليفتي ووزيري ووراثي ...**)) [(١)]

وهكذا، وكما يقول د.موسى الموسوي :((فالإمامة هي الحجر الأساسي في المذهب الشيعي الإمامي، ومنها يتفرع كل ما هو مثار للجدل والنقاش. فالرافضة الإمامية تعتقد أن الخلافة في علي بعد رسول الله ﷺ ،ومن بعد علي في أولاده حتى الإمام الثاني عشر[(٢)]، الذي هو محمد بن الحسن العسكري[(٣)] الملقب بالمهدي . وأن رسول الله ﷺ ألمح إلى خلافة علي من

---

(١) أمالي الصدوق ، ص٢٩٥ نقلاً عن التشيع ، عبدالله الغريفي ، ص١٢٢ .

(٢) هؤلاء الأئمة الاثنا عشر الذين يزعمون أنهم أئمتهم ، هم: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ويكنى بأبي الحسن ، ويلقب بالمرتضى (٢٣ قبل الهجرة -٤٠هـ)، ثم الحسن بن علي وكنيته أبو محمد ، ويلقب بالزكي ، وقيل : بالمجتبى (٢-٥٠هـ)، ثم الحسين ابن علي وكنيته أبو عبد الله ويلقب بالشهيد (٣-٦١هـ)، ثم علي بن الحسين ويكنى بأبي محمد ،ويلقب بزين العابدين أو السجاد (٣٨-٩٥هـ)، ثم محمد بن علي وكنيته أبو جعفر، ويلقب بالباقر (٥٧-١١٤هـ)،ثم جعفر بن محمد وكنيته أبو عبد الله ، ويلقب بالصادق (٨٣-١٤٨هـ)،ثم موسى بن جعفر، وكنيته أبو إبراهيم ويلقب بالكاظم (١٢٨-١٨٣هـ)، ثم علي بن موسى وكنيته أبو الحسن ، ويلقب بالرضا (١٤٨-٢٠٣هـ) ، ثم محمد بن علي ، وكنيته أبو جعفر ، ويلقب بالجواد أو التقي (١٩٥-٢٢٠هـ)، ثم علي بن محمد، وكنيته أبو الحسن ، ويلقب بالهادي أو النقي (٢١٢-٢٥٤هـ) ، ثم الحسن بن علي وكنيته، أبو محمد، ويلقب بالعسكري أو الزكي (٢٣٢-٢٦٠هـ)،ثم محمد بن الحسن، وكنيته أبو القاسم ،ويلقب بالمهدي أو الحجة القائم المنتظر ، ويزعمون أنه ولد سنة ٢٥٥ أو ٢٥٦هـ ، ويقولون بحياته إلى اليوم. انظر: أصول الكافي ١/ ٤٥٢ وما بعدها ، تعريف بمذهب الشيعة الإمامية ، ص١٠-١١ ، مقالات الإسلاميين للأشعري (١/ ٩٠-٩١) ، الملل والنحل (١/ ١٦٩)، والموسوعة الميسرة (١/ ٥٥-٥٦)، قاموس المذاهب والأديان ١١-١٦.

(٣) محمد بن الحسن، وكنيته أبو القاسم ، ويلقب بالمهدي أو الحجة القائم المنتظر ، ويزعمون أنه ولد سنة ٢٥٥ أو ٢٥٦هـ ويقولون بحياته إلى اليوم. انظر: الكافي للكليني (١/ ٥١٤) ، والمفيد في الإرشاد ص ٣٩٠.

بعده في مواطن كثيرة، ونص على ذلك في مواطن أخرى ، أشهرها في موقع يسمى (غدير خم)[1] عند رجوعه من حجة الوداع ، حيث عقد البيعة لعلي وقال: ((**من كنت مولاه فهذا علي مولاه . اللهم وال من والاه وعاد من عاده**))[2] . وكان ذلك حسب زعمهم في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عام ١٠هـ .

والرافضة إلى يومنا هذا يحتفلون بهذا اليوم ، ويطلق على هذا اليوم اسم (عيد الغدير).[3]

أما أهل السنة فيرون أن الرسول الكريم ﷺ ذهب إلى الرفيق الأعلى ، ولم يستخلف أحداً من بعده ، وجعل الأمر شورى بين المسلمين .[4]

هذا هو حقيقة الخلاف بين أهل السنة والرافضة .

ولكن المشكلة الكبرى كما يقول د.موسى الموسوي ، هي ((أن هذا الخلاف لم يتوقف عند هذا الحد ، بل تجاوز حدود البحث العلمي والاختلاف في الرأي، فاتخذ طابعاً حاداً ، عندما بدأ الرافضة يجرّحون في

---

(١) غدير خم موضع بين مكة والمدينة تصب فيه عين . وقد مر عليه النبي صلى الله عليه وسلم في طريق عودته من حجة الوداع. انظر النهاية لابن الأثير (٢ / ٨١)

(٢) انظر : بحار الأنوار (٣٧/ ٢٢٥) . وقد تعرّض لهذا الحديث معظم أهل السنة الذين ردوا على الروافض .انظر :الإمامة والرد على الرافضة ، لأبي نعيم، ص١٣، ومنهاج السنة (٤/ ٩-١٦ / ٨٤ ،٨٧) وروح المعاني للألوسي (٦/ ١٩٢-١٩٩).

(٣) انظر الشيعة والتصحيح ، ص٩ ، ١٠.

(٤) انظر تفصيل مذهب أهل السنة في الإمامة ، في : منهاج السنة (١ / ١٣٩ – ١٤١) . الإمامة العظمى ، ص٥١ ، ٥٢ .

الخلفاء الراشدين وبعض أمهات المؤمنين ، بعبارات لا تليق أن تصدر من مسلم)) . (١)

إن ماروواه الرافضة في حق الخلفاء وصحابة رسول الله ﷺ ، يصطدم اصطداماً كبيراً مع سيرة علي رضي الله عنه وأهل بيته .

وقد أكد علي رضي الله عنه شرعية بيعة الخلفاء رضوان الله عليهم ، بقوله :((إنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه ... وإنما الشورى للمهاجرين والأنصار ، فإن اجتمعوا على رجل وسموه اماماً ، كان ذلك لله رضى)) (٢).

ومما قاله علي رضي الله عنه [فيما يروونه عنه] ،عندما أرادوا أن يستخلفوه : " دعوني والتمسوا غيري"(٣) ، وقوله : ((والله ما كانت لي في الخلافة رغبة ولا في الولاية أربة)) (٤).

فهل بعد كل هذا يُشكّ في شرعية استخلاف الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ، وأنهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة : أبو بكر ﷺ ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم عليّ رضي الله عنهم أجمعين .

يقول د. موسى الموسوي مصححاً هذا الاعتقاد :((إن موضوع الخلافة يجب وينبغي أن لا يخرج عن إطاره الحقيقي الذي نص عليه القرآن الكريم ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾﴾[الشورى٣٨]، وأن تنظر الشيعة

---

(١) انظر الشيعة والتصحيح ، ص١٠.
(٢) نهج البلاغة ٣/ ٧ .
(٣) نهج البلاغة ١/ ١٨٢ .
(٤) نهج البلاغة ٢/ ١٨٤ .

إلى الخلفاء الراشدين بنفس النظرة والطريقة التي أقرها علي، نزولاً عند نص القرآن الكريم وإجماع المسلمين . ولا يجوز تجريح الخلفاء وذمهم بالكلام البذيء الذي نجده في أكثر كتب الشيعة ، الكلام الذي يغاير كل الموازين الإسلامية والأخلاقية ، ويناقض حتى كلام الإمام علي ومدحه وتمجيده. ولابد من غربلة الكتب الشيعية التي ذكرت روايات عن أئمة الشيعة في ذم الخلفاء الراشدين، وإعادة طبع تلك الكتب منقحة مغربلة مما ورد فيها. وأن تعلم الشيعة في كل مكان تتواجد فيه على هذا الكوكب أن السبب الحقيقي والأساسي لتخلفها الفكري والاجتماعي ، هو السير وراء زعاماتها المذهبية ، وطاعتها طاعة عمياء ، جعلتهم كالأغنام تساق حيثما تريد. وحتى هذا اليوم فإن الزعامات المذهبية الشيعية لعبت بالشيعة كالكرة ، فرمتها بأقدامها هنا وهناك ، وهم بها ساخرون ،وجعلت منها أمة يسخر بها العالم وتضحك منها الأمم)).[1]

٤ -نقض التقية:

التقية عند الرافضة كما عرفها المفيد : هي كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه، وكتمان المخالفين ، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين أو الدنيا[2].

فالتقية هي الكتمان للاعتقاد خشية الضرر من المخالفين ؛ وهم أهل السنة ، كما هو الغالب في إطلاق هذا اللفظ عندهم .

---

(١) انظر الشيعة والتصحيح ، ص٤٦ وما بعدها .

(٢) شرح عقائد الصدوق ص٢٦١ .

والتقية ليست رخصة بل هي ركن من أركان الدين ، قال ابن بابويه : ((اعتقادنا في التقية أنها واجبة ، من تركها بمنزلة من ترك الصلاة)) [1].

بل جعلوها هي الدين كله ، ولا دين لمن لا تقية له . جاء في أصول الكافي أن جعفر بن محمد قال : ((إن تسعة أعشار الدين في التقية ، ولا دين لمن لا تقية له)) [2].

ولقد عبر الدكتور موسى الموسوي عن التقية بقوله : ((إن التقية تعني أن تقول شيئاً وتضمر شيئاً آخر ، أو تقوم بعمل عبادي أمام سائر الفرق الإسلامية ، وأنت لا تعتقد به ، ثم تؤدّيه بالصورة التي تعتقد به في بيتك . وهي فكرة ظهرت في أواسط القرن الرابع الهجري، بعد الإعلان عن غيبة الإمام الثاني عشر ، وفي مستهل ظهور عصر الصراع بين الشيعة والتشيع ، أرادت الزعامات الشيعية المذهبية والسياسية والفكرية أن تتخذ العمل السري للقضاء على الخلافة العباسية الحاكمة والإعلان بعدم شرعيتها ، فأضيفت فكرة النص الإلهي إلى الخلافة ، وأصبحت منذ ذلك الحين تشغل حيزاً كبيراً من صميم العقيدة . وقد كان للتقية دور كبير في إسناد الزعامات المذهبية الشيعية التي ظهرت بعد الغيبة الكبرى . فبالتقية استمرت تلك الزعامات في نشاطها ، وفي مأمن من السلطة الحاكمة ، كما أن الأموال كانت تصل إليها تحت غطاء التقية أيضاً .... -ويضيف قائلاً:- لقد كانت التقية من أهم الأسباب التي أدّت إلى التخلف الفكري

---

(١) الاعتقادات ص١٤ .

(٢) ٢/ ٢١٧ .

والاجتماعي والسياسي للمجتمعات أينما وجدت ، فقد سرت في دمائهم ، ومنعتهم من الظهور بالمظهر الذي كانوا عليه خوفاً أو خجلاً . ولقد لعبت دوراً كبيراً في إبقاء الشيعة بعيدة عن الفرق الإسلامية الأخرى ،كما أنها تسببت في رميها بأمور عجيبة وغريبة . إن التقية في الفكر الشيعي تجاوزت عامة الناس واستقرت في أعماق قلوب القادة من زعماء المذهب، الأمر الذي كان السبب في دعوتنا لتخليص الشيعة من تلك الزعامات . فعندما يرتضى القائد الديني لنفسه أن يسلك طريق الخداع مع الناس في القول والعمل باسم التقية ، فكيف ينتظر الصلاح من عامة الناس ؟)) [١]

وفي هذا يقول مصححاً: ((ينبغي على الشيعة في كل الأرض أن تقف من التقية موقف الإنسان الكريم ،الذي يحترم عقيدته وذاته ،ويجب أن يكون متصفاً بالإباء والشيم ، التي هي من الأخلاق الفاضلة، وأن يفكر ملياً في الآثار النفسية التي تحدث له هذه الازدواجية في الشخصية، والاضطراب بين القول والفعل، والتي تتنافى مع الصدق ، وتتناقض مع صفات المسلم المخلص . إن على الشيعة أن تجعل نصب أعينها القاعدة الأخلاقية التي فرضها الإسلام على المسلمين ، وهي أن المسلم لا يخادع ، ولا يداهن ، ولا يعمل إلا الحق ، ولا يقول إلا الحق، ولو كان عليه، وأن العمل الحسن حسن في كل مكان ، والعمل القبيح قبيح في كل مكان .

(١) انظر الشيعة والتصحيح ، ص٥٧،٥٦ .

وليعلموا أيضاً أن ما نسبوه إلى الإمام الصادق من أنه قال : التقية ديني ودين آبائي ، إن هو إلا كذب وزور ، وبهتان على ذلك الإمام العظيم)).[(١)]

٥ -نقض عقيدة المهدية .

من أهم معتقدات الشيعة القول بإمامة اثني عشر إماماً ،من نسل علي بن أبي طالب ، وهم يعتقدون أن الإمام الحادي عشر للشيعة ، وهوالحسن العسكري ،عندما توفي عام ٢٦٠هـ ، كان له ولد يسمى محمداً ، له من العمر خمس سنوات ، وأنه هو المهدي المنتظر .

ولهم روايات أخرى تقول إن المهدي ولد بعد وفاة والده الإمام العسكري . وحاصل الأقوال أن المهدي ، وبنص من والده ، تسلَّم منصب الإمامة بعد والده، وبقي مختفياً عن الأنظار طيلة خمسة وستين عاماً .[(٢)]

وفي تلك الفترة كان للشيعة نواب يتصلون بهذا الإمام ، هم : عثمان بن سعيد العمري، وابنه محمد بن عثمان ، وحسين بن روح ، وآخرهم علي بن محمد السيمري .

وهؤلاء الأربعة لقبوا بالنواب الخاصة ، وتسمى هذه الفترة بعصر الغيبة الصغرى. ثم زعمت الشيعة أنه في عام ٣٢٩هـ ، وقبيل وفاة علي بن محمد السيمري ، وصلت إليه رقعة موقعة كما يزعمون من الإمام المهدي ،

---

(١) انظر الشيعة والتصحيح ، ص ٥٩ ، وانظر أيضاً المتآمرون على المسلمين، ص١٥٣ وما بعدها.

(٢)انظر هذه الأقوال في : فرق الشيعة للنوبختي ، ص ٩٦ – ١١٢ ، وانظر الشيعة والتصحيح ، ص٦١.

وفيها : ((لقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد أن يأذن الله ، فمن ادَّعى رؤيتي فهو كذاب مفتر)) (١) .

ويعدّ هذا العام عند الشيعة بداية الغيبة الكبرى . إذ لم يعد هنالك اتصال للشيعة بالإمام.

يقول د.موسى الموسوي حول هذا الاعتقاد: ((ولو أن الاعتقاد بوجود المهدي بقي محصوراً في الإيمان بوجود إمام غائب من نسل رسول الله ﷺ ، يظهر في يوم ما ، ويملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، لكان المسلمون بخير ، ولكن ألصقوا إلى المهدي جناحين ، شوّهوا بهما صورة المهدي . البدعة الأولى : هي تفسير الخمس في أرباح المكاسب ، والبدعة الثانية : هي ولاية الفقية في المجتهدين . أما الخمس فيكاد يكون من المتفق عليه عند علماء المذهب الشيعي إنها تشمل أرباح المكاسب والغنائم معاً . إلا أن تفسير الغنيمة بأرباح المكاسب ، ظهر بعد الغيبة الكبرى بقرن ونصف في الكتب الشيعية . أما ولاية الفقيه فهناك من علماء المذهب من عارضها ، ولكن لها أنصارها)). (٢)

ثم يقول : ((وعلماء المذهب يعتمدون على فتح باب الاجتهاد، وعدم الأخذ بآراء الأموات من الفقهاء ، وعليهما يستند المجتهدون في وجوب التقليد على عوام الشيعة . ولم تنقطع القيادة المذهبية بين المجتهدين والعامة، وذلك بسبب فتح باب الاجتهاد ، ووجوب تقليد العوام لرأي المجتهدين .

---

(١) الغيبة ، النعماني ، ص١١٣

(٢) الشيعة والتصحيح ، ص٦٣.

ولقد أفتى فقهاء الشيعة بأن خمس الأرباح -الذي هو من حق الإمام الغائب- يجب تسليمه للمجتهدين والفقهاء الذين يمثلون الإمام . وهكذا سرت البدعة في المجتمع الشيعي تحصد أموال الشيعة في كل مكان وزمان . وكثير من الشيعة -حتى هذا اليوم- يدفع هذه الضريبة إلى مرجعه الديني)).[١]

أما ولاية الفقيه : فهي بدعة حلت محل الفكرة القائلة بأن الإمامة منصب إلهي أنيط بالإمام كخليفة لرسول الله ﷺ ، وأن الإمام حيّ ، ولكنه غائب عن الأنظار، ولم يفقد سلطته الإلهية بسبب غيبته، فهذه السلطة تنتقل منه إلى نوابه؛ لأن النائب يقوم مقام المنوب عنه في كل شيء .

وقد مثل داعيتهم "الخميني" الفقيه الشيعي في هذا العصر، حيث تقلد وظائف المهدي وصلاحياته بعد طول غيبتة . وفي هذا يقول : ((قد مرَّ على الغيبة الكبرى لإمامنا المهدي أكثر من ألف عام ، وقد تمر ألوف السنين ، قبل أن تقضي المصلحة قدوم الإمام المنتظر في طول هذه المدة المديدة ، هل تبقى أحكام الإسلام معطلة ؟ يعمل الناس من خلالها ما يشاؤون ؟ ألا يلزم من ذلك الهرج والمرج ؟ والقوانين التي صدع بها نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم وجهد في نشرها وبيانها ، وتنفيذها طيلة ثلاثة وعشرين عاماً، هل كان كل ذلك لمدة محدودة ؟ هل حدد الله عمر الشريعة بمائتي

---

(١) الشيعة والتصحيح ، ص٦٤،٦٣ .

عام مثلاً ؟ الذهاب إلى هذا الرأي أسوأ في نظري من الاعتقاد بأن الإسلام منسوخ)) [١]

وولاية الفقيه الشيعي عند الخميني كولاية رسول الله ﷺ، حيث يقول: ((فالله جعل الرسول ولياً للمؤمنين جميعاً ، ومن بعده كان الإمام (ع) ولياً، ومعنى ولايتهما أن أوامرهما الشرعية نافذة في الجميع .. ثم يقول : نفس هذه الولاية والحاكمية موجودة لدى الفقيه ، بفارق واحد هو أن ولاية الفقيه على الفقهاء الآخرين لا تكون بحيث يستطيع عزلهم أو نصبهم ، لأن الفقهاء في الولاية متساوون من ناحية الأهلية)) [٢]

وقد أصبح منصب الفقيه عند الخميني منصب يستحقه أكثر شيوخهم، حيث يقول: ((إن معظم فقهائنا في هذا العصر تتوفر فيهم الخصائص التي تؤهلهم للنيابة عن الإمام المعصوم)) [٣] .

وهذه الأقوال تدلّ على فساد مذهب الرافضة من أصله ، ذلك المذهب القائل بالنّص على إمام معين ، فها هم يخرجون عليه بما يسمّى ((عموم ولاية الفقيه)) ، بعد أن طالت غيبة هذا الإمام المزعوم، واستيأسوا من خروجه ؛ حيث أسند الخميني كلّ مهامه ووظائفه لنفسه ، ولبعض الفقهاء من بني جنسه ودينه ، حيث يرى ضرورة تولي مهام منصب الغائب في رئاسة الدولة . وكفى بهذا فساداً لمذهبهم .

---

(١) الحكومة الاسلامية ، ص٤٨

(٢) الحكومة الاسلامية ، ص ٥١

(٣) الحكومة الاسلامية ، (ص ١١٣).

يقـول د. موسـى الموسـوي : ((في أصـول العقيـدة لا يجـوز التقليـد ، ويجب أن يكون المسلم معتقداً ومؤمناً بها عن بصيرة ودراية . وعلى الشـيعة أن يعملوا بالاحتياط ، وليس في العمل الاحتياطي أي خروج على المذهب، أو مغايرة لإجماع فقهاء الشيعة . أما إذا حدثت للشيعة مسـائل مسـتحدثة ، وهي قليلة ؛ وأعني بها التي لم تتطرق إليها أبواب الفقه مـن قبـل ، فحينئـذ يمكن استشارة مجتهد أو مجتهدين لحلها)) .

وعن بدعة الخمس يقول : ((يظهر أن بدعـة الخمس بالمفهوم الشرعي، مع إصرار الفقهاء عليهـا ، لم تكـن دقيقـة . إنـما هـو مفهـوم مخـالف لسـنة الرسول، والخلفاء الراشدين، وأئمة الشيعة ؛ لأن الخمـس في الإسـلام هـو الخمس في الغنائم ، وليس في أربـاح التجـارة والمكاسـب قـط . ومـن هنـا أطالب الشيعة وأحثهم على أن لا يدفعوا هذه الضريبة ، التي ما أنزل الله بها من سلطان ، لأي فقيه ، وتحت أي غطاء)) .[1]

وعن ولاية الفقيه يقول : ((إننـي اعتقـد أنـه لم يسـبق لفكـرة دينيـة في التاريخ البشري ، كلفت البشرية من الدماء والأحـزان والآلام والـدموع ، بقدر ما كلفته ولاية الفقيه عند الشيعة، منذ ظهورها وحتى هذا اليـوم . ولا اعتقد أننا بحاجة لكي نطلـب مـن الشـيعة أن تقـاوم هـذه الفكـرة وتقـف ضدها ، فالفكرة ولله الحمد بدأت تنسف نفسها بنفسها ، وعندما يبدأ الهدم الداخلي يتفاعل في نظرية أو فكرة – بسـبب فشـلها في التطبيـق ، أو بسـبب

---

(١) انظر الشيعة والتصحيح ، ص٧٦-٧٧.

المآسي التي ترتكب باسمها - ، تكون النظرية في طريقها إلى الاضمحلال والزوال التام)).[١]

٦-إبطال الرجعة[٢]

قبل بيان معنى الرجعة ، أود أن أشير إلى مسألة مهمة ، وهي أن القول بعقيدة الغيبة عند الرافضة قد أفسح المجال لنموّ اعتقاد الرجعة، وذلك لطول الغيبة المزعومة عندهم ، وحتى تتأكد مسألة مهديهم المنتظر المزعوم ، وكأنها عقيدة حتمية ؛ حيث لا بد أن يأتي هذا المهدي المخلص المزعوم[٣].

والرجعة عند الرافضة تعني : رجعة كثير من الأموات إلى الحياة ، قبل يوم القيامة ، وعودتهم إلى الحياة بعد الموت في صورهم التي كانوا عليها[٤].

والرجعة عندهم من أصول المذهب[٥] ، وهي من العقائد الخاصة بهم ، وهي فرع من فروع عقيدة الإمامة ، وتعني : أن الإمام المهدي الغائب حين يظهر ويخرج من الغار في ذلك الوقت ، يبعث الرسول ، وأمير المؤمنين ،

---

(١) انظر : الشيعة والتصحيح ، ص٧٨، ياشيعة العالم استيقظوا، ص١٦ وما بعدها ، وانظر أيضاً : المتآمرون على المسلمين ، ص١٠٣ وما بعدها ، الثورة البائسة ، ص١٦٤ .

(٢) قال في القاموس : الرجعة هي الرجوع إلى الدنيا بعد الموت . القاموس المحيط (٣/ ٢٨) .

(٣) انظر في ذلك : الصلة بين التصوف والتشيع (١/ ١١٥) .

(٤) انظر : أوائل المقالات ، ص٥١ ، ٩٥ ، مع الشيعة الإمامية ، جعفر السبحاني ، ص١٣٥ وما بعدها ، الرجعة، أحمد الأحسائي ، ص٤٣- ٤٥ .

(٥) انظر : مجمع البيان ، الطبرسي (٥ / ٢٥٢) ، بحار الأنوار (٥٣ / ١٢٣) ، الإيقاظ من الهجعة ، ص٦٠ . وقد نقل الشيخ إحسان إلهي ظهير عن د . علي عبدالواحد وافي قوله : إن الرجعة ليست من العقائد المتفق عليها عندهم، ورد عليه بعدة ردود. انظرها في كتابه " الرد على د. علي عبدالواحد وافي ، في كتابه بين الشيعة وأهل السنة " ص١٦٤ ، ١٦٧ .

وفاطمة الزهراء ، والحسن ، والحسين ، وجميع الأئمة ، والخواص المقـربين؛ يبعث هؤلاء أحياء ، فيخرجون من قبورهم ، ويبـايعون المهـدي ، ويكـون رسول الله ﷺ ، وأمير المؤمنين علي أول من يبايعه . ويُبعث أبو بكر ، وعمر، وعائشة ، ومن والاهم ؛ من خواص الكفار والمنافقين -حسـب زعمهـم- أحياء ، فيتم عقابهم[1] .

ورووا في ذلك عن جعفر الصادق بن محمـد البـاقر : " لـيس منـا مـن لم يؤمن بكرتنا "[2] . وعن ابن بابويه : " واعتقادنا في الرجعة أنها حق "[3] .

وتعد الرجعة عند الرافضة أمرًا متفقًا عليـه ، وفي ذلـك يقـول المفيـد : ((واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات)) [4] .

وعند الرافضة أيضاً أنه لا بد من الإقرار بالرجعة واعتقادها ، وتجديـد الاعتراف بها في الأدعية والزيارات ويـوم الجمعـة ، وفي كـل وقـت ، تمامـاً كالإقرار بالتوحيد والنبوة والإمامة والقيامة[5] . وألفت في الرجعة المؤلفات المؤلفات العديدة[6] .

---

(١) انظر : تحفة العوام ص٥ باللغة الأردية ، والثورة الإيرانية في ميزان الإسلام ، ص١٩٠ .

(٢) من لا يحضره الفقيه ، (٣/ ٢٩١) ، وسائل الشيعة (٧ / ٤٣٨) ، بحار الأنوار (٥٣ / ٩٢) .

(٣) الاعتقادات ، ص٩٠ . وانظر بحار الأنوار (٣/ ٢٢٠) .

(٤) أوائل المقالات ، ص٥١ . وانظر : عقائد الإمامية ، ص٦٧ ، ٦٨ ، حـق اليقـين ، عبـدالله شـبر (٢/ ١).

(٥) انظر الإيقاظ من الهجعة ، ص٦٤ .

(٦) انظر أكثرها : الرد على د. علي عبدالواحد وافي ، في كتابه بين الشيعة وأهل السنة ، إحسان إلهـي ظهير ، ص١٧١ .

يقول د. موسى الموسوي عن هذا المعتقد: ((والفكرة شبيهة مع فارق كبير إلى الفكرة التناسخية التي جاء بها فيثاغورس[١] وتبناها الفيثاغوريون ، ولها أنصارها حتى اليوم وظهرت في مظاهر مختلفة ، وتعابير متفرقة ، ودخلت إلى بعض العقائد البدائية ، الذين كانوا وراء فكرة الرجعة لعلهم كانوا من المتأثرين بالفلسفة الفيثاغورية ، وأدخلوا الفكرة في المذهب ، وذلك بعد إجراء تحوير إسلامي عليها، شأنهم شأن كل المبدعين في العقائد والمذاهب. ولست أدري أيضاً متى دخلت فكرة الرجعة على وجه التحديد إلى الأوهام وألفت حولها الكتب، إلا إن الذي لا شك فيه أن ظهور مثل هذه الأفكار البعيدة عن التعقل ، ظهرت في عهد الصراع الأول بين الشيعة والتشيع ، حيث كانت السذاجة هي الطابع الغالب على الناس ، والميل إلى الأفكار الغلوائية البعيدة عن المنطق كان له سوق رائج)). [٢]

---

(١) المذهب الفيثاغوري : نسبة إلى فيثاغورس الإغريقي (نحو ٥٧٠-٤٩٧ق.م). والمعلومات عن فيثاغورس ضئيلة ، وما كتب عنه جاء عن طريق المعارضين ، من خلال كتابات أفلاطون وأرسطو. ويروى أن فيثاغورس هو الذي وضع لفظة فلسفة، وتعني حب الحكمة. وعنده أن الفلسفة أسلوب في الحياة يهيئ الروح للخلاص ، وأنها السير على درب الله ، أو أبوللو الداعي إلى المتوسط في الأمور ، والذي يتجسد في فيثاغورس. وعنده أن الروح خالدة ، وعلى البشر أن يعدوا أرواحهم ويطهروها تمهيداً لعودتها إلى الروح الكلية ، التي هي جزء منها ، وهي تعاليم تشبه تعاليم الأورفية. ووجدت الفيثاغورية لدى كثير من غلاة الشيعة والغنوصيين مجالاً لتعاليمها ، وسيطرت على كتابات إخوان الصفا، موسوعة الفلسفة والفلاسفة (٢/ ١٠٥٣-١٠٥٤) ، موسوعة الفلسفة ، عبدالرحمن بدوي (٢/ ٢٢٨).

(٢) انظر الشيعة والتصحيح ، ص١٤٢.

ويقول أيضاً مصححاً:

((ممّا ورد في زيارة الجامعة : فصل في زيارة الأئمة ، وهي التي تقرؤها الشيعة أمام قبور ومشاهد أئمتها ، عندما تذهب للسلام عليهم، وقد جاء في إحدى فقرات هذه الزيارة هذه العبارة: مؤمن بإيابكم ، مصدق برجعتكم ، منتظر لأمركم ، مرتقب لدولتكم)) [(١)].

((إن غربلة كتب الزيارة من كل هذه العبارات والمضامين التي تتغاير وتتناقض مع العقل السليم وروح الإسلام، ولا سيما تلك العبارات والجمل التي فيها تنقيص وتجريح وذم بالنسبة للخلفاء الراشدين وصحابة الرسول ، تقع في دائرة التصحيح العملي، وإن على الشيعة في كل الأرض أن تعي ما تقرأ كل الوعي، وأن لا تردد ما وضع تحت يدها من مطبوع أو مخطوط ، بذريعة أنها صدرت من أحد أئمة الشيعة . وإني لا أشك أن كثيراً من الزيارات التي نسبت إلى أئمتنا ، لو كان قد وصل إلى علمهم ، لأجروا حدّ الكذب والافتراء على واضعها ، وإن أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة المفترون . قال تعالى : ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴾ [سورة طه ٦٠])) .[(٢)]

---

(١) مفاتيح الجنان ، ص١٠٠٥ .

(٢) انظر الشيعة والتصحيح ، ص١٤٥.

٧-إبطال الغلو في الأئمة:

لقد غلا الرافضة في أئمتهم ، ونسبوا إليهم أموراً ، تجاوزوا فيها حدود البشرية . فاشترطوا في الإمام أن يكون عالماً بالغيب ، وأن يعلم ذلك من جهة الإلهام[١] .

وهذه صفات لا تكون إلا لله تعالى ، فأضفوها على الأئمة .

والأئمة عندهم يعلمون جميع العلوم ، فهذا الكليني عقد في كتابه باباً بعنوان " باب الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء والرسل "[٢] ، و " باب أن الأئمة يعلمون متى يموتون وأنهم لا يموتون إلا باختيارهم "[٣] ، و " باب أن الأئمة يعلمون علم ما كان وما يكون ، وأنه لا يخفى عليهم شيء "[٤]

روى المجلسي عن أبي جعفر أنه قال : ((الله أجل وأعز وأعظم وأكرم من أن يفرض طاعة بمن يحجب عنه علم سمائه وأرضه .. لا يحجب ذلك عنه))[٥] .

ومن غلوهم في أئمتهم التزموا حيالهم ما يلي :

◘ زيارة القبور (مراقد الأئمة).

---

(١) انظر : المعتمد في أصول الدين ، ص ٢٤٨ بتصرف ، وصب العذاب على من سب الأصحاب ، ص٤٨١

(٢) الكافي ص ٢٥٥

(٣) ص ٢٥٨

(٤) ص ٢٦٠

(٥) بحار الأنوار ٢٦ / ١٠٩ . وانظر كشف الأسرار للخميني ، ص٧٦.

لم يكن مستغرباً على الرافضة بعد أن غلوا هذا الغلو الفاحش ، أن يعظموا قبورهم ، ويتبركوا بها ، ويقدسوها .

جاء في الكافي وغيره : ((إن زيارة قبر الحسين تعدل عشرين حجة ، وأفضل من عشرين عمرة وحجة)) (1) . وهناك العديد من الروايات تصل إلى الآلاف ، وتذكر العديد من أصناف الثواب والأجر لمن زار قبور أئمتهم، ووقف على أضرحتهم .

هذا عن تعظيم القبور وأهلها، وشد الرحال إليها. لكن الرافضة لم يكتفوا بذلك، بل قالوا بقدسيّة المشاهد، واعتبروا كربلاء حرماً مقدساً، والكوفة، وقمّ (2) وغيرها، كل ذلك اعتبروه أماكن مقدسة، رووا في تقديسها وفضلها آلاف الروايات.

رووا عن جعفر أنه قال : ((إن لله حرماً هو مكة ، ولرسوله حرماً هو المدينة ، ولأمير المؤمنين حرماً وهو الكوفة ، ولنا حرماً وهو قم، ستدفن فيه امرأة من ولدي، تسمى فاطمة ، من زارها وجبت له الجنة)) (3)

---

(١) فروع الكافي ١ / ٣٢٤ ، تهذيب الأحكام للطوسي ، ٢ / ١٦ ، وسائل الشيعة ، ١٠ / ٣٤٨ .

(٢) "قمُ" بالضم والتشديد : كلمة فارسية . وهي مدينة مقدسة ومشهورة عند الشيعة في إيران، قدسوها لوجود قبر فاطمة بنت موسى بن جعفر إمامهم السابع. ويرجع الفضل في زيادة أهمية قم إلى الشاة عباس الصفوي الكبير، الذي اهتم اهتماماً خاصاً بتشجيع زيارة القبور الموجودة داخل المملكة الإيرانية ، حتى لا تتسرب الأموال خارج البلاد، ولنفس السبب يعزى دفن المتأخرين من الملوك الصفويين في مدينة قم .

ومدينة قم اليوم مدينة مسورة ، يدخلها الداخل من باب على الطراز الفارسي مزين بنقوش من الكاشاني. انظر : معجم البلدان، ٤ / ٣٩٧، مشاهد الفترة، ص ١٦٢ وما بعدها، عقيدة الشيعة، رونلدسن، ص ٢٥٩

(٣) بحارالأنوار ، ١٠٢ / ٢٦٧ . وانظر التعليق على هذه الافتراءات وأمثالها: أصول مذهب الشيعة، للدكتور ناصر القفاري، ص٣٩٩.

وقد أصبحت زيارة الأضرحة فريضة من فرائض مذهبهم.

يقول د. موسى الموسوي عن زيارة القبور عندهم : ((تنفرد الرافضة عما سواها في زيارتها لقبور الأئمة. حيث جرت العادة عندهم أن تقرأ أمام قبور الأئمة عبارات مطولة اسمها (الزيارة)، التي تجمع بين طياتها مدحاً للأئمة ، والثناء عليهم ، والتنديد بأعدائهم ، وأهم الكتب المعتمدة عندهم في ذلك كتاب (مفاتيح الجنان) . وأكثر الزيارات في عبارتها عنف وشدة وتجريح للخلفاء الراشدين، والتنديد بظالمي آل محمد والاعتراف بفضل علي وأولاده ، وأحقيتهم بالإمامة. ومما جاء في بعضها (لكل خطوة يخطوها الزائر في سبيل زيارة الحسين له قصر في الجنة))).

وعن هذا الغلو يقول مصححاً: ((أود أن أطلب من الشيعة في كل الأرض أن تفكر ملياً في زيارتها لقبور الأئمة بهذه العبارات التي لا تجدي خيراً لهم ولا للأئمة ، كما أود أن أحمل المسئولية مرة أخرى على الزعامات المذهبية التي عودت الشيعة على هذا الطريق ... ولست أدري لماذا نحن معاشر الشيعة نترك كلام الله ، ونركن إلى كلام المخلوق..)) [١].

◘السجود على التربة الحسينية :

وهي سيرة يسير عليها الرافضة في مساجدهم وبيوتهم أيضاً . وقد أصبحت من ممارسات الرافضة ، منذ أن دخلت إيران في التشيع ، فكان الشاه إسماعيل والملوك الصفويون يجهزون القوافل الإيرانية لزيارة الإمام

---

(١) الشيعة والتشيع ص٩٥ .

الحسين في كربلاء ، وكانت الشيعة تعود إلى مناطقها وهي تحمل معها تراب كربلاء ، للتبرك والاستشفاء .[١]

جاء في كتاب "تحرير الوسيلة" عن منزلة التربة الحسينية عندهم : ((والأفضل التربة الحسينية – يعني بالنسبة لمواضع السجود – التي تخرق الحجب السبع ، وترتفع على الأرضين السبع على ما في هذا الحديث)) [٢]

يقول د.موسى الموسوي مصححاً: ((إنني أعلم جيداً ما يقوله فقهاؤنا حيث فرقوا بين ما يسجد له وما يسجد عليه . وإن السجود على التربة ليس سجوداً لها ، بل سجود عليها ، لأن السجدة في المذهب الشيعي لا يجوز أن تكون إلا على التراب ومشتقاته ، ولا يجوز السجدة على الملبوس والمخيوط والمأكول...فكثير من الذين يسجدون على التربة يقبلونها ويتبركون بها ، وفي بعض الأحيان يأكلون قليلاً من تربة كربلاء للشفاء ، في حين أن أكل التراب حرام في الفقه الشيعي . ثم إنهم صنعوا من التراب هيئات مختلفة ، يحملونها في جيوبهم ، وينقلونها معهم في أسفارهم ، ويعاملونها معاملة تقديس وتكريم ... ويعملون بالتقية عندما يقيمون الصلاة في مساجد الفرق الإسلامية الأخرى ، حيث يخفونها ، ولا يظهرونها خوفاً من اعتراض غيرهم عليها)) [٣] .

---

(١) انظر المتآمرون على المسلمين ، موسى الموسوي ، ص ١٧١

(٢) تحرير الوسيلة ، (١ / ١٤٩) .

(٣) الشيعة والتصحيح ص١١٥.

ثم يقول : « إن الشيعة جرياً على عمل فقهائنا تجاوزت هذه القاعدة الفقهية ، واتخذت منها ديناً خاصاً ، وهو السجود على تراب موضع خاص، وهو كربلاء ، وصنعت من ترابها أشكالاً مختلفة مطولة ومربعة ودائرية ، تحملها معها في السفر والحضر على السواء ، لتسجد عليها كلما حان وقت الصلاة . ولقد تعودت الشيعة أن تخفي التربة عندما تصلي في مساجد الفرق الإسلامية الأخرى ، عملاً بالتقية ، أو خوفاً من حدوث بلبلة حولها، أو خجلاً من الأكثرية التي تنظر إلى هذا الأمر بنظرات الاستغراب والسخرية . إنه حقاً مدعاة للحزن والألم والأسف ، أن تنزل الشيعة نفسها إلى هذه الدرجة من التدني ، لالتزامها بعمل ما أنزل الله به من سلطان...فإذا كانت الشيعة ترى نفسها على حق في السجود على تربة كربلاء ، فلماذا تخشى من الجهر بها أمام إخوان في الدين يجمعهم كتاب واحد ؟ ... وإن كانت على غير حق ، فلماذا هذا الإصرار عليه ؟ ولماذا ينتابها الخجل والوجل منه ؟ ... ورسول الله ﷺكان يسجد على التراب في مسجده بالمدينة ، ... وإن تفضيل أرض على أرض ، حتى إذا ثبت في الشرع، لا يعني الالتزام بالسجود على تلك الأرض، وإلا لكان المسلمون يحملون معهم تراب مكة والمدينة والقدس ، ليسجدوا عليها »[1] .

ثم يقول: « نحن لا نطلب من الشيعة أكثر من العمل على ما أجمع عليه فقهاء المسلمين بما فيهم فقهاء الشيعة ، في صحة السجود على الأرض

---

(١) الشيعة والتصحيح ص١١٧.

ومشتقاتها ؛ مثـل الخشـب والحصى ـ والخيـزران. فلتسـجد عـلى مـا يصـح السجود عليه من بين هذه الأشياء ، وبذلك تقتدي برسول الله ﷺ وبالإمـام علي والأئمة الذين لم يسجدوا قط على شيء اسمه تربة كربلاء، وتـترك هـذا الالتزام الذي يتضمن كل أبعاد الفرقة والبدعة على السواء)).[1]

◘الاحتفال بيوم عاشوراء :

مما يقوم به الرافضـة يـوم عاشـوراء الحـزن والنـوح واللطـم ، وشـج الرؤوس بالسيوف حـداداً عـلى الحسـين رضي الله عنـه في زعمهـم ، وهـم يتخذون يوم عاشوراء مأتماً ، وينعى الخطباء الحسين ، ويذكرون ما حـل بـه يوم قتله سنوياً ، كل جمعة من عاشوراء .[2]

وتجري هذه العملية في العديد من البلدان ، في إيران وباكستان والهند ، والنبطية بلبنان كل عام ... كم كانت سبباً في حدوث صراعات دموية بـين الشيعة وأهـل السـنة ، تـذهب ضـحيتها المئـات مـن الأرواح البريئـة مـن الفريقين .

وهو احتفال تقوم به الرافضة منذ قرون عديدة ، يجلس الواحـد مـنهم في بيته ، يقبل التعازي من المعزين ، ويطعم الطعام في ذلك اليوم ، مع إلقـاء القصائد والخطب في ذكرى شهادة الحسين وفضائله .

---

(١) انظر الشيعة والتصحيح ، ص١١٨.

(٢) انظر : السنن والمبتدعات ، الشقيري ، ص١٣٧ ، الشيعة والتصحيح ، ص٩٨.

أما في كربلاء وحول قبر الحسين، فإن الزوار كانوا يمرون على هيئة مواكب يقرأون الزيارات ، مع بكاء ونحيب ، كجزء مكمل للاحتفال والزيارة؛ فمن بكى أو تباكى على الحسين وجبت له الجنة .

وقد كان للشاه إسماعيل الصفوي ، الذي أدخل إيران في التشيع ، الدور الأكبر في إرساء هذا العيد . وكان الشاه عباس الأول الصفوي -الذي دام حكمه خمسين عاماً- أكبر ملوك الصفويين دهاء وقوة ، يلبس السواد حداداً على الحسين يوم عاشوراء .

وحدث في عام ١٣٥٢هـ أن أعلن كبير علماء الشيعة في سوريا، وهو السيد محسن الأمين العاملي تحريم مثل هذه الأعمال . فما كان إلا أن لاقى معارضة قوية من داخل صفوف العلماء ورجال الدين الذين ناهضوه ، وكادت خطواته الإصلاحية تفشل، لولا أن تبنى أبو الحسن الموسوي -وبصفته الزعيم الأعلى للطائفة الشيعية- موقف العلامة الأمين ورأيه في تلك الأعمال معلناً تأييده المطلق له ولفتواه . وبدأت تلك الأعمال تقل رويداً رويداً ، ولم يبق لها إلا مظاهر ضعيفة ، إلى أن توفي رحمه الله في عام ١٣٦٥هـ، فأخذت بعض الزعامات الشيعية الجديدة تحث الناس على تلك الأعمال من جديد، فكان أن نمت مرة أخرى ، ولكنها لم تصل إلى ما كانت عليه قبل عام ١٣٥٢هـ .[1]

يقول د . موسى الموسوي : « واليوم تشاهد المدن الإيرانية والباكستانية والهندية واللبنانية -مع الأسف الشديد- في يوم العاشر من

---

(١) انظر الشيعة والتصحيح ، ص٩٩،٩٨.

محرم من كل عـام ، مواكبَ تسير في شوارعها بالصورة التي رسمناها ، فإن صوراً من تلك الهمجية الإنسـانية والجنـون المفـزع تعـرض عـلى شاشـات التلفزة في شرق الأرض وغربها ، لتعطي قوة لأعـداء الإسـلام والمتربصـين بالإسلام والمسلمين معاً)) .

ويقول مصححاً :

((إن على الطبقة المثقفة من الشيعة الإمامية ، أن تبذل قصارى الجهـد ، لمنع الجهلة من القيام بمثل هذه الأعمال . فالحسين لم يستشهد لتبكي النـاس عليه ، وتُلطم الخدود)).[1]

◘بدعة الشهادة الثالثة في الأذان :

ابتدع الشيعة شهادة ثالثة في الأذان ، وهي: ((أشهد أن علياً ولي الله)). وهي بدعة ظهرت رسمياً على يد الشاه إسماعيل الصـفوي ، الـذي أدخـل إيران في التشيع، وأمر المؤذنين بإدخال الشهادة الثالثـة في أذان الصـلوات ، ومن على المآذن .

يقول د. موسى الموسوي : ((وهكذا أعطي للإمام علي موقعـه الثابـت بعد رسول الله ﷺ في الخلافة . ومنذ ذلك الحين ومسـاجد الشـيعة في العـالم تسير على الطريقة التي نمّاها ووسعها الشاه الصـفوي ، لا نسـتثني مسـجداً واحداً من مساجد الشيعة ، في شرق الأرض وغربها))[2] .

---

(١) انظر الشيعة والتصحيح ، ص١٠٢.

(٢) الشيعة والتصحيح ، ص١٠٤.

ومن الغريب -كما يقول د.موسى الموسوي- أن فقهاء الشيعة يُجمعون على أن هذه الشهادة أدخلت في أذان الصلوات ، في وقت متأخر ، ويجمعون أيضاً على أنَّ الإمام علياً إذا كان على قيد الحياة ، ويسمع اسمه يذكر في أذان الصلوات ، لكان يجري الحد الشرعي على من يقول ذلك . لقد زعموا أن الشهادة الثالثة أصبحت شعاراً للشيعة .

وفي هذا يقول مصححاً : « إنني لا أشك أبداً في الشهادة الثالثة ، والتي أصبحت الآن جزءاً من أذان الصلاة عند الشيعة في مساجدها ، قد تجاوزت عمل الفرد، وأخذت طابعاً عاطفياً واجتماعياً ومذهبياً ، ليس من السهل تغييره ، لا سيما وأن هناك في المنطقة دولة مذهبية تنمي العواطف المذهبية وتستغلها في صراعها السياسي مع دول المنطقة المجاورة ، التي معظم سكانها من السنة . ولذلك تلاقي عملية التصحيح داخل إيران صعوبة بالغة ، شأنها شأن سائر الخطوات الإصلاحية التي نادينا بها . نطلب من الشيعة في أي مكان آخر من الأرض يصله نداء التصحيح أن تسعى جاهدة للعودة إلى الأذان الذي كان شائعاً في عهد الرسول ﷺ ، والإمام علي ، وأئمة الشيعة. فو الله لو كان الإمام علي على قيد الحياة ويسمع اسمه يذكر في المآذن في أذان الصلاة ، لأجرى الحدَّ على المسبّب والمباشر معاً، فما بالنا نحن نؤدي عملاً في سبيل علي وهو لا يرتضيه ! ومرة أخرى نطالب الشيعة في الحركة التصحيحية أن تعود إلى الأذان الذي أذنه بلال الحبشي ــ في مسجد رسول الله ﷺ ، وفي حضور رسول الله ﷺ

وصحابته، بما فيهم علي، وأن يطلبوا من المؤذنين في مساجد الشيعة أن يلتزموا بذلك)) [١] .

٨-إبطال المتعة.

المتعة عند الشيعة ، تعني : الزواج المؤقت. وقد ادّعى فقهاء الشيعة أن المتعة كانت مباحة في عهد الرسول الكريم ﷺ ، وفي عهد الخليفة أبي بكر ، وشطر من خلافة عمر بن الخطاب ، إلى أن حرمها . وتصدَّى أعلام الرافضة للدفاع عن هذه المتعة ، وألَّفوا في ذلك الكتب. [٢]

يقول د.موسى الموسوي : ((إن الزواج المؤقت أو المتعة ، حسب العرف الشيعي ، هو ليس أكثر من إباحة الجنس ، بشرط واحد فقط ؛ وهو: أن لا تكون المرأة في عصمة رجل ، وحينئذ يجوز نكاحها بعد أداء صيغة الزواج ، التي يستطيع الرجل أن يؤديها في كلمتين ، ولا تحتاج إلى شهود ، أو إنفاق عليها ، وللمدة التي يشاؤها ، مع الاحتفاظ بسلطة مطلقة لنفسه ، وهو الجمع بين ألف زوجة بالمتعة تحت سقف واحد)) [٣] .

يقول حسين الموسوي في التصحيح لهذا المعتقد : ((إن الصواب هو ترك المتعة لأنها حرام،كما ثبت نقله عن أمير المؤمنين، وأما الأخبار التي نسبت

---

(١) انظر الشيعة والتصحيح ، ص١٠٦.

(٢) انظر في المتعة : الكافي ٥/ ٤٦٢ ، رسالة المتعة لمحمد باقر المجلسي، من لايحضره الفقيه، محمد بن بابويه القمي ٣٢٩-٣٣٠، وسائل الشيعة للحر العاملي ١٢/ ٣٤، المتعة ، د.شهلا حائري ، ترجمة فادي محمود ، ص٨١ ، ود.علاء الدين السيد أمير محمد القزويني، في كتابه مع د.موسى الموسوي في كتابه الشيعة والتصحيح ، ص٢٣١ وما بعدها.

(٣) الشيعة والتصحيح ،ص١٠٩،١٠٨.

إلى الأئمة، فلا شك أن نسبتها إليهم غير صحيحة، بل هي أخبار مفتراة عليهم)).[1]

ويقول د. موسى الموسوي : ((لقد أقر علي التحريم في مدة خلافته ، ولم يأمر بالجواز، وفي العرف الشيعي ، وحسب رأي فقهائنا : عمل الإمام حجة ، لا سيما عندما يكون مبسوط اليد ، ويستطيع إظهار الرأي ، وبيان أوامر الله ونواهيه)) .

((المسألة هنا أخطر بكثير من التصحيح . إنها حالة مذهلة من السوء دخلت الفكر الشيعي ، وحتى الروايات التي تقول بالحيلة سواء إن ذكرتها كتب الشيعة أو غيرها ، وحتى التي تقول إنها كانت مباحة ، حتى حرمها الخليفة عمر بن الخطاب: أعتبرها كلها روايات تشوِّه صورة الإسلام المضيئة . أما فقهاؤنا فلم يدركوا خطورة الفكرة أو أدركوها، ولكن حرصاً منهم على مخالفة جمهور المسلمين ،-التي وضعت في فضلها رواية نسبت إلى الإمام الصادق زوراً وبهتاناً والتي تقول : " الرشد في خلافهم " أي الرشد في خلاف رأي السنة والجماعة ،- أحلوا المتعة اللعينة المقيتة وأجازوها . وهمنا كله يتجه إلى خلاص الأمة الشيعية منها بإذن الله وإرادته ، نعم ! قد يلاقي التصحيح صعوبات في بادئ الأمر ، ولكن كلمة الحق تشق طريقها في آخر الأمر ، وأعود مرة أخرى إلى الزواج المؤقت ، وأسأل الفقهاء الذين

---

(١) انظر : كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار ، ص٤١. وقد ورد في كتب الشيعة ما رووه عن علي رضي الله عنه في تحريم المتعة. انظر: الاستبصار للطوسي (٢/ ١٤٢)، ووسائل الشيعة للعاملي (٢١/ ١٢) .

يفتون بجواز المتعة ، واستحباب العمل بها ، هل يرضون شيئاً كهذا بالنسبة لبناتهم وأخواتهم وقريباتهم ، أم أنهم إذا سمعوها ، اسودت وجوههم ، وانتفخت أوداجهم ، ولم يكظموا لذلك غيظاً ؟)) [1]

تلك كانت أهم الموضوعات التي تناولها علماء الشيعة المصححين بالتصحيح .أسأل الله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ، وأن يرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

---

(١) انظر الشيعة والتصحيح ، ص١١٣.

الخاتمة

أقول بعد حمد الله : لقد استطعت الوقوف على أهم المسائل التي ترتبط بظاهرة التصحيح عند الشيعة ، وآثارهم الفكرية في حياة المسلمين المعاصرة.

وبالإمكان القول أنَّ البحث حوى بعض المعلومات المهمة والجديدة ، والنتائج التي قد تضيف شيئاً ما للدراسات الخاصة بفكرة التصحيح ، وآثار الشيعة في العالم الإسلامي.

وقد توصلت بحمد الله إلى نتائج أعتقد أنها مهمة ، أرجو أن تكون مثاراً لمزيد من البحث والاستقصاء . وإني ألخص أهم النتائج التي توصلت إليها في ثنايا البحث ، وهي كما يلي :

- من الأهمية بمكان دراسة ومعرفة هؤلاء المهتدين والمصححين من الشيعة، الذين اكتشفوا فساد مذهبهم ، وبدأوا يعيدون دراسته ، وفضح عواره.
- من أشهر المهتدين : أبو الفضل البرقعي ، وكان من أهم الموضوعات التي تناولها بالتصحيح نقضه لكتاب الكافي ، أصح الكتب المعتمدة عندهم في المذهب ، مما يعني نقض أمهات العقائد من أصلها عندهم، حيث نقض رحمه الله جميع الروايات التي في الكافي سنداً ومتناً.
- أثبت د.موسى الموسوي -أشهر المصححين في المذهب عندهم – أن دعوى تحريف القرآن التي تبناها الرافضة تخالف ما أجمع عليه

المسلمون ؛ من سلامة هذا القرآن من التحريف، لحفظ الله تعالى له ، وأن هذا الرأي هو الذي عليه أكثر فقهاء الشيعة.

- نقضت دعوى التصحيح لفكر الإمامة معتقدَ الرافضة في الإمامة والخلافة ، والنص على علي والأئمة من نسله بعده ، نزولاً عند نص القرآن الكريم ، وإجماع المسلمين.
- أثبت د. موسى الموسوي أن التقية التي يدين بها الشيعة ، من أهم الأسباب التي أدَّت إلى التخلف الفكري والاجتماعي لمجتمعات الشيعة، وهي مبدأ يتنافى مع الصدق، ويناقض صفات المسلم المخلص. وما نسب إلى الأئمة من ذلك زور وبهتان عظيم.
- نقد المصححون عقيدة المهدية ، وما ترتب عليها من بدعة الخمس وولاية الفقيه ، بما يردها ويبطلها عقلاً وموضوعاً.
- أثبت د. موسى الموسوي مشابهة قومه للوثنيين في إيمانهم بعقيدة الرجعة ، ودعاهم إلى التصحيح العملي ، وغربلة كتب زياراتهم ، مما حوته من كذب وافتراء في رجعة أئمتهم.
- حمَّل د. موسى الموسوي شرك قومه للزعامات المذهبية ، التي وضعت لهم الأحاديث في زيارة القبور والمشاهد ، مما يتضمن كل أبعاد الفرقة والبدعة على السواء.
- وعن بدعة الشهادة الثالثة في الأذان : دعا المصححون الشيعة إلى العودة إلى الأذان الذي كان على عهد النبي عليه الصلاة والسلام ، والالتزام بذلك.

- خالف الرافضة جمهور المسلمين بإثبات المتعة ، وقد ردها علماؤهم المصححون نصاً وعقلاً.

هذا ما تيسر ذكره. وإني أسأل الله أن يغفر لي ما زل به القلم واللسان. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

ثبت بأهم المصادر

١-أجوبة مسائل موسى جار الله : عبدالحسين شرف الدين الموسوي. مؤسسة أهل البيت ، بيروت ، ١٤١٠هـ.

٢-أصول الكافي : الكليني محمد بن يعقوب (ت٣٢٩هـ) . دار التعارف للمطبوعات، بيروت.

٣-الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة : د. عبدالله بن عمر الدميجي. دار طيبة، الرياض ، ط٢ ١٤٠٩ .

٤-الأنوار النعمانية : نعمة الله الجزائري (ت١١١٢هـ) . بيروت ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات .

٥-بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار : محمد باقر المجلسي . بيروت ، مؤسسة الوفاء ، ط٢ ١٤٠٣ .

٦-تاريخ اليعقوبي : أحمد بن إسحاق بن جعفر بن واضح اليعقوبي (ت٢٩٢هـ) . بيروت ، دار الكتب ، ط٢ ١٤١٩ .

٧-تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد : سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب (ت ١٢٣٣هـ) . الرياض ، مكتبة الرياض الحديثة .

٨- حتى لا تنخدع : عبدالله الموصلي . ط.٧

٩-حق اليقين في معرفة أصول الدين : عبدالله شبر. بيروت ، دار الأضواء ، ط١ ١٤٠٤هـ.

١٠-الحكومة الاسلامية : الخميني . ترجمة مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني . بيروت ، مركز بقية الله الأعظم ، ط٢ ١٩٩٩م .

١١-كتاب الرجعة : أحمد بن زين الدين الأحسائي . الدار العالمية ، بيروت ، ط١ ١٤١٤هـ.

١٢- السنن والمبتدعات : محمد عبدالسلام خضر الشقيري . بيروت ، دار الجيل ، ١٤٠٨.

١٣ -سير أعلام النبلاء : محمد بن أحمد الذهبي. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة.

١٤-الشيعة الإمامية الاثني عشرية في ميزان الإسلام : ربيع المسعودي. القاهرة، مكتبة ابن تيمية ، ط٢ ١٤١٤.

١٥-الشيعة في الميزان : د. محمد يوسف النجرامي. جدة ، دار المدني، ط١ ١٤٠٧.

١٦-الشيعة والتصحيح -الصراع بين الشيعة والتشيع- : د . موسى الموسوي ، ١٤٠٨هـ.

١٧-العقيدة رواية أبي بكر الخلال : أحمد بن حنبل (ت٢٤١) . دمشق ، دار قتيبة ، ط١ ١٤٠٨هـ . تحقيق عبدالعزيز السيروان .

١٨-عقيدة الشيعة : رونلدسن . دوايت م . تعريب ع.م. بيروت ، مؤسسة المفيد ، ط١ ١٤١٠ .

١٩-العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم : أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ) . بيروت ، المكتبة العلمية . تحقيق محب الدين الخطيب ، ١٤٠٥هـ .

٢٠-كتاب الغيبة : أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ) . مكتبة الألفين ، الكويت .

٢١-فرق الشيعة : النوبختي الحسن بن موسى . تحقيق د. عبدالمنعم الخفي . دار الرشاد .

٢٢-القاموس المحيط: مجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي. بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢. ١٤٠٧هـ.

٢٣ -كسر الصنم- نقض كتاب أصول الكافي-: أبو الفضل البرقعي. عمان، دار البيارق، ط١، ١٤١٩هـ.

٢٤-كشف الأسرار وتبرئة الأئمة الأطهار : حسين الموسوي. دار اليقين ، ط١ ١٤١١ .

٢٥-المتأمرون على المسلمين الشيعة : د. موسى الموسوي . القاهرة ، مكتبة مدبولي ، ط٢ ١٩٩٦م .

٢٦-مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة : د. ناصر بن عبدالله القفاري . دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٢ ١٤١٣ ، الرياض .

٢٧-مع الدكتور موسى الموسوي في كتابه الشيعة والتصحيح : د. علاء الدين السيد أمير محمد القزويني . بيروت ، الغدير للدراسات والنشر ، ١٤١٥هـ.

٢٨-مع الشيعة الإمامية في عقائدهم : جعفر السبحاني . ط١ ١٤١٤هـ، بيروت ، دار الأضواء .

٢٩- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية . المكتبة الإسلامية ، استانبول، تركيا .

٣٠- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين : الأشعري أبو الحسن علي بن إسماعيل. تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٢ ١٣٨٩ .

٣١- المقالات والفرق : القمي سعد بن عبدالله . ط١. القاهرة .

٣٢ - من افتراءات المستشرقين على الأصول العقدية في الإسلام : د. عبدالمنعم فؤاد. الرياض ، مكتبة العبيكان ، ط١ ١٤٢٢ .

٣٣-منهاج السنة النبوية : ابن تيميه أحمد بن عبدالحليم . تحقيق د. محمد رشاد سالم . القاهرة ، مكتبة ابن تيمية ، ط٢ ١٤٠٩هـ.

٣٤-الموسوعة الفلسفية : د.عبدالمنعم الحفني. القاهرة، مكتبة مدبولي، ط١ . بدون تاريخ.

٣٥-موسوعة الفلسفة والفلاسفة: د.عبدالمنعم الحفني. القاهرة، مكتبة مدبولي، ط٢. ١٩٩٩م.

٣٦-نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام : د. علي سامي النشار. القاهرة، دار المعارف ، ط٧ ١٩٧٧ .

٣٧-نقد ولاية الفقيه : محمد مال الله . دار الصحوة الإسلامية ، ط١ ١٤٠٩.

٣٨-نهج البلاغة المنسوب إلى علي بن أبي طالب . بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ط ١٩٨٣م .

٣٩-ولاية الفقيه : السيد علي عاشور . دار الهادي للطباعة ، ط١ ١٤٢٢هـ، بيروت

٤٠- ياشيعة العالم استيقظوا : د.موسى الموسوي . بدون معلومات نشر.

الدوريات :

٤١-جريدة الأنباء الكويتية (١٦/ ٦/ ١٩٩٠م)

٤٢ -مجلة المنار .

٤٣-مجلة المجتمع .عدد ٧٦٠-رجب -١٤٠٦هـ.

٤٤- أخبار اليوم. عدد ٢١٦٠-سنة ٤٢-١٤٠٦هـ رجب

فهرس الموضوعات

الفِرَقُ اليَهُودِيَّةُ المُعَاصِرَةُ

إعداد

د. أسماء سليمان السويلم

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية

بجامعة الملك عبدالعزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي المصطفى الأمين، وبعد:

فقد أخبرنا الله سبحانه في كتابه الكريم عن الأمم السابقة لنأخذ منها العبر، ومن هذه الأمم: أمة اليهود؛ فقصّ علينا أخبارهم مع أنبيائهم، وفي آيات كثيرة ينهانا الله تعالى عن التشبّه بهم، ومن ذلك: نهيه لنا عن الافتراق والاختلاف كما اختلف بنو إسرائيل وافترقوا، قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [1].

فاليهود تفرقوا واختلفوا، وأخبرنا رسول الله ﷺ عن عدد هذه الفرق، حينما قال محذّراً أمته من الافتراق: ((**افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرّقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**))[2].

فأمة اليهود افترقت عبر الزمان فرقاً، وما زال افتراقهم إلى عصرنا الحاضر، وإن كنّا نراهم يحاولون الاجتماع في دولة إسرائيل ولكن حقيقة

---

(١) سورة آل عمران: آية ١٠٥.

(٢) سنن أبي داود، كتاب السنة، باب شرح كتاب السنة (٤/ ١٩٧)، سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة (٥/ ٢٥)، وقال عنه: "حديث حسن صحيح".

أمرهم أنهم مفترقون، وصدق الله العظيم: ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ﴾[1].

وفي هذا البحث -إن شاء الله- سأستعرض فرق اليهود المعاصرة لتعريف القارئ بها، وأبيّن إلى أي الاتجاهات تنتمي؛ ليكون المسلم واعياً بعدوّه المتربص به، وعارفاً بمدى ضعفه وتفرقه. وقد قسمت البحث إلى تمهيد ، وخمسة مباحث:

- **التمهيد: وفيه مطلبان:**
- المطلب الأول: فرق اليهود قديما وحديثاً.
- المطلب الثاني: أجناس اليهود.
- **المبحث الأول: الفرقة الأرثوذكسية.**
- **المبحث الثاني: الفرقة الإصلاحية.**
- **المبحث الثالث: الفرقة المحافظة.**
- **المبحث الرابع: الطوائف المسيحانية.**
- **المبحث الخامس: الصهيونية.**
- **الخاتمة وبها أهم نتائج البحث.**
- **قائمة بمراجع البحث.**
- **الفهرس**

---

(١) سورة الحشر: آية ١٤.

التمهيد

وفيه مطلبان:

المطلب الأول : فرق اليهود قديماً

افترقت أمة اليهود إلى فرق كثيرة، ومازالت إلى الآن تفترق، وقد ذكرت كتب الملل فرق اليهود قديماً، وعدتها خمس فرق كبار ، وهم:

١- **شاسديم "الفريسيون"**:

معنى "شاسديم" الانقياد، وهم الملتزمون بالحياة اليهودية، وقد تميزوا بغيرتهم على الناموس "أستارموس" أيام الاضطهاد، ومن هؤلاء ظهرت فرقة سميت فيما بعد "الفريسيون"، وهي كلمة آرامية معناها "المنعزلون" كحزب يهودي محافظ على الولاء للناموس بشدة(١).

ولقد أطلق أعداؤهم هذه التسمية عليهم "الفريسيون" ، لذلك هم يكرهونها ، ويسمّون أنفسهم "الأحبار" ، أو "الإخوة في الله" ، أو "الربانيين" (٢).

مصادر الفرقة:

يعتقدون أن التوراة بأسفارها الخمسة خلقت منذ الأزل، وكانت مدونة على ألواح مقدسة ، ثم أوحي بها إلى موسى.

---

(١) اليهودية والمسيحية، لمحمد الأعظمي (١٨٥). موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية لعبدالوهاب المسيري(٢/ ١٢٠).

(٢) اليهودية، لأحمد شلبي (٢١٨).

ويؤمنون بالأحاديث والروايات الشفوية، ومجموعة من القواعد والوصـايا والشروح والتعابير، والتي تعتبر توراة شفوية، والتي تتناقلها الحاخامـات مـن جيـل إلى جيـل ، حتـى دوّنـت في التلمـود. ولتقديسـهم للتلمـود أعلنـوا أن للحاخامات سلطة عليـا، وأنهـم معصـومون ، وأقـوالهم صـادرة مـن الله ، لا تجوز مخالفتها . فـلا مجـال للاجتهـاد عنـدهم(١) . وقدسـية التلمـود وشروحـه المعروفة "بالمشنا" والتزامهم به ، تفوق أحياناً التوراة نفسها.

فمصادرعقيدتهم إذن: التوراة، والتلمود بما يضـيفه الحاخامـات عليـه من تفسيرات، وكلها مقدسة عندهم.

- **أهم عقائدهم:**

o تؤمن هـذه الفرقـة بالبعـث والملائكـة والعـالم الآخـر، ويعـيش بعضهم في مظاهر الزهد والتصوف.

o تؤمن بخلود النفس وبعصمة الحاخامات.

o يعتقدون أن دولة اليهـود لابـد أن تسـتعيد مكانتهـا ، فيؤمنـون بالمسيح المخلص.

o وكانوا يدعون للتمسك بالعقيـدة القديمـة ويعارضـون الأنبيـاء الذين ظهروا في فترة الأسر وبعده، ويتمسكون بشريعة الأنبيـاء الأوّلـين

---

(١) المرجع السابق

ويتشددون في التنفيذ، ويتمسكون بالتقاليد، وكـانوا مـن أشـد خصـوم المسيح عيسى عليه السلام.

ويرى بعض الباحثين أن الفريسيين لايكوّنون فرقة دينيـة، وإنـما حزبـاً سياسياً له اتجاهاته الدينية ، تتسم بالتعصب والتشدد[1].

لذلك كانوا هم طائفة علماء الشريعة التي لها الكلمـة العليـا في توجيـه المجتمع اليهودي على عهد المسيح، وسـموا بالعبريـة ؛ "فروشـيم" يعنـي "المفروزين" الذين امتازوا عن الجمهور وعزلوا عنه، وأصبحوا لعلمهـم وورعهم واتصالهم بأسرار الشريعة من الصفوة المختارة.

وقد كانو يلقبون أنفسهم فيما بينهم بلقب "حسيديم" ، أي الأتقياء[2].

ولقد كان لفرقة الفريسيين أو الفريزيين امتداد فكري ، من خلال الملـة الأرثوذكسية بقسميها:

١- الربانيون ، أو علماء الشريعة ، أو الفقهاء.

٢- "الحسيديم" ، وهم المتصوفون الزهاد[3] .

وقد يلحق بالفريسيين فرقة "المتعصبين" أو "القنائين"، فهم وثيقو الصلة بالفريسيين ، يتفقون معهم في أكثر عقائدهم، ولكنهم امتـازوا بالعدوانيـة ضد المواطنين المتهمـين باللادينيـة أو الخضـوع لغـير اليهـود، وكـان مـن سياستهم ألا ينتظروا العون من إلههم ، بـل يعملـوا بأنفسـهم ليسـاعدوا

---

(١) اليهودية، لأحمد شلبي (٢١٩).

(٢) الفكر الديني اليهودي، لحسن ظاظا (٢١٠).

(٣) انظر ما سيأتي عنهم في المبحث الأول (١٤).

الإله على تحقيق ما يريده لشعبه. فكانوا بذلك الجناح اليساري في فريق الفريسيين، وكانوا يتجهون للقتل والغصب واللصوصية ، فعُدّوا من الفرق السياسية ، أو فرق العصابات[١].

٢- الصُّدقيون ، أو الصدوقيون:

قيل إنها تنتسب الى رجل يسمى "صدوق"، وهو الكاهن الأعظم في زمن سليمان، وقيل بل إلى رجل آخر وجد في القرن الثالث قبل الميلاد ، اسمه "صادق" [٢].

وقيل إن التسمية من صنع أعدائهم، وإنها من نوع التسمية المضادة ؛ لأن الصدوقيين عرفوا بإنكار البعث وإنكار التلمود.

- **مصادر الفرقة:**

تؤمن بأسفار العهد القديم، ولا ترى القدسية المطلقة للتوراة، لذلك يرفضون الأخذ بالأحاديث والروايات الشفوية المنسوبة إلى موسى عليه السلام ، وتنكر الإيمان بالتلمود وتعاليمه ، لأنهم يرون أن الزيادة في الاعتقاد ، أو العبادة بدعة مرفوضة.

لذلك نجد عداءهم مع الفريسين، ونجد التلمود يسميهم بـ "الأبيقوريين" ، أي الشاكّين المكذبين بالروايات الشفوية[٣].

---

(١) انظر اليهودية، لشلبي (٢٢٤)، الفكر الديني اليهودي (٢١٧).

(٢) اليهودية والمسيحية، للأعظمي (١٨٩)

(٣) انظر اليهودية، لأحمد شلبي (٢٢٢)، اليهودية للأعظمي (١٩٠)، الفكر الديني اليهودية (٢١٥).

- أهم عقائدهم:

o ينكرون البعث والحياة الآخرة والحساب والجنة والنار، ويرون أن جزاء الإنسان يتم في الدنيا، فالعمل الصالح ينتج الخير والبركة لصاحبه، والعمل السيّء يسبب لصاحبه الأزمات والمتاعب[(١)].

o ينكرون وجود الملائكة والشياطين.

o ينكرون القضاء والقدر ، ويقولون بحرية الاختيار، وأن أفعال الإنسان مخلوقة للإنسان لا لله، لذلك كانت تشبه فرقة القدرية المعتزلة عند المسلمين.

o ينكرون المسيح المنتظر ، ولا يترقبونه[(٢)].

o ويقولون إن الله خلق الإنسان ليدير شؤونه بنفسه، وإنه من العبث انتظار إرادة الله، ويجب على الإنسان أن يحلّ مشاكله بنفسه[(٣)].

وينحدر الصدوقيون من طبقة الأرستقراطيين ببيت المقدس ، الذين كانوا يمثلون الغنى والدين والسلطة في المجتمع اليهودي، لذلك يعدهم

(١) اليهودية، لأحمد شلبي (٢٢٢).

(٢) المرجع السابق

(٣) اليهودية والمسيحية، للأعظمي (١٩٠). موسوعة اليهود واليهودية للمسيري(٢/ ١٢٢).

اليهود "حزب المحافظين"، وهم لا يكونون طائفة دينية بقدر ما يكونـون حزباً سياسياً[١].

ولقد أثر الفكر الديني الصدوقي عـلى طوائـف أخـرى متـأخرة ، مـن أشهرها طائفة اليهود القرائيين[٢].

٣- القراءون:

ترجع تسميتهم الى العهد القديم ، أي التوراة التي كانـت تسـمى عنـد اليهود "المقرّآ" ، أي المقروء ، ولما كانـت التـوراة تعتـبر المرجـع المقـدس الوحيد ، أصبح أتباعها يسمون بـ"القرائين"[٣].

وتعتبر من أحدث الفرق اليهودية ، فنشأتها كانت على يد رجل يسـمي عنان بن داود ، في أواخر القرن الثامن بعد الميلاد - في بغداد- عـلى عهـد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (٧٥٤-٧٧٥م)، أي بعد موسـى عليه السلام بنحو عشرين قرناً ، وتسمى أيضاً "العنانية" نسبة إلى منشئها[٤].

ولقد كان ضـعف الفريسـين وتـدهور شـأنهم سـبباً في نمـو القـرائين وانتشارهم[٥].

---

(١) اليهودية لأحمد شلبي (٢٢٢).

(٢) الفكر الديني اليهودي (٢١٦).

(٣) المرجع السابق (٤٧)

(٤) انظر اليهودية للأعظمي (١٩٢)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٥٦).

(٥) انظر اليهودية، لأحمد شلبي (٢٢٣).

- مصادرهم:

العهد القديم هو الكتاب المقدس عندهم، وينكرون التلمود، ولايعترفون بسلطة الحاخامات ، وينكرون جميع القوانين والأحكام التي جاء بها الربانيون.

يقولون بالاجتهاد ، فإذا تبين الخلف خطأ السلف فإن للخلف تصحيح هذا الخطأ ، وفق الكتاب المقدس[١].

- أهم عقائدهم:

- يخالفون سائر اليهود في السبت والأعياد، وينهون عن أكل الطير والظباء والسمك والجراد ، ويذبحون الحيوان على القفا.
- يصدقون عيسى عليه السلام في مواعظه، ويقولون إنه كان رجلاً من البشر ومن بني إسرائيل ، تقياً صالحاً ، ولا يقولون بنبوته ورسالته، ومنهم من يقول: إن عيسى عليه السلام لم يدع أنه نبي مرسل؛ بل هو من أولياء الله المخلصين العارفين بأحكام التوراة، وليس الإنجيل كتاباً منزلاً ، بل هو جمع أحواله من مبدئه الى كماله ، جمعه حواريوه[٢].
- تعتبر الحركة القرائية من أخطر الحركات التي واجهت الفريسيين ، وذلك لتبحر زعيم القرائية في التلمود، وكثرة رجوعه إلى نصوصه بقصد تفنيده وهدمه، كذلك رجع إلى الكتابات القديمة

(١) انظر : المرجع السابق، والفكر الديني اليهودي (٢٤٧)، برتوكولات حكماء صهيون لعجاج نويهض (٤٤٧).

(٢) انظر الملل والنحل (١/ ٢٥٦)

التي تنكرت للعقلية التلمودية كالإنجيل والقرآن[١]، لذلك قامت محاورات ومناورات شديدة بين الطائفتين ؛ كل واحدة تتهم الأخرى، وتحاول فضحها وتكفيرها.

ولقد ظهرت في مجتمع القرائين مدارس علمية قوية ، اهتمّت بدراسة اللغة العبرية ، وتفسير التوراة وتحقيقها.

واستمرت حركتهم العلمية نشيطة حتى مستهل القرن السابع عشر الميلادي ، ثم جمدت بعد ذلك ، مع وصول الوعي الثقافي والقومي الأوروبي الى أعدائهم الربانيين، بينما استمروا هم مرتبطين بمصير الشرق؛ إذ إن أكثرهم كان يقيم في مصر والشام وتركيا والعراق وإيران وبعض أجزاء من روسيا وأوروبا الشرقية.

تقلص ظلهم في العصر الحديث وانكمشوا، وانتشر اليهود الربانيون بعددهم الكبير في أوروبا وأمريكا ، مما أدى للوصول بهم إلى مستوى حضاري ومالي وسياسي لايستهان به من جانب مجتمع الربانيين ، فأشبه ذلك سحقاً للقرائيين[٢].

إلا أن أثر المذهب القرائي في الفكر اليهودي العام بدا واضحاً في الملّة الاصلاحية ، كما سيأتي إن شاء الله في المبحث الثاني.

---

(١) الفكر الديني اليهودي (٢٥٠).
(٢) انظر الفكر الديني اليهودي (٢٥٢-٢٥٦)

٤ – السامرة:

فرقة من اليهود انفصلت عن بني إسرائيل ، ولهم هيكل خاص بهـم[١]. وهي فرقة صغيرة تعيش بجوار مدينة نابلس العربية بفلسطين، وينسـبون الى مدينة "السامرة" ، التي قامت على أنقاضها مدينة نابلس.

وكانت السامرة عاصمة مملكة إسرائيل المنشقة على عرش سـليمان بعـد وفاته، وبني لها هيكل على جبـل "جـرزيم"، وتقـول التـوراة إن يعقـوب الجد الأعلى للعبريين قد بنى معبده المكرّس للرب في هذا المكان ، وسـماه "بيت إل" ؛ أي بيت الله. أما داود وسـليمان –علـيهما السـلام–فيقولـون بكفرهما ، وأنهما غيّرا من شكل المجتمـع الـديني بهواهمـا ، وغـيّرا القبلـة القديمة من جبل نابلس "جرزيم" إلى "إليا"، لذلك استغنوا عـن هيكـل أورشليم بهيكل جبل "جرزيم" [٢].

– مصادرهم:

لايؤمنون إلا بالتوراة فقط ، وسفر يوشع بـن نـون فقـط، فهـم أضـيق فرق اليهود في مصادرهم، يليهم القراءون كما سـبق، وهـم لايسـتعملون نسخة التوراة الموجودة عند باقي اليهود ، بـل لهـم نسـخة بروايـة خاصـة تختلف أختلافاً محسوساً عن التوراة الشائعة، ويرفضـون بقيـة النصـوص المقدسة اليهودية كالمشنا والتلمود ، ويعتبرونها من الكفر.

---

(١) اليهودية، للأعظمي (١٩٤).
(٢) انظر الفكر الديني اليهودي (٣٠٣) ، واليهودية، للأعظمي (١٩٩)

- أهم عقائدهم :

- يؤمنون بإله واحد ، وبأن هذا الإله روحاني بحت.
- يؤمنون بأن موسى رسول الله ، وأنه خاتم رسله.
- الإيمان بأن جبل جرزيم المجاور لنابلس هو المكان المقدس الحقيقي ، وهو القبلة الحقيقية الوحيدة لبني إسرائيل.
- لايؤمنون بنبوة الأنبياء ولا أسفارهم بعد موسى ، إلا يوشع بن نون؛ لأن التوراة أشارت إليه.
- ويكفّرون داود وسليمان-عليهما السلام، كما تقدم . لذلك فهم معادون للصهيونية؛ لأن جبل صهيون عندهم يمثل قاعدة الكفر.

والسامريون، كاليهود الربانيين، يؤمنون بيوم القيامة ، ويؤمنون بمجيء المسيح المخلص[1].

وقد استقلت الفرقة السامرية بكيانها الديني ، وأراد اليهود إخراجها من الديانة اليهودية ، ولكنهم لم يفلحوا[2]، لذلك عاشوا في عزلة، وانتشر بينهم الجهل ، بحيث قل عدد من يعرف القراءة والكتابة بالعبرية، وصار أكثرهم الآن يحفظون صلواتهم بعبريتهم ، دون فهم ؛ لأنهم يتخاطبون -في الأغلب- بالعربية[3].

---

(١) انظر الفكر الديني اليهودي (٢٠٥-٢٠٦).

(٢) انظر اليهودية للأعظمي (١٩٥).

(٣) انظر الفكر الديني اليهودي (٢٠٨). موسوعة اليهود واليهودية للمسيري(٢/ ١١٩).

المطلب الثاني: أجناس اليهود

إن اليهود الحاليين لايكونون كتلة بشرية ذات عنصر واحد، ولاحتى في فلسطين، واليهود بعيدون عن الانتماء إلى (جنس يهودي) ، بل ينتمون إلى أجناس متباينة ، ولهم عدة سحنات يهودية.

فاليهود ينتمون إلى طائفة دينية واجتماعية اندمج فيها في كل عصور التاريخ أشخاص من أجناس متباينة، والدعوى العنصرية التي تجاهر بها اليهود ليست إلا إدّعاءً خرافياً من نسيج الخيال[1].

وجمهور اليهود ينقسمون إلى طائفتين كبيرتين جداً:

١-الإشكناز "الأشكنازيم" اليهود الغربيون:

وهم اليهود الذين استقروا في شمال أوروبا وشرقها، وكلمة "إشكناز" كانت تدل في الفكر اليهودي في العصور الوسطى على الأراضي الأوروبية التي يسكنها الجنس الجرماني، ثم أصبحت تعني "ألمانيا" باختصار، ومع ذلك فإن جزءًا كبيراً من اليهود "الإشكناز" سكنوا شمال فرنسا وشرقها والنمسا وبولونيا وسائر دول أوروبا الشرقية، وكان هؤلاء اليهود الإشكناز قد فقدوا القدرة على استعمال اللغة العبرية، وحلّت محلها رطانة خاصة بحارات اليهود فقط في تلك الأقاليم، أساسها لهجة ألمانية قديمة محرفة ، امتزجت بألفاظ وعبارات من اللغات

---

(١) انظر الشخصية الإسرائيلية لحسن ظاظا (٣٥) ، وانظر إسرائيل وهويتها الممزقة لعبدالله عبدالدائم (٧٤، ١٢٠).

السلافية، وبعض الكلمات العبرية المحرفة المستقاة من المصطلح الديني والأخلاقي والاجتماعي عند اليهود. ولما عاد اليهود الإشكناز للاهتمام باللغة العبرية كانت لهم فيها لهجة خاصة محرفة، وهم في صلواتهم ينطقون بالعبرية هذا النطق المميز لهم، ويختلفون اختلافاً طفيفاً عن غيرهم من حيث بعض النصوص التي توجد في كتاب صلواتهم، كما أنهم يختلفون أيضاً في بعض طقوس الأعياد وعادات المأكل والمشرب والملبس والسكن ، بفعل المناخ البارد الذي عاشوا فيه قروناً طويلة. والإشكنازاليوم هم أقطاب الصهيونية الحديثة.

٢-السفرد "السفارديم": اليهود الشرقيون:

هؤلاء هم اليهود الذين استقروا في حوض البحر الأبيض المتوسط، وبلدان الشرق الأوسط ، ولاسيما تلك التي كانت خاضعة للسلطة العثمانية. وكلمة "سفرد" تدل في الفكر اليهودي في العصور الوسطي على شبه جزيرة إيبريا،التي تضم إسبانيا والبرتغال، ثم أصبحت تعني "أسبانيا"، وهؤلاء اليهود كانوا قد فقدوا اللغة العبرية بعد "الدياسبورا"، أي التشتيت الذي أوقعه بهم الرومان على يد تيتوس سنة ٧٠ ميلادية، وهدريان سنة ١٣٥ ميلادية، وأصبحوا يتكلمون لهجة إسبانية قديمة محرّفة ، تسمى "لادينو" أى"لاتيني"، إلا أن هؤلاء السفرد كانوا من الناحية اللغوية أفضل من الإشكناز ؛ إذ ازدهرت اللغة العبرية حينما دخل الإسلام إسبانيا ، وسايرت ازدهار اللغة العربية في إسبانيا

المسلمة، إذ كثرت المدارس والجامعات والمعاهد والمعابد اليهودية في مدن إسبانيا ، لما منحوا من حرية دينية وثقافية واجتماعية في ظل الإسلام، وانبثقت حركة أدبية قوية باللغة العبرية اعتنت بضبط اللغة العبرية وتقعيدها، وأصبح استعمال السفرد للعبرية هو أنقى وأفصح صورها.

وتأثر اليهود السفرد في عباداتهم وترتيلهم وإنشادهم بالذوق العربي، وانفردوا بنصوص شعرية ونثرية في صلواتهم وأدعيتهم ، متأثرة بما عند المسلمين. وقد ترتّب على ذلك أن دولة إسرائيل عندما قامت على أكتاف الإشكناز ، وجدت نفسها مضطرة إلى اعتبار عبرية السفرد هي اللغة الرسمية للمسرح والإذاعة والتعليم؛ بل إن المؤلفين في الأدب العبري الحديث وفي الدراسات اللغوية -حتى ولو كانوا من الإشكناز-، اضطروا إلى الخضوع للسان السفرد.

ويهود العالم العربي هم من السفرد ، وإن كان هناك فروق محلية في النطق تميز فيما بينهم[1].

من طوائف اليهود المتعلقة بالجنس:

- **يهود الفلاشة:** وهم طائفة صغيرة تعيش في الحبشة، وهم إفريقيون سود، لايعرفون اللغة العبرية، ولا يؤمنون بالمشنا ولابالتلمود ، ويؤمنون بالشريعة الموسوية فقط، ويؤمنون بالكتاب المقدس، أي: برسالة موسى ومن بعده من الأنبياء، وهم يقيمون السبت ويحتفلون

---

(١) انظر الفكر الديني اليهودي (٢٠٢-٢٢٠٤). موسوعة اليهود واليهودية للمسيري(١/ ٨٢-٨٥) .

بأكثر الأعياد ، ويحافظون على شرائع الختان والزواج وما إلى ذلك .
ولقد نجحت الصهيونية بتهجيرهم إلى دولة إسرائيل في فلسطين، ولكنهم لاقوا الاضطهاد والعنصرية هناك ، من قبل الحاخامات الذين رفضوا الاعتراف بيهوديتهم(١).

- **اليهود الهنود: وينتمون إلى ثلاثة فروع أساسية:-**

أ- **يهود بني إسرائيل**: أقلية يهودية توجد في الهند ، أكثرهم في ضواحي بومباي . وهم يؤمنون بالكتاب المقدس ، ولايعرفون التلمود.

ويقال : إن السبب في تسميتهم بني إسرائيل : أن كلمة يهود كانت غير محببة عند الأمم الأخرى، ولما دخل العرب الهند ، ولاحظوا عليهم المسالمة والاستقامة مع إيمانهم بشريعة موسى، سمّوهم بني إسرإئيل.

وتمتد هذه الجيوب اليهودية الصغيرة المنعزلة في داخل القارة الأسيوية لتظهر من جديد في الصين ، حيث يسمون ببني إسرائيل، وهم يعيشون على طريقة الصينيين ، فيما عدا العبادة ؛ إذ لهم معابد يصلون فيها السبت أمام هيكل خشبي ، يسمونه ((عرش موسى)) (٢).

---

(١) انظر الفكر الديني اليهودي (٢٢٧٠) ، إسرائيل وهويتها الممزقة (١٢٢)، اليهود في الشرق الأوسط، لمأمون كيوان (١٥٦)، موسوعة اليهود واليهودية للمسيري(١/ ٩٢).

(٢) انظر الفكر الديني اليهودي (٢٢٧٢) ، موسوعة اليهود واليهودية للمسيري(١/ ٨٧)

ب- **يهود كوشين**: كوشين: منطقة في جنوب الهند قرب ساحل ملبور.

ج- **يهود بغداد**: وهم يتكلمون العربية ، ويعود أصلهم إلى يهود العراق.

ولقد عمدت حركات التهجير الصهيونية إلى تهجير عدد كبير من يهود الهند [1].

(١) انظر اليهود في الشرق الأوسط (١٥٤) ، موسوعة اليهود واليهودية للمسيري(١/ ٨٨).

المبحث الأول

الفرقة الأرثوذكسية

"اليهود التقليديون- الربانيون"

بين القديم والجديد:

كان معظم اليهود يقطنـون أوروبـا الشرـقية والامبراطوريـة العثمانيـة، وكان محورهم في هذه البلاد لا في أوروبا الغربية وأمريكا، حيث كانوا قلة بالنسبة ليهود شرق أوروبا، وكان يهود الشرق متمسكين بتراثهم العـبري صابّين اهتمامهم عليه، وكـان مجـتمعهم مجتمعـاً متماسـكاً متراصـاً قويـاً ، يحكمه التلمود ، ويـنظم ذلـك الحاخامـات، بخـلاف ماكـان عليـه يهـود الغرب في أوروبا وأمريكا ، حينما كانوا مضطهدين في الجيتو، ثـم لمـا جـاء عصر التحرير والتنوير تحرروا. وبعد أن رفع الغرب العلمانية لـه شـعاراً ، سار أغلب يهود الغرب عـلى هـذا المنـوال ، واتجهـوا بعنـف إلى المجتمـع الغربي المسيحي ، مما أضعف علوم التلمود بيـنهم؛ بـل قـلّ مـن يتحـدث العبرية بينهم، واتجهوا إلى الدراسات العلمية العصرية ، وإلى توسيع نطاق معرفة الإنسان.

أما في الشرق : فكانت الدراسات التلمودية تهدف إلى بسط نفوذ القانون ، ليشمل تجديدات الحياة ، حتى يبقى التلمود القديم مسيطراً على كل شئ[1].

اليهود الشرقيون مجتمع حي :

نشأ في أوروبا الشرقية تراث يعرف بحركة الحسيديم في القرن الثامن عشر ، كردّ فعل لانغماس اليهود في عملية استنباط الأحكام من الأحكام العملية التي لانهاية لها، مما جفف الحياة الروحية والأخلاقية لليهود، فنشأت حركة الحسيديم هذه، والتي لم تكن سوى حركة تصوّف استهدفت إعادة النفوس والنية الصافية، والأخلاق والتعبد الصحيح إلى نصابها في حياة اليهود، فكانت مضادة لحركة "المتيناجديم" ، وهم رجالات القانون الذين لايهمهم سوى تمديد القانون وتوسيعه ، ليشمل الجديد، ويحفظ لهم سلطتهم، وكانت حركة الحسيديم ترمي إلى مساواة التقوى بالفعل القانوني لا التخلص منه، وقد قام صراع بين النزعتين ، تغلبت فيه النزعة الصوفية على النزعة القانونية بدون هدمها.

فشهد القرن التاسع عشر حياة يهودية في شرق أوروبا ازدوجت فيه النزعتان وتآزرتا ، مما حافظ على الدين اليهودي ، وجعله قوياً.

---

(١) انظر الملل المعاصرة في الدين اليهودي، لإسماعيل الفاروقي (٩٥)،موسوعة اليهود واليهودية للمسيري(١/ ٢١٨).

أما في الغرب فعلى خلاف ذلك، مما أدّى إلى نفرة الإصلاحيين من الموقف التقليدي، فقاموا بالثورة عليه[١].

فعلى هذا انقسم اليهود التقليديُّون إلى قسمين:

١. اليهود الأرثوذكس "الربانيون" الفقهاء ، وهم علماء الشريعة والتلمود.

٢. اليهود الحسيديم: وهم المتصوفة والزهاد، أصحاب الرقائق والأخلاق.

أولاً: اليهود الأرثوذكس:

استعملت كلمة " أرثوذكس" لأول مرة في تاريخ الدين اليهودي عام ١٨٠٨م، وكان أوَّلَ من استعملها: الإصلاحيون ، ناعتين بها اليهود المحافظين التقليديين الذين كانوا يعارضونهم.

واستعمال هذه الكلمة فيه نظر: لأن كلمة " أرثوذكسية" تعبير مسيحي ينطبق على المسيحية من الناحية الاصطلاحية؛ لأن لها مقررات اتفق عليها كتعريف رسمي للدين المسيحي، وليس في اليهودية مثل ذلك.

ولقد تقبل معارضو الإصلاح هذه التسمية في البداية ، وسمّو أنفسهم بها فيما بعد، ولكن بعد زمن شعر الأرثوذكس اليهود بعدم صلاحية هذه التسمية ، فحاولوا تغييرها وإبدالها بـ ((اليهودية المصدقة للتوراة)) .

---

(١) انظر الملل المعاصرة للفاروقي (٦٠)

وإن نشأة الفرقة الأورثوذكسية كانت في يهود الغرب والشرق، ينجذبون إلى العلوم العلمانية والتقدم من جهة وإلى تراثهم القديم من جهة أخرى انجذاباً عاطفياً وفكرياً، وإن كان يهود الشرق أكثر محافظة من الغرب[1].

ويجدر التنبيه إلى أن وجود اليهودية التقليدية ، أو التقليديين ، أو الربانيين الذين يخضعون لسلطة التلمود والحاخامات ، كانت سائدة في العهود القديمة وخلال العصور الوسطى ، حتى بداية عهد "التنوير" في القرن الثامن عشر، فهي لا ترتبط بنشأة الفرقة الاورثوذكسية التي نشأت كحزب سياسي ، أو كاتجاة مقابل للفرقة الإصلاحية ، التي تدعو إلى نبذ التلمود والدعوة لمجاراة العصر.

فنشأت الفرقة الأورثوذكسية كردّ فعل لظهور الإصلاحية ، تدعو فيه إلى التمسك باليهودية التقليدية التي تفرض سيطرة التلمود وقداسته وسيطرة الحاخامات ،خاصة في أمريكا ، حيث كان التيار الإصلاحي قوياً، فجاءت الفرقة الأورثوذكسية لتنظم صف اليهود التقليديين المحافظين الذين يتمسكون بالتلمود بشدة ، ويغالون في تطبيق تعاليمه، فأنشأت لها المعاهد والكنائس والمدارس ، ونشرت حاخاماتها في أمريكا وأوروبا.

---

(١) المصدر السابق (٦٢). موسوعة اليهود واليهودية للمسيري(٢/ ١٥٢).

- أهم عقائد الفرقة الأورثوذكسية:

١. الدين اليهودي ليس عقيدة كما هو الحال في المسيحية ، بل العمل، فالدين اليهودي نظام حياة قبل أن يكون عقيدة.

٢. مصدر التوراة هو الله ، فهو صانعها ومؤلفها، وهي التوراة المكتوبة ومعها أيضاً التوراة الشفهية، وهي مجموعة القوانين والتنظيمات التي دونت فيما بعد، وهذه التوراة الشفهية هي " المشنا".

٣. أن التوراة المكتوبة والتوراة الشفهية "المشنا" التي دونت فيما بعد، وكذلك القوانيين والأنظمة التي توصل إليها الربابنة بطريق التفسير والتأويل تكوّن في جملتها ما يسمونه "الحلقاة"، ويعتبر اليهودي الأورثوذكسي " الحلقاة " نظام الدين والدنيا، فعليه أن يقدم كل تضحية لتحقيق كل بند من بنودها.

٤. يؤمنون بأن مصدر التوراة إلهي، فهي أزلية مستمدة من الإله الازلي ، لذا يجب أن تتغير الحياة لا القانون حين يعترض القانون بالحياة.

٥. على اليهودي الأورثوذكسي التعايش مع العصر الحديث ، بشرط أن ينصاع كل شئ إلى القانون.

٦. إقامة الطقوس الدينية والتكلم في أمور الدين وتفسير التوراة مقصور على من تخرج من معاهد الربابنة الأرثوذكسية، وحصلوا منها على إجازة "سميحا" [١].

وليست هذه فقط عقيدة الملة الأرثوذكسية، فهي تؤمن بكل ماتؤمن به اليهودية التقليدية، والتي تعتبر امتدادًا لفرقة الفريسيين في عقيدتها ومصادرها وفي شريعتها وصلواتها وسلطة الحاخامات فيها، واستنادها إلى التلمود كنظام شرعي شامل ، يتسم بالسلطة والجمود[٢].

وتعتبر الفرقة الأرثوذكسية في إسرائيل هي أقوى فرقة أرثوذكسية يهودية في العالم، وذلك لما تمتعوا به من دعم سياسي وحكومي للدولة الإسرائيلية ، والتي لا تعترف بأي ملة سواها.

ولا يعني ذلك أن الإسرائيليين كلهم يؤمنون بالمبادئ الأرثوذكسية ، بل إن معظم المهاجرين الأوروبيين علمانيون لا يتقيدون بأحكام التوراة، ومعظم المهاجرين الشرقيين تقليديون لا يزالون يدينون بولائهم للتوراة وشرائعها.

أما إسرائيل كدولة ، فإن تظاهرت بتبنيها للفرقة الأرثوذكسية ، إلا أن حقيقة أمرها أنها لا تراعي سوى مصالحها ، وإن عارض منها ما عارض يهوديتها التقليدية[٣].

---

(١) انظر الملل المعاصرة للفاروقي (٧٥-٧٧)
(٢) انظر ما تقدم عن فرقة الفريسين في التمهيد (ص٢).
(٣) انظر الملل المعاصرة للفاروقي (٧٨-٨٠) ،موسوعة اليهود واليهودية للمسيري(٢/ ١٥٤)

ثانياً: اليهود الحسيديم:

ذكرنا في أول هذا المبحث سبباً من أسباب ظهور حركة الحسيديم، وأنها نشأت نتيجة جفاف ينابع الروح والإيمان تحت سلطة التلمود والحاخامات، وكذلك كان من أسباب نشوئها وظهورها:

اضطهاد الفقراء وعامة الناس من قبل زعامة الحاخامات ، والتفرقة الطبقية التي سادت بين اليهود، والتشدد والمغالاة التي يلقاها اليهودي الذي يخالف تعاليم الحاخامات ، فيعرّض نفسه للطرد من اليهودية.

ولما كان من الصعب على العامة من اليهود الاعتراض والنقد، أصبحوا يعانون من الكبت والضغط ، مما دفعهم للاتجاه لتداول "القبلاة" ، الذي يعتبر تفسيراً باطنياً للنصوص اليهودية، والتي تعتمد على الأعداد والحسابات في التفسير والتنبؤ بالمستقبل[1].

ولقد ظهرت الحركة الحسيدية بداية كنزعة صوفية ما بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر الميلادي في كثير من بلدان أوروبا.

وكلمة "قبلاة" تعني في العبرية: العودة إلى الارث اليهودي التقليدي، ولكنها كانت تعني التفسير الباطني للتوراة كما سبق.

وكان كتابها الذي تعتمد عليه كتاب "زهار" (أي كتاب الروائع)، الذي يكاد يكون توراة المتصوّفين اليهود، وهو كتاب يميّز بين المظهر

---

(١) انظر اليهود الحسيديم، لجعفر هادي حسن (٧-١٢) ،موسوعة اليهود واليهودية للمسيري (٢/ ١٣٧).

الباطني الخفي للألوهية، وبين المظهر الظاهري الموحى به، ويعرض على هذا النحو صفات الإله وقدراته العشر، بالاضافة إلى نظرية: هجرة الأرواح أو تناسخها.

"والقبلاة" أو "القبالة" ضرب من الغنوصية[١] اليهودية، تحاول الكشف عن أسرار الألوهية.

وبلغت "القبالة" أوجها بين القرنين الرابع عشر والسابع عشر، ودخلتها ملامح مسيحانية بعد طرد اليهود من إسبانيا عام ١٤٩٢م، وبزغت فيها تأملات تتصل بنهاية الخليقة. وقد ذابت هذه النزعة الصوفية القبالية في أوروبا الوسطى والشرقية وانحلت داخل الحركة أو النزعة "الحسيدية" الإشكنازية التي نمت معها جنباً إلى جنب، والتي صحبها انتشار أفكار شعبية خرافية تتصل بالشياطين، والسحر، والطلاسم، وإخراج الأرواح الشريرة[٢].

- ما معنى حسيديم :-

كلمة "حسيديم" جمع عبري للمفرد "حسيد"، ويعنى الإحسان، وكل الخير بصورة عامة، ثم أطلق الجمع "حسيديم" على جماعات يهودية ظهرت في فترات مختلفة من تاريخ اليهود. ومن هذه جماعة تزعمها

(١) الغنوصية: كلمة يونانية الأصل بمعنى المعرفة، وهي حركة وفلسفة قديمة تمثّل مزيجاً من العقائد اليونانية والإسرائيلية، ومعناها اصطلاحاً: التوصّل بنوع من الكشف إلى المعارف. انظر: الموسوعة الميسّرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ١١١٣)، إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

(٢) انظر إسرائيل وهويتها الممزقة (١٧-١٨) ،موسوعة اليهود واليهودية للمسيري(٢/ ٣٩)

الحاخام "بعل شم طوب" في القرن الثامن عشر الميلادي، واستعمل اسم "حسيد" عند هذه الحركة للدلالة على اليهودي التقيّ والمخلص للدين.

واليهود الحسيديم هم يهود أرثوذكس ، إلا أنهم يختلفون عنهم في الممارسة الدينية والسلوك والتقاليد إلى جانب لغتهم الخاصة بهم ، وهى "اليديش" التي هى خليط من اللغة العبرية والألمانية القديمة المحرّفة التي تكتب بحروف عبرية، ولا يستعمل هذه اللغة غير اليهود الحسيديم.

وهم اليوم تتوزعهم مجموعات كثيرة تصل إلى العشرات ، وكل واحدة من هذه لها اسمها الخاص بها الذي أخذته في الغالب من القرية أو البلدة التي نشأت فيها، ولكل واحدة من هذه المجموعات زعيمها ومرشدها الروحي المسمى بـ"الصديق" ، الذي تطيعه وتقدسه وتدين بالولاء له.

وينتشر اليهود الحسيديم اليوم في كثير من بلدان العالم ، إلا أن أغلبهم يسكن الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، ولهم دور مهم وتأثير كبير في عالم اليهود ، لكثرة عددهم ، وعظم إمكاناتهم.

ولقد لقي اليهود الحسيديم معارضة شديدة من اليهود التقليديين أو الربانيين "الفقهاء" ، الذين شعروا أن هذه الحركة الحسيدية جذبت عامة اليهود ، وصرفتهم عن سلطة الحاخامات، فعارضوها بشدة بل وصل بهم الأمر إلى تكفيرهم واتهامهم بالردة والخروج عن اليهودية.

وممن عارض الحركة الحسيدية أيضاً الحركة الإصلاحية أو "الهسكلاه"، الذين اعتبروهم رجعيين ومتخلفين، فعمدوا إلى تأليف

الكتب ضدهم والتجسس عليهم، ومحاولة تحريف كتب الحسيدين للتشنيع عليهم؛ بل وصل بهم الأمر إلى تأليف قصص وكتب ونسبتها إلى زعماء الحسيدين، وبثوا من خلال هذه الكتب المزوّرة مبادئ الحركة الإصلاحية[1].

- أهم معتقداتهم:

o **الله**: يرون أنه أزلي، خلق الخلق من لاشيء، ويثبتون له العلم والقدرة، ويقولون بالحلول وإنه موجود في كل شيء وفى كل مكان، ويقولون إن كل حركة في الكون بسببه وعنايته .

o **العالم**: خلق العالم بالكلمة، لذلك قالوا بإن للغة العبرية تأثيرًا على خلق الخلق، ويرون أن بقاء العالم ووجوده معتمد على الله وراجع إليه، **ويقولون بوجود عوالم أخرى غير عالمنا**: عالم الفيوضات، وهي فيوضات روحية خالية من الشر ، ومافيها إلا إلهي روحي.

عالم الخلق: ويغلب فيه الخير على الشر . وهذا العالم يضم الملائكة.

عالم التكوين: ونصفه خير ونصفه شر ، أو فيه أنواع دنيا من الملائكة.

عالم الفعل: وهو عالمنا الذي نعيش فيه، وتسكن فيه أكثر أنواع المخلوقات الروحية تدنّيًا وانحطاطًا.

---

(١) انظر إسرائيل وهويتها الممزقة (٣١-٥٢)

٥الإنسان: يرون أن الإنسان اليهودي هو أعلى مراتب المخلوقات في الدنيا، وأنه مركز الخلق ، وأن هدف الخلق يتحقق إذا أدى الإنسان ما هو مطلوب منه وما هو واجب عليه.

يقول الحسيديم بوحدة الوجود[١] واشتمال الله على الطبيعة، أي أن الطبيعة في الله-تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً-، فليس هناك حاجز بين الإنسان وخالقه، وما بين المقدس وغير المقدس، ويرون أن الله هو خالق الخير والشر معاً ، وكل ما يحدث في العالم من الله.

ويعتقد الحسيديم بتناسخ الأرواح[٢] بنسخه ومسخه وفسخه ؛ كل حسب عمله. ويعتقدون بالثواب والعقاب وبالجنة والنار ، وفقاً لمذهبهم[٣].

---

(١) وحدة الوجود: عقيدة إلحادية هندية فلسفية يونانية قديمة، تقوم على الوحدة الذاتية لجميع الأشياء مع تعدد صورها في الظاهر، فالعالم بما فيه إنما هو التجلّي الإلهي الدائم الذي كان ولا يزال، فالموجود واحد وهو الله واجب الوجود الأزلي عين المخلوقات، وقد قال بهذه العقيدة غلاة الصوفية. انظر: الكليات للكفوي (٣٩٠)، الموسوعة الميسرة -إصدار الندوة- (٢/ ١١٧٨).

(٢) المقصود بتناسخ الأرواح: هو انتقال الروح من بدن قد مات صاحبه إلى بدن آخر لمخلوق حي. انظر: التعريفات للجرجاني (١٧٥)، قاموس المذاهب والأديان، لحسين علي حمد (٦٦).

(٣) انظر اليهود الحسيديم، لجعفر هادي حسن (٥٥-٦٩)

○ **عباداتهم**: للعبادة مفهوم واسع عند الحسيديم ، فهي لاتقتصر على الصلاة ، أو قراءة التوراة؛ بل تشمل كل مناحي الحياة ؛ من أكل وشرب أو نوم ، إذا قصد الانسان منها التقوّي على طاعة الله.

للصلاة أهمية كبيرة فاقت أهمية دراسة التوراة ، بخلاف بقية اليهود الأرثوذكس الذين يرون أن أفضل الواجبات هو دراسة التوراة.

وتتميز صلواتهم بالحركة الجسمانية الخفيفة ، ويرون أن خشوع الإنسان يزداد كلما زادت حركته الجسمية، وأكدوا على استشعار الفرح والسعادة أثناء الصلاة وإدخال الأغانى والموسيقى فيها، وتميزوا بتأخير مواعيد الصلاة تأخيراً بيناً.

يرون أن الغناء والرقص والموسيقى وشرب الكحول من أسباب تحقيق السعادة. ويقولون بقداسة "الصديق" ، وهو المرشح الروحي للجماعة الحسيدية، وعليهم زيارته ولو مرة في السنة، ويقدمون معهم الفدية وهي مبلغ من المال يقدمه الحسيد للصديق كفدية عن نفسه، ويتولى الصديق مباركة الحسيد ، وحلّ مشاكله ، وإعطاءه المشورة فيما يحتاج اليه[1].

(١) انظر اليهود الحسيديم (٧٣-١٢٢) ،موسوعة اليهود واليهودية للمسيري(٢/ ١٤٠).

o **أهم عاداتهم**: يعدون الزواج شيئاً مهماً جداً، ويتزوجون في سن مبكرة ؛ إذ يقولون "من يبلغ العشرين ولم يتزوج فإنه يقضي حياته فى ذنوب"، ويحرصون على أصالة هذا الزواج ، وأن يكون الزوجان من أصل يهودي حسيدى.

ويحرصون على الحشمة والستر للمرأة، بل تغطي المرأة شعرها ، وتلبس لباسًا طويلاً ، ويمنعون إقامة صداقات بين الشاب والشابة ، حتى ولو قبل الزواج.

يعتقدون بالحرز والتمائم التي تحفظ من الشيطان ومن الشر ومن الحسد ، ولكل شئ حرزه الخاص به.

يحرصون على إنجاب الاطفال والإكثار منهم، بل يعتبرون ذلك واجباً مقدساً ، ومنع الحمل مرفوض ، ويعتبر ذنباً يعاقب عليه بالقتل.

يتقيدون في لباسهم بلبس القفطان الأسود الطويل وقبعة سوداء (من الفرو في المناسبات خاصة يوم السبت) ، وتحتها قلنسوة للرجال ، ولايلبسون اللباس الحديث.

وكذلك النساء يغطين رؤوسهن ، ولكن لا تغطينه بغطاء لونه أحمر ، ولا يلبسن قميصاً ألمانياً لغير المتزوجات، ولا يلبسن لباساً على الطراز

الحديث، ويمنعون من لباس الخليط من الكتان والصوف ، ويلبسون شيئاً خالصاً.

يلبسون لباس "الصيصت" وهو لباس في أذياله أهداب ، ويلتزمون لبس الحزام في الصلاة.

ويتميزون بإعفاء لحاهم ، خاصة من على جانبي الرأس من عند الأذنين ، ويسمونها "فتون" ، وهي على شكل ضفيرة[1] .

---

(١) انظر اليهود الحسيديم (٢٧٥-٣٠١)

المبحث الثاني
الفرقة الإصلاحية

لقد عاش اليهود في الجيتو في العصور الوسطى في عزلة وإضطهاد من المسيحين، وسيطرة الحاخامات واليهودية التقليدية على الشعب اليهودي من جهة، وانتشار الحسيدية بما تحمله من التخلق بالبدع وادّعاء فعل الخوارق من المعجزات وعلم الغيب من جهة أخرى، حتى جاء عصر التنوير خلال القرنين الثامن والتاسع عشر، فتأثّر اليهود بما أتى به العصر الحديث من ثورة علمية وثقافية في القرن السابع عشر، ومن ثورة اجتماعية وثقافية في القرن الثامن عشر، ومن ثورة صناعية في القرن التاسع عشر، وطفق اليهود يخرجون من عزلتهم وسباتهم المادي والفكري، وتأثروا بما شاهدوه من طقوس وعبادات المسيحيين، وبدءوا ينظرون بدونية إلى طقوسهم اليهودية ، ويشعرون بالملل والفوضى أثناء أداء صلواتهم بالعبرية التي كانوا لايفهمونها. واتجه بعض الشباب اليهودي إلى العلوم الحديثة في أوروبا ، واستطاعوا أن يكوّنوا لأنفسهم فكراً يهودياً واعياً منفتحاً لحضارة الغرب التي أمامهم ، مكوّنين حركة

(الهسكلاه)، أي: التفهم واليقطة والنهضة، والتي عاصرت حركة الحسيدية ، وعارضتها كما مرّ في المبحث الأول[1].

وانشقت حركة الإصلاحيين من داخل الهسكلاه على يد موسى مندلسون (١٧٢٩-١٧٨٦) في ألمانيا، الذي وجّه اهتمامه لتدريس اليهود اللغة العبرية ، حتى يفهموا دينهم وصلاتهم، فأراد تغيير المصلين لا الصلاة، لكن أتباعه لم يكونوا موالين لدينهم ، لذا أرادوا تغيير الدين وإصلاحه نفسه، فطالبوا بتغريب أو فرنجة الطقوس اليهودية . وتزعم ذلك من أتباع مندلسون : "داود فريدلاند" (١٧٥٦-١٨٣٢).

وقد مرّت حركة الإصلاح الديني اليهودي بعدة أطوار ، وكانت نشطة في عملها ، فعقدت المؤتمرات وبنت الكنائس، وخرّجت الحاخامات الذين تبنوا فكرها من خلال مدارسهم ومعاهدهم التي أنشأوها.

وبدأوا بإدخال الإصلاح والتطوير في الدين اليهودي، ونتيجة للمشكلة الفكرية الكبرى التي واجهها الفكر اليهودي والمسيحي في القرن التاسع عشر. وهي تعرّض الكتاب المقدس للنقد بسبب سيطرة العقلانية على تفكير العصر، والذي أدّى إلى إضعاف سيطرة الكتاب المقدس، ومعارضة نتائج تجارب العلوم الطبيعية الحسابية والجغرافية والتاريخية والعلمية لكثير مما في الكتاب المقدس أضعف هيبته وقداسته[2].

---

(١) انظر الفكر الديني اليهودي (٢٦٤)، إسرائيل وهويتها الممزقة (١٩-٢٠)، الملل المعاصرة للفاروقي (٤٢)، وانظر (ص١١) من هذا البحث.

(٢) انظر الملل المعاصرة للفاروقي (٤٥) ،موسوعة اليهود واليهودية للمسيري(٢/ ١٤٦).

ولقد كان لموسى مندلسون آراء جديدة على اليهود من الناحية السياسية والإنسانية العامة ، والتي تعتبر دستوراً عاماً لهذه الفرقة ، خلاصتها:

١. يجب على اليهود أن يندمجوا في إنسانية العصر ، وأن يخرجوا من قوقعة العنصرية.

٢. إن اليهودية دين فقط وليست جنسية.

٣. على اليهود اعتبار أنفسهم مواطنين في البلاد التي يعيشون فيها ، حتى يحصلوا على حقوقهم المدنية، وأن يختلطوا ويندمجوا في البلاد التي يعيشون فيها ويتكلموا بلغتهم، ويلبسوا زيهم، ويدخلوا مدارسهم[1].

فكان الفكر الإصلاحي قائماً على مجاراة العصر الحديث، وتطويع الدين اليهودي للعصر الذي يعيشون فيه، وكان من رجالات هذه الحركة "شتاينهايم" (١٧٩٠-١٨٦٦) الذي أدخل التجديد في الفكر الديني اليهودي، ورأى بلورة الدين من جديد لمجاراة الزمان والمكان، وأن لليهودي المعاصر أن يختار ما يشاء اتّباعه من أحكام الكتاب المقدس.

وقد جاء صموئيل هولدهايم (١٨٠٦-١٨٦٠) ، ورأى أن تغيير الأوضاع والزمان يفرض تغيير القانون والشرع، وأن الحاخام الموجود في العصر الجديد هو الذي له صلاحية تسيير عصره وتشريع ما يناسبه.

---

(١) انظر الفكر الديني اليهودي (٢٦٥)

ومن أكبر مفكري الحركة الإصلاحية "إبراهام جايجر" (١٨١٠-١٨٧٤) في ألمانيا، والذي دعا إلى إزالة القداسة التامّة للقانون، وفتح الباب للتجديد وفق مايمليه العصر، وحصر الدين وتركيزه على الشعور والتقوى الشخصية ، قاطعاً الطريق بذلك على تقديس الطقوس والقوانين التلمودية.

ولقد تطورت حركة الإصلاح وانتعشت في أمريكا ، مستمدة فكرها من ألمانيا ، على يد الحاخام إسحاق وايز الذي دعا إلى مؤتمر بيتسبورج الإصلاحي سنة ١٨٨٥م، والذي أعلن فيه انفصال الإصلاحيين التام عن بقية اليهود، وأعلن فيه مبادئ دستور حركة الإصلاح ، الذي كان ملخصها ما يلي:

١. إن الكتاب المقدس ليس من صنع الله؛ بل من صنع الإنسان، وأنه أعظم الوثائق المدنية لا أوحدها، فوثائق الأديان الأخرى ليست مرفوضة ، وإن كانت أقل منه درجة.

٢. لا صلاحية ضرورية لأي شيء في الكتاب المقدس سوى القانون الأخلاقي، فلا وزن للتشريعات اليهودية في المأكل والملبس أو الطهارة.

٣. إنكار نظرية "الشعب اليهودي المختار" ، واعتبارهم فرقة دينية لا قومية، وأنه دين تقدمي ، يجب تعاونه مع الأديان الأخرى.

٤. تأول نظرية المسيح المنتظر على أنها الأمل الإنساني العالمي لتحقيق العدل والسلام بين البشر جميعاً، واعتبار الإصلاحيين دعاة لذلك.

٥. إنكار بعث الأجساد والعذاب الأخروي[1].

وفي مجال العبادات والطقوس : أحدثوا تغيرات كبيرة ، مخالفين بذلك اليهودية التقليدية، ومن أهم هذه التغيرات:

١. إنقاص الأدعية والصلوات إلى الحد الأدنى، مع إباحة تلاوتها بلغات البلاد القومية حيث يعيش هؤلاء اليهود.

٢. ترك الترانيم الشعرية العبرية والآرامية القديمة.

٣. إدخال الآلات الموسيقية وفرق الإنشاد الجماعي "الكورس" من الجنسين في المعبد، والترنم بألحان حديثة مؤلفة ومكتوبة (على النوتة) خصيصاً لطقوسهم، وانتهى ذلك التطور بإدخال "الأرغن" في المعبد اليهودي تقليداً للكنائس.

٤. أنكروا في اعتقادهم أن يكون "الخلاص" معناه إقامة دولة فلسطين، وهم بذلك كانوا ومايزالون من الفرق غير الصهيونية، فعندهم أن الخلاص يكون في الدنيا بالحصول على المساواة في الحقوق المدنية.

٥. خالفوا جميع اليهود؛ إذ قالوا إن الله فعل خيراً ببني إسرائيل إذ فرّقهم في الأرض، فهم بذلك يستطيعون أن يعيشوا في كل الآفاق ، وينشروا الدعوة الموسوية.

---

(١) انظر: الملل المعاصرة للفاروقي (٥٥-٥٦) ،موسوعة اليهود واليهودية للمسيري(٢/ ١٤٨)

٦. ولأنهم صرفوا النظر عن إعادة بناء الهيكل في أورشليم بالذات، فإن كل معبد من معابدهم في أي مكان يطلق عليه اسم "الهيكل".

٧. أباحوا اختلاط الجنسين من المصلين في الهيكل، وأعطوا الحق للبنات كما للأولاد في التعليم الديني والعبادات.

٨. اهتموا جداً بالوعظ والإرشاد داخل الهيكل، حيث كانوا يختارون لكل هيكل إلى جانب "الحزان" -وهو الحاخام الذي يقوم بالكهانة في أثناء الطقوس- خطيباً يتحرّون فيه طلاقة اللسان، وسعة العلم وقوة التأثير في الجماهير، ويسمى عندهم "مطيف"[(١)].

٩. يقيم الإصلاحيون السبت: مساء الجمعة بدلاً من السبت، ويعملون في يوم السبت.

١٠. لا يلبسون البارموكا أو غطاء الرأس الصغير، ولا يلزمون نساءهم بغطاء رؤوسهن أثناء الصلاة، ولا يلبسون الشال أو "التاليت" على أكتافهم، مع عدم ممانعتهم لمن يلبسها.

١١. يحتفلون بأعياد الرزنامة اليهودية في يومها الأول[(٢)].

---

(١) انظر الفكر الديني اليهودي (٢٦٦).

(٢) انظر الملل المعاصرة للفاروقي (٥٧)

أما عن نظام الفرقة الإصلاحية: فلها كلية دينية تخرّج الحاخامين، ولها معهد يهودي للدراسات الدينية يتعلم الإصلاحيون فيه الديانات غير اليهودية.

وترتبط المجتمعات الكنسية في اتحاد عام اسمه "اتحاد المجتمعات الكنسية العبرية الأمريكية"، ويرتبها الحاخامون في اتحاد "المؤتمر المركزي للحاخامين اليهود" ، والذي يعتبر السلطة العليا الذي يقرر وينظم في أمور الكنيسة، وفي أمور الدنيا أيضاً ، مشابهين في ذلك الكنائس المسيحية[1].

وبعد هذا العرض للفرقة الإصلاحية، نلحظ أنها امتداد لفرقة القرائيين، وكما كان بين القرائين والفريسيين عداء وتكفير، كان بين الفرقة الإصلاحية وبين الفرقة الأرثوذكسية من العداء والمشاحنات، ما حدا بكل واحدة أن تكفّر الأخرى، وتعلن خروجها عن اليهود، ومن هذا النزاع والانشقاق بين الفرقتين لاح في الأفق فرقة ثالثة، حاولت التقريب بينهما وجعلهما فرقة واحدة، ولكنها فرّقت ولم تُجمّع، فصارت هي الفرقّة الثالثة في الدين اليهودي، وهي الفرقة المحافظة كما سيأتي في المبحث القادم.

---

(١) المرجع السابق.

المبحث الثالث
الفرقــة المحافظـــــة

كانت أوروبا الغربية لاسيما ألمانيا، المسرح الذي قامـت فيـه الحركـات اليهودية في القرن الماضي، والتي نشأت عنها الفرق المعاصرة، ولقد أثّرت حركتا التنوير والتحرير في الفكر الديني اليهودي، وكان موقف اليهود ما بين إفراط أو تفريط، فكان مـنهم مـن اتجـه بكليتـه إلى الحضـارة الغربيـة ومجاراتها، مدخلين التغييرات الكثـيرة في ديـنهم اليهـودي، وهـؤلاء هـم الإصلاحيون.

وعـلى النقـيض مـنهم: اليهـود الأرثـوذكس ، الـذين أبـوا أن يجـاروا الحضارة المعاصرة ، وجمـدوا وتمسـكوا باليهوديـة الربانيـة القديمـة بكـل عصبية وعنصرية، ولكن من هؤلاء الأرثوذكس من رفض هذا التعصـب وهذه العنصرية ، بسبب ما أحدثته مـن تفريـق بـين المجموعـة اليهوديـة، فحـاول التقريـب بـين هـذين الاتجـاهين: الاتجـاه الاصـلاحي المنفـتح، والاتجاه الأرثوذكسي المتعصب المنغلق؛ حرصاً منـه عـلى وحـدة اليهـود، ولكنهم كوّنوا باتجاههم التقريبي هذا اتجاهاً ثالثاً ، عرفوا بـ "المحـافظين" أو رجال الوسط الذين يتخذون خطوة واحدة أكثـر مـن الأرثـوذكس في

اتجاه الإصلاح، لكنهم يأبون اتخاذ الخطوة الأخيرة في نفس الاتجاه، والتي يمكنها أن تدفع بهم إلى معسكر الإصلاحيين[1].

رجالات الفرقة المحافظة :

كان من أبرز زعمائها : مؤسسها: "زكريا فرانكل" (١٨٠١-١٨٧٥)، رئيس حاخامين مدينة دريدن بألمانيا، الذي عمل جاهداً لتعريف الموقف الوسط، فأسس مجلة تحمل مبادئ ملّته . يقول فرانكل مؤكداً توسّط المبدأ المحافظ بين الأرثوذكس والإصلاحيين: "سأؤكد في الصفحات اللاحقة تقدمية الدين اليهودي، وأنا أعدّه من واجبي أن أمنع ذلك الإصلاح السلبي الذي يؤدي إلى انحلال الدين اليهودي، وأن أبيّن كيف تنطوي تعاليمه على إمكانية التقدم العصري، فللدين اليهودي مقومات داخلية فحوية ثابتة في استمراره عبر العصور وتقدمه. أما كيف لهذا التقدم أن يستمر الآن ، فذلك يجب أن يتعين بالبحث العلمي المستند على أسس تاريخية وضعية".

وأراد فرانكل بذلك إنشاء مزيج خاص من الروح التقليدية والعلم الحديث ، تمكّن به اليهودي من الاحتفاظ بهويته وتراثه، وفي نفس الوقت يجاري العصر ويتمتع بالمدنية الحديثة

(١) انظر الملل المعاصرة، للفاروقي (٨١-٨٣) ،موسوعة اليهود واليهودية للمسيري(٢/ ١٥٥).

فالإصلاح الجديد الذي يدعو إليه فرانكل مشروط بشرطي: الإجماع، والأساس العلمي.

فالدين اليهودي عنده ما هو إلا التعبير الديني لروح الأمة اليهودية، وهو بمثابة إجماعها الشعبي العام ، سواء كان من أصل سماوي أو أرضي، فطالما أن القانون يعبر عن هذا الإجماع الشعبي العام ، يجب أن يبقى ساري المفعول، وإلا فلا بد من إزالته[1].

المحافظون في أمريكا:

قامت الفرقة المحافظة في أمريكا كما هي في ألمانيا، إلا أن حاخامات أمريكا كانوا يميلون إلى الفلسفة الإصلاحية أكثر من ميلهم إلى الفلسفة الأرثوذكسية.

ورأى المفكرون المحافظون في أمريكا أن التراث الأدبي والديني الضخم لإسرائيل ليس إلا نتاجاً ثقافياً حصل خلال تطور الأمة اليهودية في مختلف الأزمنة والأمكنة، وهم لم يرضوا عن محاولة الإصلاحيين قطع هذا التراث الضخم مرة واحدة، ولا عن محاولة الأرثوذكس تقديس وتطبيق كل ما حواه هذا التراث، وهم تفهموا هذا التراث كنتاج للروح اليهودية خلال التاريخ.

ورأوا ضرورة التغيير، ولكن وحي التغيير يجب أن يكون نابعاً من أعماق الروح اليهودية لا من خارجها.

---

(١) انظر الملل المعاصرة (٨٣-٨٦).،موسوعة اليهود واليهودية للمسيري (٢/ ١٥٨).

ولقد دعت المدرسة التاريخية الأمريكية المحافظين إلى: ضرورة وحدة اليهود من خلال السماح بالتنوّع في تأويل العقائد والعادات والطقوس اليهودية، فلابد من أن تعترف لليهودي بحق الاختلاف في تفهمه لدينه. وهذا يناقض السلطة التقليدية التي يتمتع بها الحاخامون.

فبدلاً من أن يكون الربابنة محط ووضع القانون الشفوي، دعت المدرسة المحافظة إلى قيام متكلمين يمثلون الشعب اليهودي ، وينطقون باسم الجماعة.

ويرى المحافظون أنهم يخالفون الأرثوذكس من حيث التطبيق والعمل، لا من حيث المبدأ أو النظرية، إذ معيار الدين اليهودي وسنده الأخير عندهم هو سنة اليهود الحالية: فالذي يقدسه اليهود هو ما يقدسه الدين ، والعكس بالعكس[1].

- أهم عقائد الفرقة المحافظة:

أ-المبادئ العملية:

١. الغاية من إيجاد الفرقة المحافظة التوفيق بين النزعتين الإصلاحية والأرثوذكسية، لا خلق فرقة جديدة.

٢. لابد من إقامة الصلوات والوعظ باللغة التي يفهمها العابدون، إن لم يفهموا العبرية.

---

(١) انظر الملل المعاصرة (٨٧-٩٠).

٣. يجب حذف القراءات المطوّلة والأناشيد الخلاعية والرقص من الكنيس، وجعل الصلاة والطقوس الأخرى كلها على جانب عظيم من الرزانة والهدوء والاحترام ، مما يتفق مع التعبد.

٤. إضافة اللغة الإنجليزية إلى العبرية في الصلوات والأدعية ، وشجعوا استعمالها، وطالبوا أن يكون المنشدون أكثر تدريباً وتأهيلاً من حيث مقدرتهم الموسيقية. وهم خالفوا الإصلاحيين في استعمال الأورغن، ووافقوهم في استعمال الكورال، ورفضوا إدخال منشدين ومغنين من المسيحين ، بخلاف الإصلاحيين.

٥. يجب تربية النساء اليهوديات تربية دينية وإشراكهن في أعمال الكنيس، وفي تربية الأولاد الدينية، والاجتهاد في دراسة التاريخ والقوانين والتوراة، وكذلك يجب إشراكهن في الطقوس على قدم المساواة بالرجال؛ بل واختلاط الجنسين في مقاعد الكنيس المنظمة بالطريقة المسيحية في الكنيسة، وهذا ما ينبذه الأرثوذكس.

٦. يجب التقيد بالقوانين المأكلية والطقوس السبتية، وذلك حتى ينفذ الدين اليهودي إلى البيوت والحياة العائلية، ويجب تشجيع أبنائهم على تعلّم اللغة العبرية، ويرون ضرورة التزام لبس القبعة الصغيرة والشال خاصة في الصلاة ، موافقين بذلك الأرثوذكس[1].

---

(١) انظر الملل المعاصرة (٩٤)،موسوعة اليهود واليهودية للمسيري(٢/ ١٥٦).

ب-المبادئ النظرية:

١ . أن الامة اليهودية تجمع على تعريف نفسها كثالوث يتألف من الشعب الإسرائيلي والتوراة والإله، فهذه المقومات كلها متساوية؛ فبينما أظهر الإصلاحيون الشعب على التوراة وعلى الإله، وأظهر الأرثوذكس الله والتوراة على الشعب؛ على المحافظين أن يساووا ويعادلوا بينهم، والفرقة المحافظة تمتاز بتمسكها بأوامر التوراة والتلمود الطقسية التي تنبذها الفرقة الإصلاحية. كما يشجعون استيطان اليهود في فلسطين.

٢ . يعتقد المحافظون أن القانون يجب أن يفحص من جديد على ضوء حاجات الشعب اليهودي الحاضرة، وإن لزمه تعديل ، فيعدل بنفس الطريقة التي عدل وتطور فيها في الأزمنة القديمة، وهم بذلك يخالفون الأرثوذكس الذين يتقاعسون عن إدخال أية تعديلات على القانون اليهودي، وخلافاً للإصلاحيين الذين يرفضون سلطة القانون ولزومه.

٣. مقولة الوحدة في التنوع: أي: جمع اليهود ضمن إطار واحد ، والإبقاء على تنوع فكرهم الديني وحاجات مجتمعاتهم[1].

---

(١) انظر الملل المعاصرة (٩٥).

المبحث الرابع
الطوائف المسيحانية

عاش اليهود فكرياً وروحياً في داخل مجموع النصوص المقدسة: العهد القديم، والشريعة الشفوية أو المشنا، ثم التلمود.

وكان تفكيرهم في الغيبيات ، بعد أن تعرضوا للسبي البابلي ثم للتشتيت في الأرض على أيدي الرومان ، يتخذ اتجاهين محددين ، هما:

١. نهاية العالم.

٢. الخلاص على يد المسيح المنتظر.

أما عن نهاية العالم : فهي مرتبطة بيوم الرب عندهم، ونرى أن هناك ازدواجية حول مفهوم يوم الرب؛ فعامة اليهود ينتظرون يوم الرب ، ليحمل لهم انتصار شعب الله المختار على الأمم الأخرى ، التي ستكون قد دانت لهم بالخضوع. أما يوم الرب بالمعنى الذي قصده الأنبياء؛ فيحمل معنى التهديد والوعيد والانتقام من العصاة ، وفي مقدمتهم الشعب الإسرائيلي نفسه؛ لذا كان هذا اليوم بهذا المفهوم موضع تهكم وسخرية من الكثيرين، وكانوا يرونه بعيداً جداً[1].

---

(١) انظر الفكر الديني اليهودي (٩٥-٩٧)

أما فكرة المسيح المخلص فتأتي مقترنة بفكرة تجديد العهد مع الرب، أو فكرة "العهد الجديد" ، عندئذ تتجدد أمة الله؛ لتصبح جديرة بالله، وعندئذ تصير أورشليم مدينة لا مثيل لها بين المدائن ، يقيم فيها الرب على جبل صهيون، ويتجمع فيها المشردون من بني إسرائيل، وتزول فيها الأحقاد؛ بل يموت فيها الموت نفسه.

وفكرة المسيح المخلص لم تاتِ واضحة في التوراة؛ بل أوّلها اليهود تأويلاً من نصوص قليلة في التوراة، ورغم ذلك أخذت هذه الفكرة في عقلية اليهود أشكالاً مختلفة جداً بحسب العصور والظروف التي عاشوا فيها، وكل جيل منهم صنع مسيحه حسب هواه، وطبقاً للصورة الخيالية الوجدانية التي يحلم بها، وتعلقه بهذه الفكرة يزداد كلما ازداد الاضطهاد والفقر الواقع على اليهود. فأصبحت فكرة المسيح المخلص هي الأمل لهم، وأصبحت عالماً حاملاً حكايات وشخصيات ومعجزات كثيرة.

أما من هو هذا المسيح المخلص؟ فقد اختلفوا من هو، ولكن أعظم الشخصيات وأهمها هو النبي إلياس ، الذي يسميه اليهود "إيليا التشبي" أو "الياهو النبي" ، وكان في نسبه في بني إسرائيل خلاف كبير، إلا أنَّ النبي إيليا بقي إلى يومنا هذا من الأركان الغيبية في الفكر اليهودي، وكثر الحديث عنه في التلمود والمدارس وفي كتب التصوف اليهودي، واعتبر في نظر الكثيرين مساوياً لموسى؛ بل اعتبر الوحيد في أنبياء بني إسرائيل الذي يمكن أن يقارن بموسى.

فيرون أنه مكث في الأرض مدة يدعو بني إسرائيل، ثم رفع إلى السماء حياً، وأنه لم يمت ، وسينزل إلى الأرض في آخر الزمان ، ليتم رسالة الخلاص للشعب اليهودي ، والتي كُلّف بها.

ولقد أثرت فكرة المسيح المنتظر تأثيراً عميقاً في التطور الديني عند اليهود، وسميت عند كثير من مؤرخي تطور الفكر الإسرائيلي باسم "المسيحانية".

ولشدة تأثير هذه العقيدة عندهم وتعلقهم بها ، ادّعى كثير من اليهود على مدى التاريخ أنه المسيح المنتظر، ومن هؤلاء المدّعين من قتل في بداية دعوته، ومنهم من كانت له قوة وكوّن فرقة بين اليهود.

ومن هؤلاء المدعين للمسيحانية: ثيوداس الذي ظهر سنة ٤٤ ميلادية، وبركوكبا حوالي سنة ١٣٠م، وعوبديا المعروف بأبي عيسى الأصفهاني صاحب فرقة العيسوية، والذي عاش في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وكان له قوة وكوّن فرقة ، ادعى فيها أنه المسيح المنتظر المخلص... وغيرهم كثير. لكن من أهمهم في القرن السابع عشر الميلادي، والذي كان له تأثير كبير في الفكر الديني اليهودي واستطاع تكوين فرقة : هو "شبتاي صبي" الذي ادعى أنه المخلص، وأتباعه

هم يهـود الدونمة . وكذلك "يعقوب فرانك"، وفرقته "الفرانكية" في القرن الثامن عشر الميلادي[١].

وسنفرد هاتين الفرقتين بالحديث لأنهما من الفرق اليهودية المعاصرة .

- يهود الدونمة:

قبل الحديث عن هذه الفرقة نتحدث عن مسيحها المخلص ، الذي تدعوه "شبتاي صبي" : ولد في مدينة أزمير ، ومات في ألبانيا (١٦٢٦-١٦٧٥م)، وهو من سلالة أسرة يهودية إشكنازية، وكان أبوه من كبار الأغنياء.

دخل "شبتاي صبي" مدرسة يهودية شهيرة وهو في سن السادسة، وتعلم فيها التوراة والتلمود، وبرع في ذلك حتى تعاطى التدريس وهو في سن الخامسة عشرة، واستمر في دراسة "القبالة" ، وهي علم التأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود، ومارس الأستاذية في سن الثامنة عشرة، وتميز بذكائه وطلاقة لسانه وهيئته الجميلة. وقد أثرت عليه دراسته لعلم "القبالة"، فأخذ يحسب الحسابات الفلكية والسرية، وأعلن أن خلاص بني إسرائيل هي سنة ١٦٤٧م، وادعى أنه هو المسيح المخلص، فآمن به تلاميذه، وتنقّل في تركيا ورحل لمصر وفلسطين ، ناشراً دعوته بالخلاص لإسرائيل من جهة، وأحياناً ينتقل شخصياً هارباً من اليهود التقليدين؛

(١) انظر الفكر الديني اليهودي (٩٨-١٢٠) ،موسوعة اليهود واليهودية للمسيري (٢/ ١٠٤)

لأن حاخاماتها أعلنوا كفره وأهدروا دمه. وتطور أمره حتى رفع إلى الحكومة التركية العثمانية التي قبضت عليه، واستدعته. ولما مثل بين يدي الوزير التركي "كوبرلي" بالقسطنطينية تنكر لدعوته، وزعم أنه مجرد رجل دين يهودي، ثم بعد ذلك أعلن رغبته في الدخول في الإسلام، وتسمى باسم "محمد أفندي"، وكذلك زوجته، وتسمّت بـ "فاطمة". وأتقن اللغة العربية، وأقبل على دراسة القرآن وتفسيره، إلا أنه ما فتئ يبث بين أتباعه سراً يهوديته، وأنه هو المسيح المخلص، وبدأ يبث الفتن في الحكومة التركية، حتى نُفي إلى ألبانيا ومات هناك. وقد اتبعه تلاميذه في نهجه بإظهار الإسلام وإبطان اليهودية، والعمل على الكيد للإسلام ديناً، وللحكومة العثمانية دولة[1].

وسمي أتباعه "الدونمة" أو "الدومنة"، وهي كلمة تركية تعني "المرتدين" وفي أصلها مركبة من "دو" أي اثنين، و"نمة-أو منة" بمعنى نوع، أي الفرقة القائمة على نوعين من الأصول: النوع اليهودي، والنوع الإسلامي.

وقد حاول يهود الدونمة العدول عن هذه التسمية، وسموا أنفسهم بـ "المؤمنين" أو "الرفاق" أو "المجاهدين".

أما طوائف اليهود الأخرى، خاصة الربانيين، فيسمونهم "مينيم" أي: الكفار[2].

---

(١) انظر الفكر الديني اليهودي (٩٨-١٢٠)

(٢) المرجع السابق (٢٦١).

فيهود الدونمة: جماعة يهودية تركية شبتانية من اليهود المتخفين، استقرت في سالونيكا، وأشهرت إسلامها تشبهاً بـ "شبتاي صبي"، الذي اعتقد كثيرون من أتباعه أن ارتداده عن دينه واعتناقه الإسلام هو تلبية لأمر خفي من الرب، وتنفيذ للإرادة الإلهية، فحذوا حذوه، ولكنهم ظلّوا متمسكين سراً بتقاليد اليهودية(١). وهم يسترون عن الناس كل ما يثبت يهوديتهم ، لدرجة أنهم يتسمون بأسماء إسلامية لا يستعملونها في بيوتهم، ولكن في الحياة العامة فقط، ويستعملون اللغة العبرية في صلواتهم، والتركية في حديثهم(٢).

وعقيدة الدونمة عقيدة حلولية غنوصية(٣) متطرفه ، فهم يؤمنون بألوهية "شبتاي تسفي" ، وأنه المسيح المنتظر الذي أبطل الوصايا العشر وغيرها من الأوامر والنواهي، ورأوا أن التوراة المتداولة فارغة المعنى ، وأحلوا محلها "توراة التجليات"، وهي التوراة التي أعاد تسفي (صبي) تفسيرها. وهم لا يعترفون إلا بشبتاي صبي مخلصاً، وكانوا يتمسكون سراً بيهوديتهم ، فيتدارسون التلمود مع بقية اليهود، ويستفتون الحاخامات فيما يقابلهم من مشاكل، ويحتفلون بجميع الأعياد اليهودية ويقيمون شعائرهم ، فيما عدا شعيرة السبت ، حتى لا يلفتوا الأنظار

---

(١) انظر اليد الخفية، لعبد الوهاب المسيري (١٠٠)

(٢) انظر الفكر الديني اليهودي (٢٦١)،موسوعة اليهود واليهودية للمسيري(٢/١٠٨-١١٢).

(٣) انظر (ص١٤) من هذا البحث في معنى الغنوصية.

إليهم. وقد أضافوا عيداً آخر اعتبروه أقدس الأعياد على الإطلاق ، وهو عيد ميلاد شبتاي تسفي (صبي)، ولكل فريق منهم معبد خاص يتعبد فيه يسمى "القهال"، ويوجد عادة في أحيائهم الخاصة بهم.

وكانت صلواتهم وشعائرهم تكتب في كتب صغيرة الحجم حتى يسهل إخفاؤها، وكانت تكتب بالعبرية ، لكن حلّت محلها اللادينو (وهي لغة يهودية أسبانية)، ثم حلّت التركية محلها في منتصف القرن التاسع عشر. وهم يدفنون موتاهم في مدافن خاصة بهم[1]، وتختلف مراسم الحداد عندهم منها عند اليهود، فهي تشبه ما تعوده المسلمون.

وهم شديدو الحرص على تعاليم زعيمهم "شبتاي صبي" ، التي من أهمها:

١. الزواج سنة واجبة ولا يكون إلا من أبناء الطائفة ذاتها.

٢. تعدد الزوجات محرم عليهم، ويعقدون زواجهم يوم الاثنين أو الخميس على يد رئيس الطائفة، وتتم الزفة باللغة العبرية وبالموسيقى والغناء.

٣. من تعاليمه: أن شريعة الختان قائمة مفروضة مثل اليهود، ولكن لا يلتزمون بإقامتها في اليوم الثامن كما هي عند سائر اليهود ، فالأمر عندهم واسع[2].

---

(١) انظر اليد الخفية، للمسيري (١٠١)

(٢) انظر الفكر الديني اليهودي (٢٦٢).

ولقد اتّهمت هذه الجماعة ، أو على الأقل إحدى فرقها، وهي الفرقة "القنهيلية" التي تعتبر أكبر فرق الدونمة عدداً؛ اتُّهموا بالاتجاهات الإباحية وبالانحلال الخلقي والانغماس في الجنس، وتؤكد الموسوعة اليهودية أنهم يعقدون احتفالات ذات طابع عربدي داعر في "عيد الحمل"، وهو عيد بداية الربيع، وهذا العيد يبدو أنه مقصور على الفرقة القنهيلية من يهود الدونمة[١].

وينقسم يهود الدونمة إلى عدة فرق:

١ . اليعقوبلية: بعد موت تسفي (صبي)، أعلنت زوجته أن روح زوجها قد حلّت في أخيها يعقوب قويريدو أي المحبوب، وأن تسفي تجسّد من خلاله، وأعتنق يعقوب الإسلام ظاهراً وتبعه ما يقرب من ثلاثمائة أسرة ، انقسمت من جماعة الدونمة ككل، سمي أتباعه بـ "اليعقوبلية" أي: "اليعقوبيون"، وهم يحلقون رؤوسهم تماماً ويرسلون لحاهم، ويلبسون الطرابيش حتى سماهم الأتراك "الطربوشلوه" لذلك. وهم مندمجون في المجتمع التركي تماماً، على الأقل من الناحية الشكلية.

٢ . الأزميرلية: أطلق على بقية الدونمة اسم "الأزميرلية"، ولكنهم مالبثوا أن انقسموا إلى قسمين:

---

(١) المرجع السابق.

أ- القنهيلية: في عام ١٧٠٠ ظهر قائد جديد في صفوف الأزميرليين هو "باروخيا روسو"، وأعلن أنه تجسّد جديد لشبتاي تسفي، وأعلن أتباعه أنه التجسّد المقدس وأنه وليهم، وقام باروخيا روسو (واسمه التركي مصطفى شلبي) بتعليم التوراة المسيحانية الخفية، أو توراة التجليات التي تطالب بقلب القيم، وكان يتضمن ذلك العلاقات الجنسية. لذلك اتهمت هذه الفرقة بالانحلال والإباحية -كما سبق-. وأعضاء هذه الفرقة من الحرفيين، وكانوا يرسلون لحاهم ولا يحلقون شعورهم، وتعد فرقتهم أكثر الفرق تطرفاً نظراً لعدميتهم الدينية، ويعتبرون أكبر فرق الدونمة عدداً، ولقد ظهرت الحركة الفرانكية منهم.

ب- **قبانجي**: بعد موت باروخيا، انفصلت مجموعة أخرى سميت "قبانجي" ، وتعني: "القدماء"، ورفضوا الاعتراف بقويريدو، صاحب الفرقة اليعقوبلية، كما رفضوا الطبيعة المشيحانية لباروخيا، ولم يعترفوا إلا بشبتاي تسفي (صبي)، وأصبح اسم "الأزميرلية" يطلق عليهم وحدهم، وتضم هذه الفرقة المهنيين من أطباء ومهندسين وأثرياء اليهود، وهؤلاء كانوا يحلقون رؤوسهم ولا يطلقون لحاهم.

وكان كل فريق من الدونمة يعيش بمعزل عن الآخر، وقد لعب الكثير من أعضاء الدونمة دوراً قيادياً في الثورة التركية.

وقد حاول الدونمة أن ينضموا إلى الجماعة اليهودية مرة أخرى، ولكن طلبهم رفض لأن أولادهم يعتبرون غير شرعيين، وتم إزاحة النقاب عن سرّ هذه الجماعة بعد ظهور وثائق ومخطوطات كشفت عن عدميتهم المتأصلة ، وبعدهم التام عن الإسلام ، وعن اليهودية، وثمة دلائل تشير إلى أن القنهيلية استمرت حتى الستينات، وأنها لا تزال تُبقي على إطارها التنظيمي، وأن رئيس الجماعة أستاذ في جامعة إستنابول، ويبدو أن أعضاءها على علاقة وثيقة بالحركات الماسونية في تركيا، ويلعبون دوراً نشطاً في علمنة تركيا[1].

الحركة الفرانكية أو الطائفة اليهودية الفرانكية:

تنسب هذه الحركة إلى "جيكوب فرانك" أو يعقوب فرانك الذي ولد في بودونيا سنة (١٧٢٦) من أسرة متواضعة، درس دراسة دينية أولية، وكان جاهلاً بالتلمود ، ويتباهى بأنه رجل بسيط جاهل. تنقل في مدن البلقان واتصل بأتباع الحركة الشبتانية في سالونيكا، ودرس الزهار واتّبع مذهب طائفة "الباروخيا" من الدونمة أو اليعقوبية المتطرفة، ثم ما لبث أن أعلن أنه "الماشيخ" عام ١٧٥٥، وكانت حلقته تطلق عليه اسم "الحاخام جيكوب"، وأعلن فرانك أن الروح الإلهية التي كانت تسكن في "شبتاي تسفي" و "باروخيا" قد تقمصته، وأنه تجسيد جديد لها.

---

(١) انظر اليد الخفية للمسيري (١٠٢-١٠٣)

ولقد مكث فرانك في تركيا ، واعتنق الإسلام في الظاهر كيهود الدونمة، وحينما عاد إلى بولندا اعترف به الشبتانيون هناك زعيماً لهم، لكن المحكمة الدينية اليهودية قررت أن ممارساته الجنسية تتعارض مع اليهودية وكل الأديان، وطالبت الكنيسة الكاثوليكية بالحرب ضد الفرانكيين، ولكن فرانك وأتباعه أعلنوا معاداتهم للتلمود ، وطلبوا حماية الكنيسة الكاثوليكية التي وافقت على ذلك، ثم ما لبث أن تنصّر فرانك وأتباعه حسب الطريقة المارونية.(١)

ولقد شاع أمره وقبض عليه وأودع السجن من قبل السلطات الروسية عدة مرات، وما لبث أن مات عام (١١٧٩)، تاركاً كتاباً بعنوان "أقوال السيد" ، والذي يعد أهم مصدر لمعرفة أفكاره(٢).

- أفكار فرانك ومبادؤه:

١. بنى فرانك المنظومة الحلولية، وأوصلها إلى منتهاها ؛ إذ يحل الإله في المادة ويموت ، وتصبح وحدة وجود مادية كاملة، المادة فيها مقدسة تماماً، والإنسان فيها إله، ومن ثم فهي النقطة التي تسقط فيها

---

(١) المارونية : طائفة من النصارى الكاثوليك الشرقيين، ينسبون إلى القديس يوحنا مارون، دعا عام ٦٦٧ م إلى القول بأن للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة . يتخذون من لبنان مركزا لهم، والطائفة المارونية على خلاف مع طوائف النصارى، إلا أنها أعلنت اتحادها مع الكنيسة الرومانية عام ١١٨٢م، مع بقائها على معتقدها في المسيح. انظر: محاضرات في النصرانية لأبي زهرة (١٤٧)، المسيحية لشلبي(١٩٥)، الموسوعة الميسرة في الأديان إصدار الندوة (٢/ ٦٣٦)، موسوعة الأديان والمذاهب للأسود (١/ ٢٤١)

(٢) انظر اليد الخفية (١٠٣)،موسوعة اليهود واليهودية للمسيري(٢/ ١١٤).

كل الحدود، ويتساوى فيها المطلق بالنسبي والمقدس بالمدنس، والمحرم بالمباح، وتنقلب القيم رأسا على عقب، ويتساوى الخير والشر، والوجود والعدم.

٢. يتحدد إسهام فرانك في أنه خلص "القبالاة" من رموزها الكونية المترابطة الحركة، ووضعها في مصطلح شعبي أسطوري وطعّمها بصور مسيحية مألوفة لدى يهود شرق أوروبا. ولقد تأثر الفرانكيون بالفرق الأرثوذكسية الروسية المنشقة.

٣. يتبنى فرانك العدمية الدينية[١] التي تظهر في حديثه عن الطريق إلى الحياة الجديدة، أو الطريق الجديد الذي يؤدي إلى عالم لا يجد فيه قوانين ولاحدود، عالم تم فيه التجرّد من كل الشرائع والقوانين والأديان ، لكنه عالم ليس فيه حدود.

٤. أن هذا الطريق الجديد طريق غير مرئي، لايكون إلا في الخفاء، لذا فإنه يتعين على المؤمنين أن يرتدوا رداء عيسو (أي المسيحية)، فيتظاهروا بالتنصّر ، ويختبئ المؤمن تحت "عبء الصمت"، فيحمل

(١) العدمية مذهب فلسفي أدبي ملحد، اهتم بالعدم باعتباره الوجه الآخر للوجود، بل هو نهاية الوجود، وبه نعرف حقيقة الحياة بعيدا عن النظرة المثالية والنظرة الواقعية السطحية. والعدمية ترى أن الوجود الإلهي وعدمه سواء، وبهذا يفارقون الإلحاد الذي ينكر وجود الإله، فالملحد يختار جانب الإلحاد الصريح . أما العدمي فيرى أن المسألة سواء. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان، اصدار الندوة (٢/ ٨٨٨) .

المؤمن الإله في قلبه الصامت، فيعتنق الديانات الواحدة تلو الأخرى، ويمارس شعائرها مخادعاً لها ، قاصداً تقويضها وهدمها ، ثم نبذها بعد ذلك. ولقد كان من المحظور عندهم أن يتم الاختلاط بالمسيحيين أو الزواج منهم.

٥. تدور القصيدة الفرانكية حول ثالوث جديد يتكون من:

أ- الإله الخيّر أو الأب الطيب، وهو إله خفي يختبئ وراء ثاني أعضاء الثالوث، ولاعلاقة له بالخلق أو المخلوقات ، فهو لم يخلق الكون.

ب- الأم "علماه": أو "العذراء "بتولاه أو "هي"، وهي خليط من الشخيناه (التعبير الأنثوي عن الإله)، والعذراء مريم. والواقع أن صورة الأنثى في الثالوث الفرانكي جعلت من العنصر الجنسي ـ الكامن في القبالاة ، أوفي الحركة الشباتنية عنصراً أكثر وضوحاً، لذلك رأى فرانك أن التجربة الدينية الحقة لا بد وأن تأخذ شكل ممارسة جنسية، ونتيجة لقصائدهم وصلواتهم كان الجنس بكل صوره وأقذرها مشاعاً بينهم.

٦. قال فرانك بتقمص الأرواح وانتقالها؛ لأن روح الإله التي في "شبتاي صبي" قد حلّت في باروخيا ثم حلّت فيه، ففرانك تجسيد آخر للأخ الأعظم تقمصه الروح المقدس، وسمى نفسه "السيد المقدس".

٧. برزت فكرة "الخطيئة المقدسة" عند الفرانكيين ، والتي ترى أنه ينبغي الوقوع في الخطيئة الكبرى حتى ينشق عالم لا مكان فيه للخطيئة،

عالم هو الخير كله. ولكي يصعد الإنسان يجب عليه أن يهبط أولاً، وهـذا النزول لايقتضي فقط تـرك كـل الأديـان والمعتقـدات؛ بـل يجـب أيضـاً اقتراف أعمال آثمة غريبة، فتصـبح الوقاحـة والفجـور همـا مـا يقـود إلى إصلاح الأرواح.

٨. الشريعة الحقة هي التوراة الروحية ، أو توراة الفيض التي أتى بهـا تسفي. وأعلن فرانك أن الزوهار هو وحده الكتـاب المقـدس، ثـم مـا لبث أن ظهرت العدمية ، ووصلت إلى منتهاها حينما طلب مـن أتباعـه التخلّي عن الزوهار ذاته، وعن كل تراث قبالي.

٩. ترى الفرانكية أن مسرـح الخـلاص هـو بولنـدا ولـيس صـهيون، وأكد فرانك على أهمية الجوانب العسكرية[١].

-**بين الفرانكية والحسيدية:**

لقد ظهرت الحركة الحسيدية في نفس المرحلة الزمنية وفي نفـس المكـان (بودوليا) مع الحركة الفرانكية، وانتشرتا بـين نفـس الجماهـير (الفلاحـين اليهود وأصحاب الحانات، ومستأجري الامتيـازات مـن يهـود الأرنـدا، والوعاظ المتجولين الذين لم يكونوا أعضاء في النخبة الدينية).

وهناك نقاط تشابه كثيرة وعميقة بين **الحركتين:**

١ . كلتاهما تنطلقان مـن القبـالاة كإطـار فكـري، ويهمـلان دراسـة التوراة والتلمود (والفرانكية تعادي التلمود).

(١) انظر اليد الخفية (١٠٥).

٢. كلتاهما تأثرتا بالنزعة الشبتانية وبكثير من أفكارها، واتخذوا موقفاً متحرراً جديداً من مشكلة الخطيئة والذنب ، وأكدتا على أهمية التلقائية والحرية .

٣. كلتاهما جعلت من المنفى حالة شبه نهائية ، على اليهود تقبلها، وعلى الرغم من أن الحسيدية تعبر عن حب عارم لفلسطين، فإن الحسيدين لم يشجعوا اليهودية إليها قط؛ بل وقفوا ضدها. أما فرانك فلم يكترث بفلسطين، وقد تضمن برنامجه الإصلاحي (المشيحاني) تأسيس جماعة زراعية في إحدى مناطق بولندا.

٤. وقفت كل من الحركتين موقفاً معادياً من المؤسسة الحاخامية[١].

- بين الفرانكية والصهيونية:

الواقع أن كلاً من الفرانكية والحسيدية تشبه الصهيونية في بعض الوجوه، -ولكن الأولى أكثر قرباً إلى الصهيونية من الثانية-:

١. كلتاهما ترفض التراث الديني اليهودي بشكله التقليدي الأصولي.

٢. كلتاهما تخرق الشريعة ولا تلتزم بها، كما أن قضية السلطة أساسية بالنسبة إلى الفريقين.

٣. انتقد فرانك فكرة أن ينتظر اليهود عودتهم إلى صهيون في آخر الأيام، ورأى فيها فكرة سلبية تماماً، موافقاً بذلك الصهاينة.

---

(١) انظر اليد الخفية (١١١).

٤. أن الصياغة الفرانكية لـدمج اليهـود كجماعـة تـم تطبيعهـا (أي تنصيرها جزئياً وتحويلها إلى شعب منتج) ، لا تختلف كثيراً عن التصور الصهيوني الخاص بإخلاء أوروبا من يهودها، وتجميع هؤلاء اليهود في فلسطين، وتطبيعهم داخـل إطـار الدولـة اليهوديـة التـي سـتندمج في المجتمع الدولي.

٥. إن اهتمام فرانك بالزراعة والتنظيم العسـكري لـه مـا ينـاظره في النظرية والممارسة الصهيونية.

وختامـاً فإنـه رغـم العدميـة الدينيـة في الحركـة الفرانكيـة، ودعـوتهم للحلولية وإلى الممارسات الجنسية، وتظاهرهم بالدين النصراني، فـإنَّ لهـم شرطًا أساسيًّا: هو الاحتفاظ بشئ من هويتهم اليهوديـة العلنيـة، كـأن لا يحلقـوا سـوالفهم، وأن يرتـدوا الثيـاب الخاصـة بهـم، ويبقـوا أسـماءهم اليهودية إلى جانب أسمائهم المسيحية الجديدة، وألا يـأكلوا لحـم الخنزيـر، وأن يستريحوا يوم السبت[1].

---

(١) انظر اليد الخفية، (١١١-١١٢).

المبحث الخامس
الصهيونية

لقد أثبتت حركتا التنوير والتحرير لليهود أن اليهودي لايمكن أن يتحمل أثرهما دون أن يؤدي ذلك إلى ذوبانه في القوم الذين يعيش فيهم، فكلما صدق الأوروبي في تنويره وتحريره وعالميته وعلمانيته، كلما ضعف الأساس الديني عنده ، وبالتالي ضعف الأساس الديني عند اليهود، ولذلك رأى معظم اليهود أن الحل لمشكلتهم لن يكون في التحرير، فذلك حلّ يحل المشكلة بتذويبهم.

ولم يكن أمامهم من حلّ آخر سوى الصهيونية، لا سيما وأن الحرب العالمية وتقتيل اليهود فيها كان لايعطي مجالاً للتأمل أو التخطيط البعيد. ومن البدهي أن اليهود لا يرغبون في العودة إلى أمان وطمأنينة الجيتو، ففيه استعباد وشقاء كلي بالرغم من التضامن اليهودي الداخلي والوعي الديني القوي اللذين تطلبهما الجيتو وحققهما بشكل تام.

لذلك سعى اليهود لتحقيق حلم الصهيونية الأكبر بإقامة دولة إسرائيل في أرض الميعاد في فلسطين[١].

(١) انظر الملل المعاصرة، للفاروقي (٩٩-١٢٠)

ويمكننا أن نعرّف الصهيونية بأنها:

حركة سياسية عنصرية متطرفة، ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين، تحكم من خلالها العالم كله.

واشتقت الصهيونية من اسم (جبل صهيون) في القدس، حيث ابتنى داود قصره بعد انتقاله من حبرون (الخليل) إلى بيت المقدس في القرن الحادي عشر قبل الميلاد. وهذا الاسم يرمز إلى مملكة داود وإعادة تشييد هيكل سليمان من جديد، بحيث تكون القدس عاصمة لها(١).

إن الفكرة الصهيونية قديمة قدم التوراة، ولها جذور تاريخية فكرية وسياسية، منذ وردت لفظ صهيون لأول مرة في العهد القديم ، عندما تعرض للملك داود الذي أسس مملكته٩٦٠-١٠٠٠ ق. م.

ثم ظهرت عند حركة المكابيين التي أعقبت العودة من السبي البابلي (٥٣٨-٥٨٦ ق. م)، والتي كان أول أهدافها العودة إلى صهيون وبناء هيكل سليمان.

وهكذا توالت الحركات عبر القرون، لتحيي وتثير الحماسة في نفس اليهود للتجمع في فلسطين، وتأسيس مملكة إسرائيل.

---

(١) الموسوعة الميسرة (١/ ٥٢١).

وتعتبر حركة منشة بـن إسرائيـل ١٦٠٤-١٦٥٧م، هـي النـواة الأولى التي وجهت خطط الصهيونية وركزتها على أساس اسـتخدام بريطانيـا في تحقيق أهداف الصهيونية.

وتوالت الحركات التي تدعو إلى عودة اليهود إلى فلسـطين، ففـي عـام ١٨٨٢ ظهرت في روسيا حركة "حب صهيون".

أمـا الصـهيونية الحديثـة فهـي تنسـب إلى تيـودور هرتـزل الصـحفي اليهودي المجري المولود عام ١٨٦٠م، والذي عمل على قيـادة اليهـود إلى حكم العالم ، بدءًا بإقامة دولة لهم في فلسطين. وقد فاوض السـلطان عبـد الحميد بهذا الخصـوص في محـاولتين ، لكنـه أخفـق، عنـد ذلـك عملـت اليهودية العالمية على إزاحة السلطان وإلغاء الخلافة الإسلامية.

وأقام هرتزل أول مؤتمر صهيوني عالمي سنة ١٨٩٧م في بال بسويسرا، ودعا فيه إلى إقامة الدولة اليهودية، ونجح هرتـزل في تجميـع يهـود العـالم حوله، فـأحكموا تنظيماتهم وأصـبحوا يتحركـون بدقـة ودهـاء وخفـاء لتحقيق أهدافهم.

فالصهيونية إذاً هـي الواجهـة السياسـية لليهوديـة العالميـة، وهـي كـما وصفها اليهود أنفسهم (مثل الإله الهندي فشنو الذي له مائة يد) فهي لهـا في جلّ الأجهزة الحكومية في العالم يد مسيطرة موجهة تعمل لمصلحتها.

والصهيونية هي التي تقود إسرائيل وتخطط لها.

وتزعم الصهيونية أنها تقوم على أساس تعاليم التوراة والتلمود، والحقيقة أنها تتخذ اليهودية ستاراً لتحقيق مطامعها السياسية والاقتصادية، فنراها سرعان ما تضرب بالتلمود عرض الحائط متى ما تعارض مع مصالحها، فهي حقيقة علمانية بدليل أن عددًا من زعماء الصهيونية هم من الملاحدة[1].

---

(١) انظر الموسوعة الميسرة (١/ ٥٢١-٥٣٨) ، اليهودية لأحمد شلبي (٢٧٢)، العنصرية اليهودية لأحمد الزغيبي (١/ ٢٤٢)، اليهود في المعسكر الشرقي (٣٧)، الأفعى اليهودية لعبدالله التل (١١٠)،موسوعة اليهود واليهودية للمسيري(١/ ٦٤)(٢/ ٢٥٢،٢٠٨).

الخاتمة

حوت الخاتمة أهم نتائج البحث وهي:

- إن القارئ لفرق اليهود يرى مدى تفرقهم وتنافرهم واختلافهم فيما بينهم ، وإن كانوا يحاولون التظاهر بالوحدة في دولة واحدة على أرض واحدة ، كما قال سبحانه في وصفهم: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [سورة الحشر/ ١٤].
- إن غالب الفرق اليهودية المعاصرة هي امتداد لفرق اليهود القديمة.
- تأثر اليهودية بفرقها القديمة والمعاصرة بالظروف التاريخية ، وبالعوامل الاقتصادية والسياسية تأثرا واضحا، في عقائدها، ومبادئها، وشعائرها التعبدية.
- إن التغيير الواقع في فرق اليهود المعاصرة: في عقائدهم ومبادئهم بل وفي طقوس عبادتهم . وهذا الاختلاف فيما بينهم أكبر دليل على التحريف الواقع على الدين الذي جاء به موسى عليه السلام من عند الله عز وجل، قال تعالى: " ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النساء/ ٨٢]. فهذا الاختلاف الكبير عبر الزمن وبين الفرق اليهودية دليل على أنه ليس من عند الله الواحد.
- إن الفرق اليهودية المعاصرة مختلفة ، فمنها المتشدد الغالي في تمسكه بالتوراة وتعاليم التلمود والخاضع لسلطة الحاخامات ، وتمثله

الفرقة الأرثوذكسية ، أو "اليهود التقليديون"، ومنها المتحرر من هذه السلطة ، وتمثلة فرقة الإصلاحيين، ومنها ما هو بين الفريقين ، وتمثله الفرقة المحافظة.

• إن الفرقة الأرثوذكسية هي أقوى فرقة يهودية في العالم ، وذلك لما تمتعوا به من دعم الحكومة الإسرائيلية،والتي لا تعترف رسمياً بفرقة سواها.

• ليس كل الإسرائيليين يؤمنون بمبادئ الفرقة الأرثوذكسية ؛ فهم مختلفون في الانتماءات ، بل إن بعض الإسرائيليين علمانيون لا يتقيدون بأحكام التوراة.

• يعتبر اليهود الحسيديم هم المتصوفة والزهاد وأصحاب الرقائق والأخلاق.

• ظهرت الحركة الحسيدية في صفوف اليهود الأرثوذكس نتيجة جفاف ينابع الروح والإيمان تحت سلطة التلمود والحاخامات ، وكذلك بسبب اضطهاد الفقراء ، والتفرقة الطبقية بين عامة الناس.

• اليهود الحسيديم هم يهود أرثوذكس ، إلا أنهم يختلفون عنهم في الممارسات الدينية والسلوك والتقاليد ، إلى جانب لغتهم الخاصة بهم.

• لقد أثرت فكرة المسيح المنتظر تأثيراً عميقاً في التطور الديني عند اليهود، وسميت عند كثير من مؤرخي تطور الفكر الإسرائيلي باسم "المسيحانية".

- يعتبر يهود الدونمة واليهود الفرانكية من الطوائف المسيحانية اليهودية.
- إن الصهيونية حركة سياسية عنصرية متطرفة، ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين ، تحكم من خلالها العالم كله.
- إن اليهود على ما معهم من قوة مادية وسلطة سياسية إلا أنهم من أجبن الناس، وما حققوه من مكاسب إنما هو بمعونة غيرهم ووصولا على أكتافهم، قال تعالى: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ﴾ [سورة آل عمران/ ١١٢].

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على النبي المصطفى الأمين.

المراجع

١- إسرائيل وهويتها الممزقة، للدكتور عبد الله عبد الدائم، ط: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، الأولى،١٩٩٦م.

٢- الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام، لعبد الله التلّ، ط: المكتب الاسلامي، بيروت، الثانية.

٣- بروتوكولات حكماء صهيون "نصوصها، رموزها، أصولها التلمودية"، مجموعة الأجزاء الأربعة لحجاج نويهض، ط: دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت، الرابعة.

٤- كتاب التعريفات، لعلي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٩٠م.

٥- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، مراجعة وضبط: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.

٦- سنن الترمذي وهو الجامع الصحيح، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبع مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الثانية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٧- الشخصية الإسرائيلية، للدكتور حسن ظاظا، ط: دار القلم، دمشق، الثانية،١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

٨- العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، لأحمد بن عبد الله الزغبي، ط: مكتبة العبيكان، الأولى،١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٩- الفكر الديني: أطواره ومذاهبه، للدكتور حسن ظاظا، دار القلم، دمشق، الرابعة،١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

١٠-قاموس المذاهب والأديان، لحسين علي حمد، دار الجيل، بيروت، الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١١-الكليات، لأبي البقاء أيوب الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م.

١٢-الملل المعاصرة في الدين اليهودي، لإسماعيل راجي الفاروقي، مكتبة وهبة، القاهرة، الثانية،١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٣- الملل والنحل، لأبي الفتح محمد الشهرستاني، تحقيق: عبد الأمير مهنا – علي فاعور، ط: دار المعرفة، لبنان، الأولى،١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٤-موسوعة الأديان والمذاهب لعبدالرزاق محمد الأسود، الدار العربية للموسوعات،بيروت،الثانية،١٤٢٠/ ٢٠٠٠ م.

١٥-الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط: مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، الثالثة، ١٤١٨هـ.

١٦-موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية –الموسوعة الموجزة- للدكتور عبدالوهاب المسيري،ط:دارالشروق، القاهرة، الثانية، ٢٠٠٥ م.

١٧-اليد الخفية: دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية، للدكتور عبدالوهاب المسيري، ط: دار الشروق، القاهرة، الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

١٨-اليهود الحسيديم: "نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، تقاليدهم"، للدكتور جعفر هادي حسن، ط: دار القلم، دمشق، الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

١٩-اليهود في الشرق الأوسط، لمأمون كيوان، الأهلية للنشر والتوزيع،عمان، الأولى، ١٩٩٦م.

٢٠-اليهود في المعسكر الشرقي، لداود عبد الغفور سنقرط، ط: دار الفرقان، عمان، الأولى، هـ/ ١٩٨٣م.

٢١-اليهودية، للدكتور أحمد شلبي، ط: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة الثامنة، ١٩٨٨م.

٢٢-اليهودية والمسيحية، للدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ط: مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الأولى، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.

فهرس الموضوعات

رِسالة فِي الرَّدِّ عَلَى مُنْكِرِي بَعْثِ الأَجْسَادِ

تَأْلِيفُ

قَاسم بن محمَّد بن أحمد بن عبد الملك بن مخلص

رحمه الله تعالى

من علماء المغرب في القرن التاسع الهجري

تحقيق ودراسة

د. محمَّد باكريم محمَّد باعبدالله

الأستاذ المشارك بقسم العقيدة

بكلية الدعوة بالجامعة الإسلامية

مقدمة

الحمد لله ، له الحمد في الآخرة والأولى وإليه النشور ، وأشهد أن لا إله إلا هو ، وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، يحيي ويميت ويبعث من في القبور .

وأشهد أنَّ نبيِّنا محمّدًا عبده ورسوله ، وخيرته من خلقه ، وخليله ، بعثه الله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً. اللهم صلِّ عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً . **وبعد** :

فهذه رسالة لطيفة ، أحسب أنها في موضوعها نافعة مفيدة، تتحدث عن قضية بعث هذه الأجساد بأعيانها بعد موتها ، فتحشر وتحاسب، ثم هي التي تُنَعّم بعد ذلك أو تُعَذّب، إذ هي التي أطاعت في الدنيا أو عصت، وهي التي آمنت بالله ورسوله أو كفرت ، وهي التي في الخير سعت ، أو في الشر والخَنا وقعت ورتَعت .

فقد عوّل مؤَلِّفها رحمه الله على نصوص الكتاب والسُنَّة ، مستدلاً بها على إثبات البعث بعد الموت بوجهٍ عامّ ، وعلى بَعْثِ هذه الأبدان بذاتها ، رادًّا بذلك مزاعِمَ من ذهب إلى أنَّ المبعوث يوم القيامة إنما هو أبدان أجسام أخرى، غير هذه التي كانت في الدُّنيا .

وقد رأيت إخراجها من خزائن المخطوطات ، ونشرها، ليَعُمَّ النَّفْع بها .

وقد قدَّمت بين يديها دراسةً موجزة، تحدَّثتُ فيها عن وجوب الإيمان باليوم الآخر ، واهتمام الكتاب والسُنَّةِ به، وذِكْرِ شيءٍ من مظاهر هذا الاهتمام وأسبابه .

ثُمَّ ذكرتُ أنواع الأدلَّة على البعث ، وأصناف المنكرين له ، المُكَذِّبين به ، وأعظم شُبَهِهم ، وبيان مسلك القرآن في إبطالها ودحْضِها .

ثُمَّ عرَّفت بالرسالة وموضوعها ، وتحدَّثْتُ عن النُّسْخَة التي اعتمدت عليها ، وختمتُ هذه الدراسة ببيان عملي في تحقيق هذه الرسالة وخدمتها .

أسأل الله التوفيق والسداد في القول والعمل ، وأن يُقيلَ العَثْرَة ، ويعفو عن الزّلة ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبيِّنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين .

كتبه

محمَّد باكريم محمَّد باعبدالله

المدينة النبوية

تمهيد

في الإيمان باليوم الآخر ، والبَعْثِ بعد المَوْت والتعريف بالمؤلف والكتاب

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : في وجوب الإيمان باليوم الآخر ، وعناية الكتاب والسنة به .

المبحث الثاني : في وجوب الإيمان بالبَعْثِ وإثباته والرَّدِّ على مُنْكريه .

المبحث الثالث : التَّعريف بالمؤلِّف والكتاب .

المبحث الأول : الإيمان باليوم الآخر :

- **مكانة الإيمان باليوم الآخر في العقيدة الإسلامية :**

الإيمان باليوم الآخر ، ركن من أركان الإيمان ، التي لا يُعَدُّ المرء مؤمناً إلاَّ إذا استكملها وآمن بها .

وقد دلَّ على وجوب الإيمان بهذا اليوم : الكتاب ، والسنَّة ، وإجماع الأُمَّة:

- **فأمَّا الكتاب** ، فقد ذكر الله عزَّ وجلَّ وجوب الإيمان باليوم الآخر ، وأشار إلى كفر وضلال من لم يؤمن به .

فقال جلَّ وعلا : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [1] .

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ﴾ ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [2] .

ووصف المؤمنين به بأنهم أهل هداية وتقوى وفلاح ، فقال جلَّ وعلا : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ

---

(١) سورة البقرة ، آية : ١٧٧

(٢) سورة النساء ، آية : ١٣٦

وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [1] .

– **وأمَّا السُنَّة** فالنصوص الدَّالة على وجوب الإيمان بهذا اليوم ، وكونه أحد أركان الإيمان ، وأسسه التي يبنى عليها كثيرة ، من أشهرها وأظهرها حديث جبريل المشهور ، وهو حديث طويل في بيان الإسلام، والإيمان ، والإحسان وفيه : ((**قال – أي جبريل عليه السلام – فأخبرني عن الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشرِّه . قال : صدقت ...**)) [2] .

– **وأمَّا الإجماع** : فقد نقل الإمام ابن حزم رحمة الله عليه اتِّفاق الأُمَّة على الإيمان بالبعث والحساب وما بعده، وهما من أعظم وقائع اليوم الآخر، فقال : ((**واتفقوا أن البعث حق ، وأن الناس كلهم يبعثون في وقت تنقطع فيه سكناهم في الدنيا ، يحاسبون عما عملوا من خير وشر ...**)) [3] .

- **معنى الإيمان باليوم الآخر :**

أخرج ابن أبي حاتم ، عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما في معنى قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ قال :((أي بالبعث ، والقيامة ، والجَنَّة ، والنَّار ، والحساب ، والميزان)) . [4]

---

(١) سورة البقرة ، الآيات ١–٥.

(٢) م / كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام ... ١/ ٣٦ ح١.

(٣) مراتب الإجماع ص١٧٥ –١٧٦ ، نشر دار الكتب العلمية.

(٤) تفسير القرآن ١/ ٣٩ رقم ٨٢ بتحقيق د. أحمد عبد الله الزهراني .نشر الدار بالمدينة . وانظر :تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١/ ٦٦ط . الشعب

وقال الإمام محمد بن نصر المروزي ، مبيّناً معنى الإيمان باليوم الآخر في حديث جبريل – عليه السلام – : ((**أن تؤمن بالبعث بعد الموت ، والحساب والميزان ، والثواب ، والعقاب ، والجنة ، والنار ، وبكل ما وصف الله به يوم القيامة**)) (١) .

فالإيمان باليوم الآخر يشمل الإيمان بالبعث ، وما بعده من أمور الآخرة، مِمَّا أخبر الله عزَّ وجلَّ به ، أو أخبر به رسوله صلى الله عليه وسلّم ؛ من الحشر بعد البعث ، والحساب ، والحوض ، والميزان ، والصراط ، والجنّة ونعيمها ، والنار وعذابها .

ومن الإيمان باليوم الآخر ، الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت ؛ من فتنة القبر ، وعذابه ، ونعيمه ، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه (٢) .

كما أنه من الإيمان باليوم الآخر ، الإيمان بنهاية هذه الدنيا ، واعتقاد فنائها وزوالها .

ولذلك قال الإمام الحليمي في معنى الإيمان باليوم الآخر : ((ومعناه : التصديق بأن لأيام الدنيا آخراً ، أي أن هذه الدنيا منقضية ، وهذا العالم منتقضٌ يوماً صنعه ، منحل تركيبه)) (٣) .

---

(١) تعظيم قدرة الصلاة ١/ ٣٩٣ بتحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار ، نشر مكتبة الدار.

(٢) انظر العقيدة الواسطية بشرح الهرّاس ط، الثالثة ، نشر محمد عبد المحسن الكتبي .

(٣) المنهاج في شعب الإيمان ١/ ٣٣٦ بتحقيق حلمي محمد فودة ، ط . الأولى ١٣٩٩ هـ وفيه تحريف في بعض الألفاظ ، وتصويبه مستفاد من : شعب الإيمان للإمام البيهقي ٢/ ٥ تحقيق عبد العلي عبدالحميد حامد ، نشر الدار السلفية.

فالإيمان باليوم الآخر يشمل الإيمان بانقضاء هذه الدنيا ونهايتها ، والإيمان بالحياة الآخرة وما فيها ، وفق ما جاءت به نصوص الكتاب والسُّنَّة.

- **عناية الكتاب والسُنَّة بهذا اليوم ومظاهر ذلك :**

إنَّ المتأمِّلَ في نصوص الكتاب والسُنَّة الواردة في شأن اليوم الآخر ، يلحظ الاهتمام الكبير ، والعناية البالغة التي خُصَّ بها الإيمان بهذا اليوم ، واعتباره أحد الرَّكائز والدّعائم الأساسية التي يقوم عليها بناء الإيمان والعقيدة الإسلامية .

وفي هذه العجالة سأكتفي بالإشارة إلى أبرز أهم مظاهر هذه العناية على وجه الإيجاز ، فأقول وبالله تعالى أستعين :

– لعلَّ من أبرز مظاهر ذلك : الربط ، والاقتران الملحوظ بين الإيمان بالله عزَّ وجلَّ والإيمان باليوم الآخر في كثير من نصوص الكتاب والسُنّة ، مِمَّا يدل على مكانة الإيمان بهذا اليوم وأهميته .

وذلك كما في قوله تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ (١) .

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ **وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ** ﴾ (٢) .

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٦٢.

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٢٨.

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾ (٢) .

والآيات في ذلك كثيرة ، وفيما ذكرنا منها كفاية ، للدلالة على ما نذكره من مثيلاتها.

وأمَّا السُنَّة ، فالأحاديث التي جاء فيها ذلك كثيرة أيضاً ، نورد منها على سبيل المثال : قوله ﷺ : ((**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة ليس معها محرم**)) (٣) .

وقوله ﷺ : ((**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**)) (٤) .

وقوله عليه الصلاة والسلام : ((**لا يبغض الأنصار رجلاً يؤمن بالله واليوم الآخر**))(٥).

---

(١) سورة آل عمران ، الآيتان ١١٣-١١٤.

(٢)سورة البقرة ، آية : ٢٣٢

(٣) خ/ كتاب تقصير الصلاة ، باب في كم يقصر الصلاة ٢/ ٥٦٦ ح ١٠٨٨ . م/ كتاب الحج ، باب سفر المرأة مع محرم ٢/ ٩٧٧ ح ٤٢٠-٤٢١ . واللفظ للبخاري.

(٤) خ/ كتاب الأدب ، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره ١٠/ ٤٤٥ . ح٦٠١٨ . م / كتاب الإيمان ، باب الحث على إكرام الجار والضيف ، ولزوم الصمت ١/ ٦٨ رقم ٧٥.

(٥) م / كتاب الإيمان ، باب الدليل على أنَّ حبَّ الأنصار وعلي رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته،

- ومن مظاهر ذلك : الإكثار من ذكر هذا اليوم وأحواله فيهما ، فقلَّما تخلو سورة من سور القرآن من ذكر اليوم الآخر باسم من أسمائه ، أو بذكر بعض أحواله ، وما يكون فيه من النَّعيم ، أو العقاب . بل إنَّ في القرآن سوراً بتمامها أُفْرِدَت للحديث عن هذا اليوم، وأحواله، وأهواله، كسورة "القارعة"، وسورة " الزلزلة "، وسورة " الانفطار"، وسورة "التكوير"، وسورة "الحاقة"، وسورة " القيامة " ، وسورة " الغاشية " وغيرها .

وفي هذا دلالة واضحة على أهمية هذا اليوم ، وعناية الكتاب العزيز به . والأحاديث في ذكر أحوال وأخبار هذا اليوم لا تحصر . وقد أفرده أهل العلم بمؤَلَّفاتٍ خاصّة ، جمعوا فيها ما ورد في السُنَّة في شأن هذا اليوم[1] .

- ومن أهم وأبرز مظاهر اهتمام الكتاب العزيز والسُنَّة النبوية بهذا اليوم كثرة أسمائه وتعدُّدها فيهما ، وكثرة الأسماء تدل على شرف المُسمَّى وأهميته ، فإنَّ العرب إذا كان الشيء ذا أهمية وخطر عندها عدَّدت أسماءه.

فالسيف لَمَّا كان ذا أهمية في حياتهم ، أطلقوا عليه ما يقرب من خمسمائة اسم ، وكذا الأسد أكثروا من أسمائه وعدَّدوها لمكانته وخطره[2] .

وبغضهم من علامات النفاق ١/ ٨٦ رقم ١٣٠.

(١) مِمَّا أُلِّفَ في ذلك : كتاب " البعث والنشور " للبيهقي ، وقد طُبِعَ بعضه ناقصاً ، وقد تمَّ تحقيق الكتاب في رسالتين جامعيتين ، وفّق الله الباحثين لطبعه وإخراجه .

ومن المُؤَلّفات في ذلك : "البعث " لأبي داود ، وهو مختصر مطبوع . و" التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة " للإمام القرطبي ، وهو مطبوع أيضاً ، ومنها : كتاب "البدور السافرة في أمور الآخرة " للسيوطي ، وهو كسابقه من حيث حاجته إلى خدمة وعناية .

(٢) انظر التذكرة للقرطبي ص ٢٦٠ ، بتحقيق : أحمد حجازي السقا ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، ط١٤٠٠ هـ.

لذلك لَمَّا كان اليوم الآخر ذا أهمية كبرى ، وخطر عظيم ، تعددت الأسماء التي أُطلقت عليه في الكتاب والسُنَّة . قال الحافظ ابن حجر : ((وجمعها الغزالي ثُمَّ القرطبي فبلغت نحو الثمانين اسماً)) .

فمنها : ((يوم الجمع ، ويوم الفزع الأكبر ، ويوم التناد ، ويوم الوعيد ، ويوم الحسرة ، ويوم التلاق ، ويوم الفصل ...))[1] .

ومنها : ((يوم البعث ، ويوم القيامة ، والحاقة ، والغاشية ، ويوم التغابن)) .. إلى غير ذلك مِمَّا سُمِّيَ به هذا اليوم العظيم ، مِمَّا يدل على حقيقته وعِظَمِ شأنه .

- **أسباب اهتمام الكتاب والسنة باليوم الآخر :**

نستطيع أن نوجز أهم أسباب عناية واهتمام الكتاب والسنة بهذا اليوم في الأمور التالية :

أولاً: كثرة المنكرين له، المكذبين به من مشركي العرب وغيرهم. وقد أفصح القرآن الكريم عن مدى إنكار الكُفَّار لهذا اليوم وتعجبهم من تقرير إتيانه، فقال جلَّ وعلا: ﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ** ﴾[2] .

لذلك أكثر القرآن من ذكر هذا اليوم والحديث عنه ، وتفصيل كثير من أخباره وأحواله .

---

(١) فتح الباري ١١/ ٣٩٦ .

وراجع عن أسماء اليوم الآخر وشرحها : التذكرة للقرطبي ص٢٦٠ – ٢٨٣.

(٢) سورة سبأ ، الآيتان : ٧–٨.

ثانياً : شدة خطر هذا اليوم ، وما يكون فيه من الأمور العظام ، الَّتِي هي خارج نطاق التَّصَوُّر البشري المحدود في هذه الدنيا ، مِمَّا اقتضى الاهتمام ، والعناية به والإكثار من ذكره لتقريره وترسيخه . يقرِّر هذا المعنى الإمام السفاريني قائلاً : ((ولَمَّا كان أمر الساعة شديداً ، وهولها مزيداً ، وأمرها بعيداً، كان الاهتمام بشأنها أكثر من غيرها ، ولهذا أكثر النبي صلى الله عليه وسلم من بيان أشراطها وأماراتها ، وأخبر عمَّا بين يديها من الفتن البعيدة والقريبة ، ونبَّه وحذَّرهم ليتأهبوا لتلك العقبة الشديدة))[١] .

ثالثاً : غفلة الخلق عن هذا اليوم ، وكثرة نسيانهم له ، وحاجتهم إلى التذكير الدَّائم به ، والتنبيه المتكرر إلى حتمية إتيانه ، وحقيقة كونه ووقوعه .

فكان في اهتمام القرآن والسُنَّة به ، وتكرار أخباره وأحداثه ، إيقاظ للغافلين ، وتذكير للنَّاسين ، فلا يفتأ النَّاس بحاجةٍ إلى التذكير بهذا اليوم ، فمن طبيعة البشر النسيان ، وتُدْرِكُهم الغفلة في غمرة الانشغال بمتاع الحياة ولذائذها .

يوضح ذلك ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن حنظلةَ الأُسَيِّدِيِّ – وكان من كُتَّاب النَّبِيِّ ﷺ – ، وقال : لقيني أبو بكر ، فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قال : قلت : نافق حنظلةُ . قال : سبحان الله ، ما تقول ؟ قال : قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنَّار ، والجنَّة ، حتَّى كأنَّا رَأْيُ عينٍ[٢]، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ : عافسنا[٣] الأزواج والأولاد

---

(١) لوامع الأنوار ٢/ ٦٥ – ٦٦.

(٢) جاء في حاشية صحيح مسلم :" قال القاضي : ضبطناه رأيُ عينٍ بالرفع ، أي كأنَّا بحالِ من يراها بعينه . قال : ويصح النصب على المصدر ، أي نراها رأي عين ، ٤/ ٢١٠٦.

(٣) المعافسة : المعالجة ، والممارسة ، والملاعبة .

والضيعات ، فنسينا كثيراً ، قال أبو بكر – فو الله إنا لنلقى مثل هذا ، فانطلقْتُ أنا وأبو بكر حتَّى دخلنا على رسول الله ﷺ ، قلت : نافق حنظلة يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : (**وما ذاك ؟**) قلت : يا رسول الله نكون عندك تُذَكِّرُنا بالنَّار والجنَّة حتَّى كأنَّا رَأْيُ عَينٍ ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، نسينا كثيراً ، فقال رسول الله ﷺ : ((**والذي نفسي بيده إنْ لَوْ تدُومونَ على ما تكونون عندي ، وفي الذِّكْرِ ، لصَافَحَتكُم الملائكةُ على فُرُشِكُم ، وفي طُرُقِكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ، ثلاث مرَّات**)) [1] .

فإذا كان النسيان والغفلة عن الجنَّة والنَّار ، وهما دار الجزاء في اليوم الآخر ، يقعان لصفوة خلق الله بعد رسله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، فكيف بسائر عباد الله ، لا شكَّ أنَّ حاجتهم إلى التذكير أعظم ، لِعِظَمِ غفلتهم وذهولهم عمَّا أخبر الله به من أحوال هذا اليوم .

رابعاً : ما أصاب عقيدة البعث والإيمان باليوم الآخر من فسادٍ عند أصحاب الكتب السماوية السابقة لهذه الأُمَّة ، بسبب تحريف أتْبَاع هذه الكتب لها ، فعقيدة البعث عند اليهود والنَّصارى لحقها من التّحريف والتبديل ما ذهب بحقيقتها التي أنزلها على موسى وعيسى عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام .

ابن الأثير : النهاية في غريب الحديث ٣/ ٢٦٣ ، بتحقيق طاهر أحمد الزاوي وزميله.

(١) م/ كتاب التوبة ، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة ٤/ ٢١٠٦ ح ٢٧٥٠.

ولَمَّا كان نبيُّنا صلوات الله وسلامه عليه ، خاتم الأنبياء فلا نبي بعده ، وقد بُعِثَ وهو والساعة كهاتين – وأشار بأصبعيه الوسطى والسبابة ﷺ – بيَّن الله عزَّ وجلَّ في شريعته من أمور اليوم الآخر وأحواله ، وكرّر ذلك وفصّل فيه ، وأزال كل شبهة ، ودحض وفنَّد أقوال مُنْكريه ، ولم يبق للخلْقِ على الله حُجَّة بعد هذا البيان والتأكيد على وقوع هذا اليوم وإتيانه .

هذا طرف من أسباب اهتمام الكتاب والسُنَّة وعنايتهما بموضوع اليوم الآخر والبعث بعد الموت ، والأسباب أكثر مِمَّا ذُكِرَت ، وليس غرضنا هنا استقصاؤها ، وفيما أشرت إليه منها كفاية للتنبيه والدلالة على مبلغ أهمية الإيمان بهذا اليوم ، وما أخبرت به الكُتُب والرُّسُل من وقائعه وأحوال النَّاس فيه .

المبحث الثاني :
الإيمان بالبعث .

وفيه :

أولا : تعريف البعث في اللغة ، والمراد به شرعاً :

أ – البعث في اللغة :

يقول ابن فارس :" بعث " : الباء والعين والثاء ، أصل واحد ، هو : الإثارة . ويقال : بعثتُ النَّاقة ، إذا أثرتها [١] .

ويأتي البعث في لغة العرب على وجهين :

أحدهما : الإرسال ، ومنه قوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ** ﴾ [٢] معناه : أرسلناه .

والثاني : الإثارة . ومنه إثارة البارك ، تقول : بعثتُ البعيرَ ، أي : أثرته . وإثارة النَّائم ، فيقال : بعثه من نومه بعْثاً ، فانْبَعَثَ ، أي : أيقظه وأهَبَّه . ومنه قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ** ﴾ [٣] . أي : يبعثكم ويوقظكم من منامكم .

ويأتي البعث بمعنى : الإحياء من الله للموتى، ومنه قوله ﷻ : ﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ** ﴾ [٤] ، أي : أحييناكم [٥] .

---

(١) معجم مقاييس اللغة :١/ ٢٦٦.

(٢) سورة يونس ، آية : ٧٥.

(٣) سورة الأنعام ، آية : ٦٠.

(٤) سورة البقرة ، آية : ٥٦.

(٥) انظر هذه المعاني للبعث في : الصحاح للجوهري ١/ ٢٧٣ ، بتحقيق أحمد عبد الغفور عطار، لسان العرب ٢/ ١١٦-١١٧.

ب – المراد بالبعث في الاصطلاح الشرعي :

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله ، في بيان المراد بالبعث : ((هو المعاد ، وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة))[١] .

ويُبَيِّن ذلك الإمام الحليمي رحمه الله قائلاً : ((والإيمان بالبعث هو : أنْ يؤمن بأن الله تعالى ، يُعيد الرُّفات من أبدان الأموات ، ويجمع ما تفرَّق منها في البحار ، وبطون السباع ، وغيرها ، حتَّى تصير بهيئتها الأولى ، ثُمَّ يجمعها حيَّة ، فيقوم النَّاس كلهم بأمر الله تعالى أحياء))[٢] . وتابعه تلميذه الإمام البيهقي رحمة الله عليه[٣] .

وعبارة الحافظ ابن كثير رحمه الله على إيجازها ، أدق في بيان معنى البعث ، لأنه نَصَّ على قيام الأرواح والأجساد جميعاً ، وأنَّ ذلك يكون يوم القيامة .

وتعريف الإمامين الحليمي والبيهقي – رحمهما الله – فيه تفصيل لكيفية البعث ، وأنَّه يكون بجمع الأجزاء بعد تفرُّقها ، وسيأتي لذلك زيادة بيان ، إنْ شاء الله تعالى .

ثانياً : إثبات البعث ، وطريقة القرآن في ذلك :

لَمَّا كانت مسألة البعث بعد الموت ، وقيام الأجساد بعد تَفَتُّتِهَا وذهابها في الأرض من الأمور التي جادل فيها الكُفَّار واستبعدوها ، شأنها في ذلك شأن مسألة الوحدانية ، وإفراد الله تعالى بالعبادة ، حيث تعجَّبوا منهما ، كما حكى

---

(١) تفسير القرآن العظيم ٥/ ٣٩٠.

(٢) المنهاج في شعب الإيمان ١/ ٣٤٥.

(٣) انظر شعب الإيمان ٢/ ١٢.

الحق تبارك وتعالى ذلك عنهم ، فقال في شأن تعجّبهم وإنكارهم للبعث والإعادة : ﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴾ (١) .

وقال في شأن تعجّبهم من إفراده بالألوهية : ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ (٢) .

أقول : لَمَّا كان الحال ما ذُكِرَ ، سلك القرآن الكريم في إثبات البعث طرقاً متعددة ، ودلَّل على وقوعه بأنواعٍ من الأدلة ، تلزم أصناف المنكرين له والمكذبين به ، فكان من أهمها وأظهرها دلالة ما يأتي :

١- من أعظم الأدلة على وقوع البعث ، ولا سيَّما للمؤمنين بالله ، المصدقين لرسوله ﷺ ، إخبار الحق تبارك وتعالى عن وقوع البعث ، وما يقع بعده من أحوال اليوم الآخر ، وهذا كثير متنوع في القرآن .

أ – فتارة يكون إخباراً مجرَّداً، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ﴾ (٣) .

ب – وتارة : يؤكد ذلك الإخبار بأداة توكيد، كقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ (٤) ، وقوله : ﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ (٥) .

---

(١) سورة ق ، الآيات ١-٤.
(٢) سورة ص ، الآيتان : ٤-٥.
(٣) سورة الأنعام ، آية : ٣٦.
(٤) سورة المؤمنون ، آية : ١٦ .
(٥) سورة الحج ، آية : ٧.

جـ – وتارة يُقْسِم جلَّ وعلا على وقوعه وحصوله لا محالة، فيقول: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ [1].

د – وتارة يأمر رسوله ﷺ أنْ يُقْسِم على وقوعه وإتيانه وكونه، كما في قوله ﷻ: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ﴾ [2].

قال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: ((وهذه هي الآية الثالثة التي أمر الله رسوله أنْ يقسم بربه عزَّ وجلَّ على وقوع المعَاد ووجوده، فالأولى في سورة يونس [3]:

﴿ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ .

والثانية في سورة سبأ [4]: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ ﴾ ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ ، والثالثة هي هذه)) [5].

٢ – الاستدلال بالنشأة الأولى على البعث والإعادة:

وهذا النوع من الأدلة شرعي عقلي؛ فإن العقل السليم يدرك أنَّ إعادة الشيء أسهل من بدء خلقه وإيجاده أولاً.

والآيات التي جاءت في هذا المعنى كثيرة، منها:

---

(١) سورة مريم، آية: ٦٨.

(٢) سورة التغابن، الآية: ٧.

(٣) الآية: ٥٣.

(٤) الآية: ٣.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٨/ ١٦٢.

- قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾[1] .

- ومنها قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ ﴾[2]

- ومنها قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾[3] .

٣ – الاستدلال بخلق الأكبر والأعظم ، على البعث والإعادة : كما ورد في استدلال القرآن الكريم بخلق السماوات والأرض على البعث في عدة آيات منها :

- قوله تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[4] .

وهذا النوع من الأدلة ، أدلة شرعية عقلية ، فهي إلى جانب كونها إخباراً من الحق تبارك وتعالى عن البعث ، فهي كذلك ملزمة عقلاً للمكذبين ، لو كانوا يعقلون ، فإنَّ العقل السليم لا يشك في أنَّ الذي يخلق الأعظم

---

(١) سورة يس ، الآيات : ٧٧- ٧٩.

(٢) سورة الروم ، الآية : ٢٧.

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٤.

(٤) سورة يس ، الآية : ٨١.

والأكبر هو أقدر على خلق ما دونه ، ولا شكَّ أنَّ البعث وإعادة الخلق بعد موتهم دون خلق السموات والأرض .

٤ – الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها ، على إحياء الخلق وبعثهم بعد موتهم :

وهذا دليل مُشاهَد محسوس ، يشهده الخلق في حياتهم، ويحسونه ويرون كيف يحيي الله عزَّ وجلَّ الأرضَ بعد موتها وجفافها وذهاب أشجارها وثمارها، وذلك بإنزال المطر عليها ، فإذا هي مخضرة حيَّة، فالذي أحياها بعد موتها قادر على إحياء الخلق بعد موتهم. وقد ورد عدد من الآيات الكريمة في هذا المعنى.

من ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ** ﴾ [١].

– وقوله تعالى : ﴿ **فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [٢].

– وقوله تعالى : ﴿ **وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [٣] .

---

(١) سورة فصلت ، الآية : ٣٩.

(٢) سورة الروم ، الآية : ٥٠.

(٣) سورة الأعراف ، الآية : ٥٧.

٥ – الاستدلال بما وقع وحدث من إحياء الله بعض الموتى في الدُّنيا، على بعث الخلق بعد موتهم يوم القيامة :

وهذا النوع دليل وقوع فِعْلِي مُلزِم لمن شاهد ذلك، وهو دليل شرعي مُلزِم للمؤمنين ؛ لأنه خبرٌ صادقٌ مِنَ الحقِّ تبارك وتعالى . وقد قصَّ الله تبارك وتعالى علينا خبر خمس وقائع من ذلك، كلّها في سورة البقرة .

الأولى : قصة الذين قالوا لموسى عليه السلام: لن نؤمن حتَّى نرى الله جهرة، في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾** ﴾ (١) .

الثانية : قصة قتيل بني إسرائيل المذكورة في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ **وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾** ﴾ (٢) .

الثالثة : قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم أُلوفٌ حذر الموت، في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ** ﴾ (٣)

الرابعة : قصة الذي مرَّ على قرية وهي خاويةٌ على عروشها . المذكورة في الآية ٢٥٩ من سورة البقرة .

---

(١) سورة البقرة، الآيتان : ٥٥-٥٦.

(٢) سورة البقرة، الآيتان : ٧٢-٧٣.

(٣) سورة البقرة، الآية : ٢٤٣.

الخامسة : قصة إبراهيم عليه السلام ، المذكورة في قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا** ﴾[1] .

ثالثاً : أصناف منكري البعث :

منكرو البعث أربعةُ أصنافٍ :

الصنف الأوَّل : قومٌ أنكروا الخالق ، والمبدأ ، والمعاد . وهم الدهرية القائلون بالطبع المُحْيِي ، والدهر المفني ، من معطّلة العرب[2] ، وهو قول الفلاسفة الطبيعيين ، والملاحدة قديماً وحديثاً .

وهؤلاء ينبغي أن يكون الكلام معهم في إثبات الخالق أوَّلاً . وهؤلاء هم الذين جاء فيهم قوله تعالى : ﴿ **وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ** ﴾[3] .

الصنف الثاني : قومٌ أقرُّوا بالخالق وبدء الخلق ، لكنَّهم أنكروا البعث والمعاد ، وهؤلاء هم مشركو العرب ودهماؤهم[4] الذين جاء فيهم قوله ﷻ:

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٠ .

وسيذكر المؤلِّف هذه الآيات ، وينقل ما جاء في معناها وقصصها.

(٢) الشهرستاني : الملل والنحل ٣/ ٧٩ بتحقيق : عبد العزيز الوكيل ، ط . ١٣٩٧هـ.

(٣) سورة الجاثية ، الآية : ٢٤.

(٤) الملل والنحل ٣/ ٨٠.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[1]، فهم يقرُّون بالخالق عزَّ وجلَّ، وأنَّه خلقهم وخلق السماوات والأرض: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[2]. ولكنَّهم مع ذلك ينكرون البعث والحياة الآخرة، وقالوا: ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴾[3].

وهم المذكورون في حديث أبي هريرة وفيه: ((**كذَّبني عبدي وليس له ذلك، وشتمني عبدي وليس له ذلك، فأمَّا تكذيبه إياي، فقوله: لن يعيدني كما بدأني ...**)) الحديث[4].

وجُلُّ آيات إثبات البعث هي في الرَّدِّ على هذا الصّنْف، كما تقدَّم.

الصنف الثالث: قالوا: البعث والحشر يكون للأرواح دون الأجساد، وهؤلاء طوائف من الفلاسفة الإلهيين، كابن سينا وغيره.

يقول ابن سينا: ((فالنَّفْس بعد الموت: إمَّا شقية، وإمَّا سعيدة، وذلك هو المعاد))[5]، وقال أيضاً: ((فإذا بطُل أن يكون المعاد للبدن، وبطل أن يكون للبدن والنفس جميعاً، فالمعاد إذن للنفس وحدها على ما تقرر))[6].

ويرد عليهم:

أولاً: بأنَّ البعث الذي جاءت بإثباته الكتب والرسل إنَّما هو بعثُ ومعادُ الأجساد، وردّ الأرواح إليها بعد قيامها، وهو الذي جاء القرآن بإثباته

---

(١) سورة لقمان، آية: ٢٥.

(٢) سورة الزخرف، آية: ٨٧.

(٣) سورة الدخان، آية: ٣٥.

(٤) خ/ كتاب التفسير، باب قوله تعالى ﴿ الله الصمد ﴾ ٨/ ٧٣٩ ح ٤٩٧٥.

(٥) رسالة في المعاد، لابن سينا ص١٠٩ - ١١١.

(٦) المصدر نفسه، ص٩٣.

والرد على منكريه الذين استبعدوا إعادة الأجساد بعد تمزقها وتفتتها ؛ فإثباتكم لبعث الأرواح دون الأجساد ، لا يُعَدُّ إثباتاً للبعث الذي جاء القرآن بإثباته .

ثانياً : ثمّ إنَّ الأرواح لا تموت حتى تبعث على الصحيح ، بل موتها هو مفارقتها للجسد ، ورجوعها إلى خالقها ، ثُمّ عند بعث الأجساد تُرَدُّ كل روح إلى جسدها الذي كانت فيه في الدُّنيا . والله تعالى أعلم [١] .

الصنف الرابع :

طائفةٌ قالوا : إنَّ البعث والمعاد هو خلق أبدان أُخرى ، وأرواح أُخرى ، غير الأبدان والأرواح التي كانت في الدنيا . وهي التي تُنَعَّم أو تُعَذَّب في الآخرة .

وهؤلاء هم ملاحدة الجهمية . قال ابن القيم : ((وهذا قول مَنْ لا يعرف المعاد الذي جاءت به الرسل)) [٢] .

ويُرَدّ على هؤلاء من ثلاثةِ أوجهٍ :

الأوَّل : أنَّ الذين أنكروا البعث ورد عليهم القرآن ، لم ينكروا قدرته تعالى على أن يخلق خلقاً آخر في الآخرة ، وإنَّما أنكروا إعادة هذه الأجساد التي كانت في الدنيا ؛ لأنَّهم يرون الله عزَّ وجلَّ يخلق كل يوم خلقاً جديداً ، فكل يوم يولد خلق من خلق الله سبحانه .

---

(١) راجع : الروح ، لابن القيم : ١/ ٢٤٢ ، بتحقيق : بسام العموش.

(٢) الفوائد : ص٥.

فإثباتكم للبعث والإعادة على الوجه الذي ذكرتم ، وهو خلق أبدان وأرواح جديدة، ليس هو البعث الذي جاء القرآن بإثباته، والرد على منكريه.

الثاني : أنَّ النصوص من القرآن الكريم والسُنَّة المطهرة دلَّت على شهادة أعضاء الجسد على أصحابها في الآخرة بما اكتسبوه وفعلوه في حياتهم الدنيا كما قال عزَّ وجلَّ : ﴿ **ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ** ﴾ (١) .

ولو كان البعث هو خلق أجساد وأعضاء جديدة ، لما أمكن شهادتها بما فعله الإنسان في الدنيا ، ولما قبل الإنسان شهادتها عليه ؛ لأنَّها لم تكن معه في الدنيا ؛ ولما كانت شهادتها ملزمة ومدينة له .

الثالث : إنَّ قولكم هذا ينافي عدل الله وحكمته ، إذ كيف يعذِّب الله جلَّ وعلا جسداً لم يقترف ذنباً ، ولم يقترف جرماً ، وكيف يعصاه جسد ويُعَذِّب غيره ؟!.

رابعاً : شبهة منكري البعث ، والرد عليها :

أ – الشبهة الرئيسةُ لمنكري البعث ، هي : " استبعاد إعادة أجزاء هذه الأجساد إلى حالتها التي كانت عليها في الدنيا ، بعد تمزقها وتفتتها واستحالتها إلى تراب " .

---

(١) سورة يس ، الآية : ٦٥ .

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الشبهة التي استند إليها منكرو البعث ، في أكثر من آية ، من ذلك :

١- قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ (١) .

٢- وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا ﴾ (٢) .

٣- وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴾ (٣) . وغير ذلك من الآيات التي نصَّت على شبهة هؤلاء الجاحدين المنكرين للبعث . وهذه الشبهة التي ارتكزوا عليها في إنكارهم هذا ، مبنيةٌ على ثلاثة أمورٍ :

الأمر الأوَّل : عدم تميُّز أجزاء وذرَّات كل بدن من البدن الآخر ، بعد استحالتها جميعاً إلى التراب ، واختلاطها به وببعضها .

الأمر الثاني : استبعاد قدرته عزَّ وجلَّ على جمع وإعادة هذه الأجزاء والذرَّات ، لما تقدَّم في الأمر الأول من اختلاطها وعدم تميُّزها . فقالوا : إنَّ ذلك غير ممكن ، وغير مقدورٍ عليه البَتَّةَ .

الأمر الثالث : عدم الحكمة في هذا البعث والإعادة والفائدة منه ، في نظرهم ، لذلك قالوا : ﴿ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (٤) .

---

(١) سورة سبأ ، آية : ٧.

(٢) سورة الإسراء ، آية : ٩٨.

(٣) سورة السجدة ، آية : ١٠.

(٤) سورة الأنعام ، آية : ٢٩.

فلا حكمة في إفناء الخلق ثُمَّ بعثهم مَرّةً أُخرى ، على حَدِّ زعمهم .

ب – الرد على هذه الشبه (١) :

رداً على هذه الشبه جميعاً جاءت براهين البعث وأدلَّتُه في القرآن مبنيَّةً على ثلاثة أصول ، كُلّ أصلٍ منها يتضمَّن رداً على أحد الأمور الثلاثة التي بنى عليها المنكرون شبهتهم ، في استبعاد البعث والإعادة بعد الموت .

الأصل الأول : تقرير كمال علم الرب عزَّ وجلَّ ، وهو يتضمن الرد على الأمر الأول ، وهو قولهم بعدم تمييز الأجزاء بعد استحالتها واختلاطها بالتراب.

لذلك ذيَّل الرَّب ﷻ كثيراً من أدلَّة إثبات البعث بذكر كمال وسعة علمه سبحانه، فقال تعالى في سورة يس في معرض آيات إثبات البعث: ﴿ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (٢)، وقال : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣)، وقال في سورة ق : ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾ (٤) ؛ قال ابن عباس –رضي الله عنهما– : " أي ما تأكل الأرض من لحومهم وأبشارهم وعظامهم وأشعارهم"، وكذا قال مجاهد ، والضحاك ، وغيرهم (٥) .

---

(١) انظر : الفوائد لابن القيم ص٦.

(٢) سورة يس : الآية ٨١.

(٣) سورة يس : الآية ٧٩.

(٤) سورة ق : الآية ٤.

(٥) ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٧/ ٣٧٣.

وهذه الآية واضحة الدلالة على كمال سعة علمه عزَّ وجلَّ، وهي في علمه بما اختلط بالأرض من أجزاء الإنسان: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ﴾، فأثبت علمه بكل ذَرَّة من ذرَّات البدن ذهبت في الأرض، وتمييزه لها.

الأصل الثاني : تقرير كمال قدرته سبحانه .

وفي ذلك رد على زعمهم عدم قدرته على جمع أجزاء الأبدان بعد تفتتها واختلاطها بالأرض .

وقد أشار عزَّ وجلَّ إلى كمال قدرته في كثير من الآيات الكريمة التي جاءت في إثبات البعث ، كما في قوله ﷻ : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [1]، وقوله: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴾ [2]، وقوله: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ ﴾ [3]، وقوله : ﴿ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴾ [4]، وقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [5]، وقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ ﴾ [6]

---

(١) سورة يس : الآية ٨١.

(٢) سورة القيامة ، الآية : ٤

(٣) سورة الإسراء ، الآية : ٩٩.

(٤) سورة الطارق ، الآية : ٨.

(٥) سورة فُصلت ، الآية : ٣٩.

(٦) سورة الأحقاف، الآية : ٣٣.

الأصل الثالث : تقرير كمال حكمته سبحانه .

فقد بيَّن سبحانه وتعالى ، أنَّه يبعث الخلق بعد موتهم ، ويعيدهم أحياء، لِحِكَمٍ عظيمة ، وذلك في غير ما آية من كتابه الكريم .

ولعلَّ من أظهر هذه الحكم وأهمها :

المجازاة على الأعمال ، إذ يقتضي كمال عدله ، وحكمته تبارك وتعالى ألاَّ يستوي أهل طاعته والإيمان به ، وأهل معصيته والكفر به : ﴿ **أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ** ﴾ [(١)] ، ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ [(٢)] .

وأنَّه لابُدَّ من البعث لينال كُلٌّ جزاءَ عمله ، يقول جلَّ وعلا : ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا** ﴾ ﴿ **قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٣) لِّيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) وَالَّذِينَ سَعَوْ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ (٥)** ﴾ [(٣)] .

(١) سورة السجدة ، الآية ١٨

(٢) سورة الجاثية ، الآية : ٢١.

(٣) سورة سبأ ، الآيات : ٣-٥.

ويقول : ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾[1] .

ومن الحكمة في البعث : أن يُبيِّن جلَّ وعلا فيه ما كانوا فيه يختلفون ، ويتبين لمنكري البعث والمكذبين به ، أنَّهم كانوا كاذبين .

يقول في ذلك جلَّ وعلا : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴾[2].

يقول الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية : " ثُمَّ ذكر تعالى حكمته في المعاد وقيام الأجساد يوم التناد ، فقال : ﴿ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ﴾ ؛ أي : للنَّاس ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ﴾ أي : كل شيء ، ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ﴾[3]، ﴿ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴾ أي: في أيمانهم وإقسامهم: لا يبعث الله من يموت ، ولهذا يُدَعُّون في نار جهنّم دعّا ، وتقول لهم الزبانية: ﴿ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾[4]"[5] .

---

(١) سورة النجم ، الآية : ٣١.

(٢)سورة النحل ، الآيات : ٣٨-٣٩.

(٣)سورة النجم ، الآية : ٣١.

(٤)سورة الطور ، الآية : ١٤.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٤/ ٤٩٠.

خامساً : كيفية إعادة هذه الأجساد :

إنَّ معرفة كيفية بعث الأجساد والأبدان بعد موتها ، مترتِّبٌ على معرفة معنى فنائها، فمَن قال: إنَّ فناءها معناه انعدام أجزائها انعداماً كليّاً بعد موتها ، بحيث لا يبقى منها شيء ، قال : إنَّ كيفية بعثها يكون بإعادتها بعد فنائها وعدمها ، والله قادرٌ على ذلك .

ويستدل هؤلاء بقوله ﷻ: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [1] ، وبقوله تعالى : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [2]؛ فقالوا : الهلاك والفناء هو : إعدام عين الشيء وزواله ، وإعادته تكون بخلقه وإيجاده بعد هذا الانعدام والزوال ، لعينه .

واستدلوا لذلك بقوله تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [3].

قالوا : إنَّ الله ﷻ شبَّه الإعادة بالبدءِ ، ولَمَّا كان بدءُ الخلقِ إيجاداً بعد عدم، وَجَبَ أنْ تكون الإعادة كذلك .

أمَّا من رأى أنَّ معنى فناء الأبدان المذكور في النُّصُوص ، إنَّما هو تفرُّقها وتفتت أجزائها ، وذهابها في الأرض ، واختلاطها به ، قال : بعثها وإعادتها تكون بجمع ما تفرَّق من أجزائها ، وإعادة تركيبها ، ورد الأرواح إليها .

---

(١) سورة القصص ، الآية : ٨٨.

(٢) سورة الرحمن ، الآية : ٢٦.

(٣) سورة الأنبياء ، الآية : ١٠٤.

ويستدل لهذا القول بأدلَّةٍ كثيرةٍ من الكتاب والسُنَّة :

فأمَّا من الكتاب ، فمن الأدلَّة على ذلك :

١) قوله تعالى في قصة الذي مرَّ على قريةٍ وهي خاوية ، فاستبعد إعادتها بعد خرابها إلى سابق حالها وعهدها : ﴿ **أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [(١)] .

فقد أفادت هذه الآية الكريمة أنَّ الله عزَّ وجلَّ أراه كيف يُحْيِي ، بعد أنْ يُمِيت ، بأنْ أراه كيف يجمع العظام بعضها إلى بعض ، وهي أجزاء حماره المبعثرة حوله ، كيف يَكْسُوها لحماً ويعيد الحياة إليها ، وكل ذلك كان من باب جَمْعِ مَا تفرَّق من الأجزاء ، وإعادته إلى صورته التي كان عليها .

٢) ومن الأدلَّة أيضاً : قوله عزَّ وجلَّ في قصة إبراهيم عليه السلام ، لَّما طلب من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ**

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٥٩.

قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [(١)] .

إذ دلَّت هذه الآية على أنَّ إحياء هذه الطير بعد موتها ، إنَّما كان بجمع أجزائها المتفرِّقة ، وضمِّ بعضها إلى بعض ، حيث أمَرَ الله نبيَّه إبراهيمَ عليه السَّلام أنْ يُقَطِّعها أجزاءً ، ثُمَّ يَضَع على كلِّ جبلٍ منْهُنَّ جُزْءاً ، ثُمَّ أمَرَه أنْ يدعوَها بعد ذلك ، فاجتمع كُلُّ جزءٍ من كُلِّ طَيْرٍ مَعَ الجُزْءِ الآخر منه ، ثُمَّ جاءته حَيَّةً تَسْعَى .

٣) ومن أدلَّة ذلك : قوله ﷻ : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾ [(٢)].

ومعلومٌ أنَّ الذي في القُبور إنَّما هو أجزاء الموتى ، بعد أنْ تَفَتَّتَت واختلطت بالتراب ، فالله عزَّ وجلَّ قادرٌ على تمييزها وبعثها وإعادتها ، ولو أنَّ الأجساد التي في القبور انعدمت بالكُليَّة ، لَمَا صحَّ أنْ يُقال : ﴿ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴾ ، لأنَّه عَلَى هذا لم يعد فيها أحد لانعدام الأجساد ، فلمَّا قال ذلك ، دلَّ على أنَّ الأجساد باقية في القبور ، وإن استحالت إلى صورة التراب واختلطت به .

٤) ومن الأدلَّة على ذلك أيضاً : قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ ﴾ [(٣)] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٦٠.

(٢) سورة الحج ، الآية : ٧.

(٣)سورة القيامة ، الآية : ٣-٤.

فقد صرَّحت الآية بجمع عظام الإنسان المتفرِّقة ، كما صرَّحت بإعادة البنان الذي أثبت العلم الحديث أنَّ لكل إنسان بصمة بنان تُميّزه عن أي إنسان آخر ، فلا يمكن أنْ يتفق اثنان منهم في ذلك .

وأمَّا الأدلة لهذا القول من السُنَّة :

فحديث أبي هريرة رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ قال : ((**قال رجلٌ لم يعمل حسنة قط لأهله إذا مات فحرِّقوه ثُمَّ اذروا نصفه في البر ، ونصفه في البحر ، فو الله لَئِنْ قَدَرَ الله عليه ليعذِّبَنَّه عذاباً لا يُعَذّبَه أحَدَاً من العالمين، فلمَّا مات الرجل فعلوا ما أمرهم ، فأمر الله البَرَّ فجمع ما فيه ، وأمَرَ البحر فجمع ما فيه ، ثُمَّ قال : لِمَ فَعَلْتَ هذا ؟ قال : مِنْ خشيتك يارب ، وأنت أعلم ، فغَفَرَ له**))[1] .

فالحديث ظاهر في كيفية الإعادة ، وأنَّها بجمع أجزاء وذرّات البدن بعد تفرُّقِها.

وهذا هو البعث والمعاد الذي ورد ذكره في النُّصوص ، وهو الذي جاءت به الرُّسُل ، وأُنْزِلَت بِهِ الكُتُب .

يقول الإمام ابن القيِّم : ((فإنَّ القرآن إنَّما دلَّ على تغيير العالم وتحويله وتبديله، لا جعله عدماً محضاً ، وإعدامه بالكُلِّيَّة ، فدلَّ على تبديل الأرض غير الأرض ، والسموات ، وعلى تشقُّقِها ، وانفطارها ، وتكوير الشمس ، وانتثار الكواكب ، وسجر البحار ، وإنزال المطر على أجزاء بني آدم المختلطة بالتُّراب ، فينبتون كما

---

(١) م/ كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى ٤/ ٢١٠٩ ح ٢٧٥٦ ، وهو في البخاري : في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب ٥٤ : ٦/ ٥١٤ ح ٣٤٧٩ باختلافٍ في اللفظ.

ينبت النَّبات ، وتردّ تلك الأرواح بعينها إلى تلك الأجساد التي أُحيلت ثُمَّ أُنْشِئَت نشأةً أُخرى ... فهذا هو المعاد الذي أخبر به القرآن والسُنَّة، ولا سبيل لأحد من الملاحدة والفلاسفة وغيرهم إلى الاعتراض على هذا المعاد الذي جاءت به الرُّسُل بحرفٍ واحدٍ ، وإنَّما اعتراضاتهم على المعاد الذي عليه طائفة من المتكلمين ، أنَّ الرُّسُل جاءوا به ، وهو أنَّ الله يعدم أجزاء العالم العلوي والسفلي كُلِّها ، فيجعلها عدماً محضاً ، ثُمَّ يعيد ذلك العدم وجوداً، وياليت شعري ! أين في القرآن والسُنَّة أنَّ الله يعدم ذرَّات العالم وأجزاءه جملةً ، ثُمَّ يقلب ذلك الوجود عدماً ؟ ..)) [1] .

وبهذا يتبيَّن رجحان هذا القول ، وأنَّ البعث الذي جاءت به الرُّسل ، ودلَّت عليه النُّصوص ، هو إعادة الأبدان والأجساد ، وجمعها بعد تفرُّق أجزائها وتَفَتُّتِهَا ، والله أعلم .

ويُجابُ على استدلال أصحاب القول الأوَّل ، بقوله تعالى : ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ** ﴾ ، وقوله : ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ** ﴾ ، بأنَّ المراد بالهلاك والفناء هنا هو تفريق الأجزاء وزوالها عن صورها وكيفياتها ، وزوال التأليف والتركيب والحياة عنها .

فإنَّ البدن إذا تغيَّر واستحال تراباً، فهذا هو هلاكه. قال الإيجي : ((إنَّ التَّفريق هلاك، فإنَّ هلاك كل شيء خروجه عن صفاته المطلوبه منه، وزوال التأليف الذي جاء به تصلح الأجزاء لأفعالها وتتم منافعها، والتفريق كذلك)) [2].

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢/ ٣٥ ، نشر دار الكتب العلمية.

(٢) المواقف ص٣٧١.

وقال الرازي : في الجواب عن قولهم : أنَّ الهلاك معناه العدم : ((لا نسلم أنَّ الهالك هو المعدوم ، بل هو الذي خرج عن حدِّ الانتفاع ، والأجساد بعد تفرُّقها تصير كذلك)) [١].

ويُجاب عن استدلالهم بقوله تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ﴾ بجوابين :

الأول : أنَّ تشبيه الشيء بغيره لا يقتضي تشابههما من كُلِّ وجه .

الثاني : أنَّ التشبيه في الآية إنَّما هو لقدرته عزَّ وجلَّ على الإعادة بقدرته على البدء ، وليس المراد تشبيه الإعادة بالبدء في الطريقة والكيفية ، والله أعلم[٢].

---

(١) محصل أفكار المتقدمين والمتأخِّرين ص٥٦٠.

(٢) لزيادة البيان ، راجع عن هذه المسألة ما كتبه شيخي الفاضل د. علي بن محمَّد ناصر فقيهي ، في كتابه " منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان " ص٢٥٦ ، وما بعدها ؛ فقد استفدت منه تلخيص هذه المسألة.

المبحث الثالث :
التعريف بالمؤَلِّف ، والكتاب ، والنُّسْخة المعتمدة :
أوَّلاً : التعريف بالمؤلِّف :

- اسمه :

جاء في أوَّل النُّسخة بعد البسملة ، قبل مُقَدِّمة المؤلِّف العبارة التالية : (قال الشيخ الفقيه الثقة ، الوجيه الأفضل ، الأكمل ، أبو القاسم ، ابن مخلص نفعه الله تعالى بقصده) .

وذكر الأستاذ محمَّد العابد الفاسي ، أنَّه جاء في آخر كتاب المؤلّف **"أنجح الوسائل في شرح الشمائل للترمذي "** أنَّ اسمه : قاسم بن محمَّد المدعو بأبي البركات بن أحمد بن عبد الملك بن مخلص . وورد في أوَّله هكذا: " ابن مخلص أبو القاسم ... "[1] .

وقال الأستاذ الفاسي : لم نقف له على ترجمة الآن ... والغالب على الظن أنَّه من رجال القرن التاسع "[2] .

ولم أقف مع طول البحث على ترجمة أو ذكر للمؤَلِّف رحمه الله ، غير أنَّنا نستطيع أنْ نستنتج من خلال الكتاب أنَّه عاش في القرن الثامن الهجري ، وربما أدرك العقد الأوَّل من القرن التاسع ، ذلك أنَّه نقل عن أبي عبد الله الرعييني محمَّد بن سعيد بن محمَّد بن عثمان الأندلسي الفاسي ، المولود سنة ٦٨٥ هـ ، والمتوفى سنة ٧٧٨ هـ .

---

(١) فهرس مخطوطات خزانة القرويين ١/ ٢٧٢.

(٢) المصدر نفسه : ١/ ٢٧٣.

فلابُدَّ أنْ يكون المؤلِّف معاصراً له ، أو جاء بعده ، ويرجح المعاصرة ، بل يعينها كون تاريخ نسخ هذه النُّسْخَة هو ٨١١ هـ .

● **عقيدته :**

تبيَّن من خلال أقواله ونقوله في الكتاب تأثره بالمذهب الأشعري ، فهو يقرِّر بعض المسائل وفْقَ المنهج الأشعري ، وينقل عن بعض أئمة الأشاعرة، كالرَّازي ، والغزالي ، والجويني ، وربَّما كان فيما نقله عنهم مخالفة لمنهج السلف ، دون أنْ يُنَبِّه أو يَرُدَّ عليهم ، مِمَّا يدل على تبنِّيه لما نقله عنهم .

وقد علَّقت على ما ذكره ، أو نقله مِمَّا فيه مخالفة لمذهب السلف ، على أنَّ ما وقع منه من ذلك في مواضع محدودة .

وحيث إنَّ الكتاب في باب السمعيات ، والحديث عن البعث وإثباته ، وليس بين السلف والأشاعرة في ذلك خلاف في هذا الباب في الجملة ، فإنَّه لا ضَيْرَ في كون المؤلِّف يميل إلى المذهب الأشعري ، أو حتَّى في كونه أشعرياً ، إذ لا أثر لذلك في موضوع الكتاب ، والحق يجب قبوله من كُلِّ مَنْ جاء به .

● **مؤلفاته :**

١- كتاب " أنجح الوسائل في شرح الشمائل للإمام أبي عيسى الترمذي " ، يوجد منه نسختان في خزانة القرويين بفاس ، الأولى تحت رقم (٢٧٣) ، وتقع في (١٤٠ورقة) ، والأخرى برقم (٢٧٦) وتقع في (١٥٧ ورقة)[1] .

---

(١) انظر : فهرس مخطوطات خزانة القرويين ، لمحمَّد العابد الفاسي : ١/ ٢٧٢- ٢٧٥.

٢- كتاب أدلة التوحيد والنبوة والبعث من آيات القرآن المكتسبة للقلوب مزيد الإيمان والإيقان[1].

ثانياً : التعريف بالكتاب :

- **اسمه :**

لم يثبت على طُرَّة نسخة الكتاب اسم معين له ، ولم يُشِر المؤلِّف رحمه الله إلى تسميته في المَقَدِّمَة التي وضعها بين يدي الكتاب ، على أنَّه أشار فيها إلى أنَّه صنَّفه في إثبات بعث هذه الأجسام التي كانت في الدنيا بعينها ، والردّ على مَنْ أنكر ذلك .

ولذلك أُثْبِتَ الكِتَابُ في قسم المخطوطات في الجامعة الإسلامية بعنوان **"رسالة في الرد على منكري بَعْث الأجساد "** .

وحيث إنَّ هذا العنوان فيه مُطابَقة لمضمون الكتاب ومحتوياته ، رأيت مناسبة إثباته .

- **توثيق نسبته للمؤلِّف :**

حيث لم أقف للمؤَلِّف رحمه الله على ترجمة ، أو ذكر في كتب التراجم ، فإنَّه ليس بين أيدينا من أدِلَّة توثيق الكتاب سوى ما ذُكِرَ في الصفحة الأولى من النسخة ، وهو قوله : " قال الشيخ الفقيه الثقة ، الوجيه الأفضل الأكمل ، أبو القاسم ابن مخلص " .

---

(١) انظر : معجم المفسرين : ٢/ ٧٩١ ، ومعلمة القرآن والحديث في المغرب الأقصى : ٩٢ ، وفهرس مصنفات تفسير القرآن : ١/ ٣٥.

• **سبب تأليفه :**

بيَّن المؤلِّف رحمه الله في مقدِّمته السبب الذي دعاه إلى تأليف هذه الرسالة، وهو وجود من يُنْكِر بعث الأجساد بعينها يوم القيامة ، مِمَّن ينتسب للعلم .

فيقول رحمه الله : ((أمَّا بعد : فإني سمعت عن بعض من ينتحل العلم أنَّه نقل في مجلس تدريسه عند كلامه على البَعْثِ ، أنَّ كيفيته : بَعْث أجسام غير هذه تُكْساها الرُّوح ، وتُعَذَّب فيها أوْ تُنَعَّم ... ، فاستعنت الله تعالى على أنْ أجمع ما لأئمة السُنَّة والجماعة في ذلك ، مختصراً من معتقد الحق مداره على الكتاب العزيز ، وحديث رسول الله ﷺ..))[1] .

• **موضوع الكتاب :**

أوضح المؤلِّف رحمه الله في المقدّمة ، ما أَلَّف من أجله كتابه هذا ، كما تقَّدمت الإشارة إلى ذلك في " سبب تأليفه " .

فالكتاب أُلِّف لإثبات البَعْث ، وأنَّ هذه الأجساد هي التي تُبْعَث يوم القيامة ، وهي التي تُنَعَّم ، أو تُعَذَّب ، والردّ على مَنْ يرى أنَّ كيفية البَعْث هي خَلْق أبدان وأجساد أُخَر ، تُكْسَاها الأرواح يوم القيامة .

وقد افتتح المؤلِّف رحمه الله الكتاب بمقدّمةٍ ، أشار فيها إلى إيجاد الله عزَّ وجلَّ للخلق على غير مثالٍ سبق ، مبيِّناً كمال قدرته تعالى ، وسعة علمه ، وأنَّه لا يعجزه شيء في الأَرْضِ ولا في السماء ، ولا يعزب عنه مثقال ذرَّة .

---

(١) انظر ص ٥٨.

ثُمَّ ذكر سبب تأليف الكتاب ، على ما سبق ذكره .

وبيَّن خطورة زلَّة العالم وما يحصل بسبب ذلك من إضلال الخَلْق ، مُحَذِّراً من اتباع الرأي، والقول على الله بغير علم .

ثُمَّ نبَّه رحمه الله تعالى إلى أنَّ القول بأنَّ البعث هو خلق أبدان غير هذه ، يفتح باب إنكار البَعْث جملةً ، والتشكيك فيه ، وأنَّه مؤدٍّ إلى استقصار قدرة الله عزَّ وجلَّ .

ثُمَّ ذكر أنَّ معتمده في تأليفه هذا على ذكر وجمع ماقاله الأئمة في ذلك ، ومداره على ماجاء في الكتاب والسُنَّة ، مبيِّناً أنَّ النَّجاةَ والسلامةَ في التَّمَسُّك بها ، والعضّ عليها.

ثُمَّ بدأ موضوع الكتاب بعقد فصلٍ ، نقل فيه ماورد من الإجماع على إعادة هذه الأبدان ، وإمكان ذلك ، وقدرة الله عزَّ وجلَّ عليه .

ثُمَّ بدأ بذكر أدِلَّة البعث من الكتابِ والسُنَّة، ذاكراً الدَّليل، وما جاء في تفسيره وبيانه عن أئمة السَّلف، معتمداً في ذلك على تفسير الإمام ابن عطية المُسَمَّى بـ"المحرَّر الوجيز"، وتفسير الإمام الواحدي المعروف بـ "الوسيط".

هذا وقد بلغ مجموع ما أورده المؤلِّف رحمه الله من أدلَّة البعث تسعةً وثلاثين دليلاً ، جلّها من القرآن الكريم .

ثالثاً : التعريف بالنُّسْخَةِ المُعْتَمَدَةِ في التَّحْقيق :

- **مصدرها :**

اعتمدت في تحقيق الكتاب على نسخة فريدة محفوظة في المكتبة الملكية بالقصر الملكي في الرباط ، تحت رقم (٣٧٨) . عنها صورة فلمية محفوظة في قسم المحفوظات بعمادة شؤون المكتبات في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية برقم (١٢٩٣/ ٢) .

- **اسمها :**

سبق أنْ ذكَرْت في التعريف بالكتاب ، أنَّه لم يثبت على غلاف النُسْخَة اسم الكتاب ، وأنَّ المؤلِّف لم يذكر في مقدّمته عنواناً لكتابه هذا .

- **عدد لوحات الكِتاب :**

تقع هذه النُسْخَة في سبعٍ وثلاثين لوحة ، مُرَقَّمة حسب الصفحات ، من (٢-٧٤) .

- **عدد الأسطر والكلمات في كُلِّ صفحة :**

يقع في كل صفحة خمسة عشر سطراً ، وبلغ عدد كلمات كل سطر ، من سبع إلى عشر كلمات .

- **نوع الخط :**

كتبت هذه النُسْخَة بخط مغربي جميل ، وكُتِبَت العناوين وبعض الكلمات بقلم عريض واضح .

- **اسم ناسخ هذه النُّسْخَة وتاريخ الفراغ منها :**

اسم النَّاسخ : محمَّد بن محمَّد بن أبي الفضل محمَّد بن محمَّد بن أبي عمرو التّميمي .

تاريخ الفراغ من نسخها : ضحوة يوم الجمعة ثاني شعبان ، سنة ثمانمائة وإحدى عشرة لهجرة النبِيِّ صلى الله عليه وسلم . أثبت ذلك الناسخ في نهاية النُسْخَة .

- **عملي في الكتاب :**

يتلخَّص عملي في تحقيق الكتاب فيما يلي :

- قراءة الَّنص ونسخه ، وفْقَ الطريقة الإملائية الحديثة ، محاولاً إخراج الَّنص في أقرب صورة تركه عليها مؤلِّفه ، قدر الطَّاقة .
- عزوت الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها ، وخرَّجت الأحاديث النبوية الشريفة والآثار ، وعزوت الأقوال والنصوص التي نقلها المؤلّف إلى أصحابها ، مع مقابلتها في كتبهم ، ولاسيما مانقله عن كتاب ابن عطية ، والواحدي ، وأثبت الفروق المؤثرة في الحاشية .
- ترجمت للأعلام ترجمة موجزة .
- عرَّفت بالفرق والمصطلحات ، وشرحت الغريب .
- أشرت إلى نهاية كل صفحة ، بوضع خط مائل في الَّنص هكذا (/) وذكر رقم الصفحة في الهامش مقابل الخط بين معقوفتين .
- رقمت الأدلة التي استدل بها من الكتاب والسنة على إثبات البعث، وجعلتها في المتن بين معقوفتين [ ] .

- علَّقت على ما يحتاج إلى تعليق .
- حرَّرت دراسة موجزة عن المؤلِّف ، والكتاب ، والنُّسْخَة المعتمدة في التحقيق بإيجازٍ .
- صنعت فهرساً للمصادر والمراجع ، وآخر للموضوعات .
- **الرموز المستعملة في التحقيق :**

خ : للبخاري مع الفتح .

م : لمسلم في الصحيح .

ت : للترمذي .

د : لأبي داود .

ن : للنسائي .

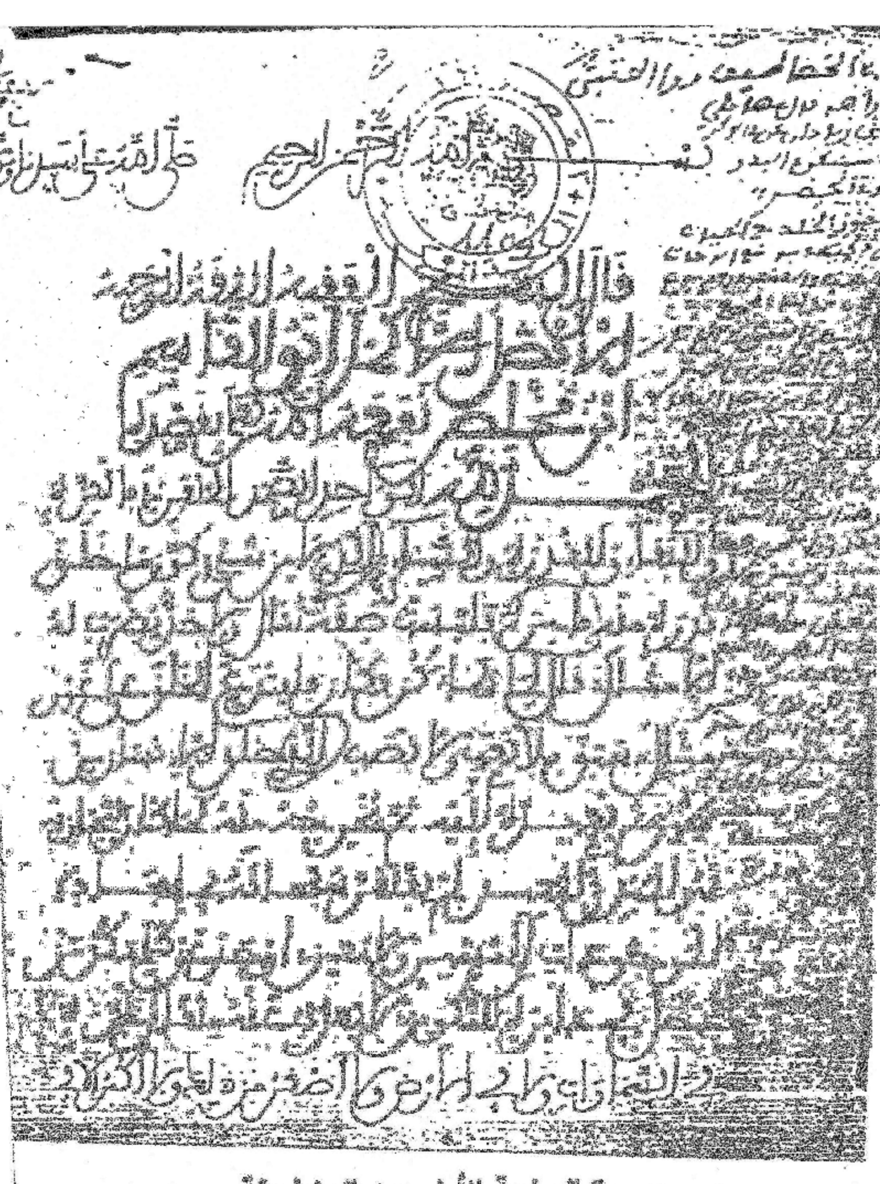
جه : لابن ماجه .

حم : لأحمد في المسند .

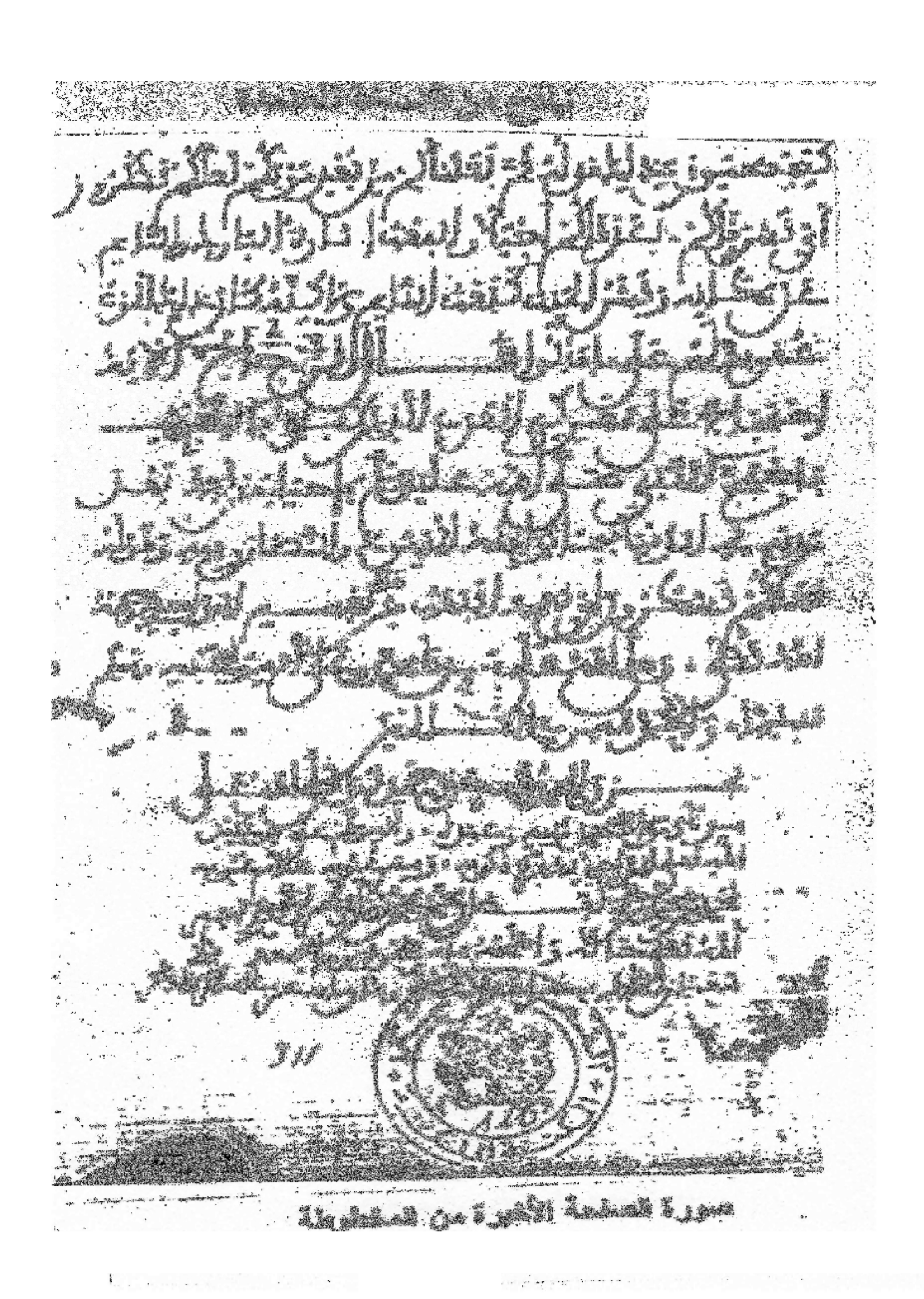
ط : للموطأ .

دي ، أو مي : للدرامي في المسند .

نماذج من النسخة المعتمدة



صورة الصفحة الأولى من المخطوطة



صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة

النَّصُّ المحقَّق

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ ، الفقيه ، الثقة ، الوجيه ، الأفضل ، الأكمل ، أبو القاسم ابن مخلص . نفعه الله تعالى بقصده :

الحمد لله الواحد الصَّمد ، المتفَرّد بالعزَّةِ والبقاء ، والقُدْرَة والسَّناء ، الذي لا مِنْ شيءٍ كوَّن ما خلق ، قُدْرَة منه باهرة ، فليست له صفة تُنال ، ولا حَدٌّ يُضْرَب له الأمثال [١] .

قالَ لِمَا شاء : كُنْ فكان . فابتدع الخلْقَ على غير مِثالٍ سبق ، بلا تعبٍ ولانَصَب ، الذي خلق الإنسان مِنْ طِينٍ ، ثُمَّ يُعيده إليه ، ثُمَّ يخرجه منه كما كان ، ليُجَازِيَه ، فهو المُبدئُ المعيد ، لِمْ يفتقر سبحانه في إيجاده الموجودات إلى مشيرٍ ، ولا معُين .

أوجد عن كلمةِ كُنْ مَن دَخَلَ في دائرةِ التَّكوين ، ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [٢] .

[٢]

أحاطَ بِكُلّ شيءٍ علماً ، وأحصى كُلَّ شيءٍ عدداً ، وكيف لا وهو مُنْشِئُه ، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [٣] .

---

(١) كذا في الأصل ، ويُحتمل أن تكون : " ولا مثِال ".

(٢) سورة سبأ ، آية : ٣.

(٣) سورة الملك ، آية : ١٤.

لَمْ يَزَل تعالى بصفات الجلال ، والكمال ، وكل اسمٍ من أسمائه لا يخلو من إثباتِ ما يجب له تعالى ، ونفي ما يستحيل عليه من صفات خلقه ، كالقدرة مثلاً ، يَسْتحيل عليها العجز ، وقدرة الخلق يلازمها العجز ، وكذا صفةُ الخَلْقِ نقصها لازم ، وصفات الباري تعالى لا نقص فيها ، ولا حدوث[١]، فعَّالٌ لما يريد ، قادرٌ على ما يشاء ، علمُه تعالى شاملٌ لكل شيءٍ، وقدرته لكلّ مقدور ، ما علم أنَّه يكون أراده ، وما لا ، فلا [٢] .

وكل خلقٍ على قدرته يهون ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ [٣].

---

(١) صفات الله تبارك وتعالى قسمان :

١-صفات ذاتية لا تنفك عن الربَّ عزَّ وجلَّ ، كالحياة ، والعلم .

٢_صفات اختيارية تتعلَّق بمشيئة الرَّب وإرادته ، كالنُّزول ، والإتيان ، والمجيء ، والمحبة ، والرضى ، ونحو ذلك. وهذا النوع يقع في وقتٍ دون وقت ، حسب إرادة الله ومشيئته . انظر

ونفي الحدوث مطلقاً يطلقه الأشاعرة ليتوصلوا به إلى نفي الصفات الاختيارية التي تقع بمشيئة الله وإرادته ، فلْيُعْلَم . انظر : شيخ الإسلام ابن تيمية ، رسالة : الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل : ٢/ ٣ – ٤ والباقلاني ، الإنصاف ص ٤١ .

(٢) قول المؤلّف رحمه الله (وما لا ، فلا) : ليس على إطلاقه ، فإنَّ من المعلوم أنَّ الإرادة نوعان :

إرادة شرعية أمرية دينية ، كإرادته من الخلق الإيمان والطاعة ، ومحبته ذلك منهم .

وإرادة كونية قدرية خلقية ، وهي التي بمعنى المشيئة الشاملة لجميع الموجودات .

فالإرادة الكونية ، هي التي ينطبق عليها قول المؤلّف (ما علم أنَّه يكون أَرادَه ، وما لا ، فلا) ؛ إذ لا يكون ولا يقع في الكون شيء إلاَّ وفق علم الله السابق وإرادته .

وأما الإرادة الشرعية ، فقد تتخلف ، فالله عزَّ وجلَّ يريد شرعاً الإيمان والطاعة من جميع الخلق ، وإن كان سبق في علمه أنَّه لا يكون ذلك من بعض خلقه . فصحَّ أنه قد يريد شرعاً وديناً ، ما علم أنَّه لا يقع ولا يكون كوناً و قدراً . انظر : ابن القيم : شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل ٧٣٦/٢.

(٣) سورة لقمان ، آية : ٢٨.

قدَّر مقاديرهم قبل وجودهم ، وجفَّ القلم بما يكون ، ليس له فيما خلق نِدٌّ ، ولا فيما ملك ضِدٌّ ، ولا يَشْرَكُه في ملكه أَحَدٌ .

هو الخالق البارئ المصوّر ، له الأسماءُ الحسنى ، والمثَل الأعلى ، أحمده عدد آلائه ، وأشكره على سواد نعمائه .

وأُصَلّي على سيّدنا / محمَّد نبيّه ورسوله ، الخِيرَةِ مِنْ خَلْقِهِ ، وعلى آلِهِ وصحبه . [٣]

أمَّا بعد : فإني سمعت عن بعض مَنْ ينتحل العلم أنَّه نَقَلَ في مجلس تدريسه عند كلامه على البعث ، أنَّ كيفيَّته : بعث أجسامٍ أُخَر غير هذه ، تُكْسَاها الرُّوح ، وتُعَذَّبُ فيها ، أو تُنَعَّمُ [١] .

أعاذنا الله تعالى مِن زَلَّة عالمٍ ، فإنهَّا تُضِلُّ كثيراً مِنَ النَّاس ، كما روي عَنْ عُمَر بن الخطَّاب رضي الله عنه ، قال لزياد بن حُدَيْر [٢] : (**هَل تدْري ما يهدمُ الإسلام ؟ قال : لا ، قال : زلّة العالم ، وجدال المنَافِقِ بالكتاب ، وحُكْمُ الأئِمَّةِ المُضلِّين**) [٣] .

وكأنَّ القائل هذا استبعدَ بعثَ هذه بأعيانها ، كما هو المذهب الحق ، وعليه أَهْل السُّنَّة والجماعة ، وهو جائزٌ في المعقول ، ومقصودٌ بالمنقول .

---

(١) لم أقف على اسم مَنْ أشار إليه المؤلّف ، وتقدَّم في الدّراسة مَنْ هُم القائلون بهذه المقالة.

(٢) زياد بن حُدَيْر ، الأسدي ، له ذكرٌ في الصحيح ، ثقةٌ ، عابدٌ ، مِنَ الثَّانِيَة .

ابن حجر : التقريب ١/ ٢٦٦.

(٣) أخرجه الدَّارمي ، السُّنَن ، المقدّمة ١/ ٧١ ، نشر دار الفكر .

وقال الشيخ الألباني في تعليقه على المشكاة ١/ ٨٩ رقم ٢٦٩ : " وسنده صحيح ".

نعوذ بالله من هذه المقالة الشنيعة ، الفاتحةِ لبابِ إنكارِ البَعْثِ جُمْلةً ، والشَّكِ فيه، واستقصارِ قدرةِ المَلِكِ الواحِدِ القهَّار ، القادرِ على كُلّ شيءٍ ، وما ذلك على الله بعزيزٍ .

فسبحان مَنْ لا يُعْجِزْهُ شيء / ، وقدرة الله تعالى أعظم مِنْ هذا كُلّه. [٤]

فاستعنتُ بالله تعالى على أَنْ أجمع ما لأئِمَّة السُّنَّة والجماعة في ذلك ، مختصراً من مُعتقد الحق ، مداره على الكتابِ العزيز ، وحديثِ رسول الله ﷺ، منقولاً من الكُتُب الصّحاح ، عن الأئمَّة المشهورين ، والله سبحانه المسئول أنْ يجعل ذلك خالصاً لوجهه الكريم، وما توفيقي إلاَّ بالله ، عليه توكلّت وهو رب العرش العظيم .

فأقول : هذه المسألة من [أَهَمّ][١] أُمُور الدين ، ولا يسع جهلُها أحداً مِنَ المؤمنين ، وما أوجب الزَّلل في هذا وغيره لِمَنْ زَلَّ ، إلاَّ قَبْض العلماءِ الرَّاسخين في العلم ، وتَصَدّي مَنْ لَمْ يأخُذ العلمَ عن شيوخ أهْل السُّنَّة و.....[٢] ، خلفاً عن سلفٍ، بالإجازات من المحققين .

والَّذي اقتصر على مطالعة الكتب من غير شيخٍ ، يقع في مِثْل هذه المقالة الغثَّة ، وقد قال ﷺ ((**لم يزل أمر بني إسرائيل بخيرٍ ما كانوا يَتَفَقَّهُون ويُفَقّهون ، فلمّا قصُّوا ضَلّوا**))[٣]./ [٥]

---

(١) من الحاشية.

(٢) كلمةٌ لم أستطع قراءتها.

(٣) أخرجه بلفظٍ مقاربٍ : ابن ماجه : المقدمة ١/ ٢١ ح ٥٦

* البزَّار في البحر الزخَّار ٦/ ٤٠٢ ح ٢٤٢٤ ط : ١٤١٥ هـ ، بتحقيق د/ محفوظ الرحمن زين الله .

وقال رسول الله ﷺ : (**مَنْ قال في القُرْآن برأيه ، أو كذب عليَّ مُتَعَمّداً فليتبوأ مقعده من النَّار**) [١] .

وقال رسول الله ﷺ : (**مَنْ أُفْتِيَ بغير علمٍ كان إثمه على مَنْ أفتاه ، ومَنْ أشارَ على أخيه [بأمرٍ][٢] يعلم أنَّ الرُّشْدَ في غيره فقد خانه**) [٣] .

وقال ﷺ : (**مِنْ قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ**)[٤] .

---

* وقال الهيثمي : رواه البزَّار وفيه قيس بن الربيع ، وثّقه شعبة والثوري ، وضعَّفه جماعة .
مجمع الزوائد ١/ ١٨٠ .

(١) ت ، كتاب التفسير ، باب ما جاء في الذي يُفَسّر القرآن برأيه ٥/ ١٩٩ ح ٢٩٥٠ ، من حديث ابن عباس ، وفيه : " ومنْ قال في القرآن بغير علمٍ ... " .
وقال أبو عيسى : " هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ " .
وأخرجه برقم ٢٩٥١ ، وفيه : (فمن كذب عليَّ ... ومنْ قال في القرآن برأيه ..)
وقال أبو عيسى : هذا حديثٌ حسنٌ.

(٢) في الأصل في الحاشية.

(٣) د . كتاب العلم ، باب التوقي مِنَ الفتيا ٤/ ٦٦ ح ٣٦٥٧
وقال الألباني في تعليقه على المشكاة : " وسنده حسن " . المشكاة ١/ ٨١ ح ٢٤٢
* جه : مقدمة ، باب اجتناب الرأي والقياس ١/ ٢٠ ح ٥٣ .
* مي : باب الفتيا ومافيه من الشدَّة ١/ ٥٧ .
وليس عند ابن ماجه والدارمي (ومن أشار على ...) .

(٤)* ت : كتاب التفسير ، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ٥/ ٢٠٠ ح ٢٩٥٢ .
* د : كتاب العلم ، باب الكلام في كتاب الله بغير علم ٤/ ٦٣ ح ٣٦٥٢ .
وقال الألباني : سنده ضعيف ، مشكاة المصابيح ١/ ٧٩
* ابن بطة : الإبانة ، الكتاب الثالث ٢/ ١٤٦ برقم ٤٢٢ .

وقال رسول الله ﷺ : (**إنَّ الله عزَّ و جلَّ لا يقبضُ العلم انتزاعاً ينتزعه من العلماء ، ولكن يقبض العالم بعلمه ، فإذا لَم يبقَ في الأرض عالمٌ ، اتَّخذ النَّاس رؤساءَ جُهَّالاً ، فسُئِلُوا فأفتوا بغير علمٍ ، فضَلُّوا وأضَلُّوا**)[1] .

وقال ﷺ : (**سيكون في أُمَّتي ناس يحدّثونكم بما لَمْ تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فإيَّاكم وإيَّاهم ، لا يضلُّونكم ، ولا يفتننونكم**)[2] .

وقال ﷺ : (**لا تقوم السَّاعة حتَّى يُقبَضَ العلمُ ، ويكْثُرَ الجَهْلُ**)[3] .

وقال ﷺ : (**يحمل هذا العلم مِنْ كُلّ خلفٍ عُدُولُه ، ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال / المبطلين ، وتأويل الجاهلين**)[4] . [٦]

---

(١) خ : كتاب العلم ، باب كيف يقبض العلم ١/ ١٩٤ ح ٣٤ ، من حديث عبد الله بن عمرو .
م : كتاب العلم ، باب رفع العلم وقبضه ٤/ ٢٠٥٨ ح ٢٦٧٣.

(٢) م : مقدمة ، باب النهي عن الرواية عن الضعفاء ١/ ١٢ ح ٦ ، من حديث أبي هريرة ، بلفظ المؤلّف ،
و ح ٧ لكن فيه : " دجَّالون كذَّابون " بدل الناس " ناس ".

(٣) خ : كتاب العلم ، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس ١/ ١٨٢ ح ٨٥ ، من حديث أبي هريرة ، وفي كتاب الاستسقاء ، باب ما قيل في الزلازل والآيات ٢/ ٥٢١ ح ١٠٣٦ بلفظٍ أطول منه ، وليس فيه : "ويكثر الجهل " ..

(٤)* أخرجه ابن وضَّاح في البدع ص ٢ ، بتحقيق محمَّد أحمد دهمان .
* الخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث ص ٢٨ ح ٥٢ ، بتحقيق د . محمَّد سعد خطيب أوغلي .
* وعزاه الهيثمي للبزَّار ، من حديث أبي هريرة ، وابن عمر ، وقال : وفيه عمرو بن خالد القرشي ، كذَّبه يحيى ابن معين ، وأحمد بن حنبل ، ونسبه إلى الوضع . مجمع الزوائد ١/ ١٤٠
* وعزاه في مشكاة المصابيح للبيهقي ، وقال الألباني في تعليقه عليها : أُلْحِقَ في بعض النُّسخ عن الجزري : "البيهقي في المدخل إلى السُّنَن " .. ثُمَّ قال : ثُمَّ إنَّ الحديث مرسلٌ ... لكن الحديث قد رُوِيَ موصولاً من طريق جماعة من الصحابة ، وصحَّح بعض طرقه الحافظ العلائي في " بغية

وقال ﷺ: (**تجيءُ الفِتَن فتنسف العباد نسفاً، ينجو العالم فيها بعلمه**)(١).

وقال ﷺ : (**يأتي على النَّاسِ زمان ، الصَّابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر ، وذلك مِمَّا يرى مِنَ الفِتَن**) (٢) .

وقد وقع ما أخبر به ﷺ من ذلك ، غير أنّه ﷺ بشَّر بأنَّ طائفةً مِنْ أُمَّتِه لا تزال على الحق ظاهرين ، حتَّى يأتي أمر الله وهم على ذلك ، قال ﷺ : (**لا تزال مِنْ أُمَّتي أُمَّة قائمة بأمر الله تعالى [لا يضرهم مَنْ خَذَلَهُم أو خالفهم حتى يأتيَ أمرُ الله]**(٣) **وهم على ذلك**) (٤) .

الملتمس ٣-٤ " . قال : وقد جمعت طُرُق الحديث ، والنِّية متوجّهة لتحقيق القول فيها لأوَّل فرصة تسمح لنا ، إن شاء الله . اهـ . مشكاة المصابيح ١/ ٨٢ ح ٢٤٨

وقال القاسمي : " وتعدُّد طُرقه يقضي بحسنه ، كما جزم به العلائي " . قواعد التّحْديث ص ٦٩.

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ.

(٢) ت : كتاب الفتن ، باب (٧٣) ٤/ ٥٢٦ ح٢٢٦٠ من حديث أنس ، وليس فيه الجملة الأخيرة . وقال أبو عيسى : " هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وعمر بن شاكر شيخ بصري ، قد روى عنه غير واحد من أهل العلم " .

وقال الألباني : " وهو _ أي عمر بن شاكر _ ضعيف كما في التقريب.
لكن الحديث صحيح ، فإنَّ له شواهد كثيرة " . _ وذكرها _ ثُمَّ قال : " وجملة القول : أنَّ الحديث بهذه الشواهد صحيحٌ ثابتٌ ، لإنَّه ليس في شيءٍ من طرقها متَّهم ، لاسيما وقد حسَّن بعضها الترمذي ، والله أعلم".

سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/ ٦٨٢ – ٦٨٣

(٣) مابين الحاصرتين سقط من المتن ، وأُلْحِق في الحاشية.

(٤) م : كتاب الإمارة ، باب قوله صلَّى الله عليه وسلَّم : " لا تزال طائفة من أُمَّتي ... "
٣/ ١٥٢٤ ح ١٠٣٧ من حديث معاوية .

* حم : ٤/ ١٠١ .

وقال ﷺ : (**تركت فيكم أمرين لَنْ تضلُّوا ما تمسَّكتم بهما : كتاب الله، وسُنَّة نبيه**)[١] .

وفي أخرى : (**وسُنَّتِي**) .

جعلنا الله تعالى مِمَّن تمسَّك بهما ، واستضاء في ظلمات المشكلات بأنوارهما ، ومَنْ لَمْ يَجْعَلِ الله لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُور .

﴿ فَصْـل ﴾

قال الشيخ الإمام ، العالم ، المحقّق ، ناصر الدّين / عبد الله بن أبي [٧] القاسم بن عمر بن علي البيضاوي[٢] رحمه الله تعالى : (الإجماع على أنّه تعالى يُحيي الأبدان بقدرته ، لأنّه ممكن ، لأن تلك الأجزاء [بذاتها] [٣] قابلة للجمع والحياة ، والله تعالى عالمٌ بأجزاء كُلّ شخصٍ على التَّفصيل ، قادر على جمعها ، وإيجاد الحياة فيها ، والصَّادق ﷺ أخبر عنه ، فإنَّه ثبت بالتَّواتر أنَّه ﷺ كان يثبت المعاد البدني ، وإليه أشار ، حيث قال تعالى : ﴿ **قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ**

وللحديث ألفاظ وطُرُق أخرى ، عند البخاري ومسلم وأصحاب السُنَن وغيرهم.

(١) ط : كتاب القدر ، باب النهي عن القول بالقدر ، بلاغاً ٢/ ٨٩٩ ح ٣

قال الألباني في تعليقه على مشكاة المصابيح : " وهو مُعْضَلٌ كما ترى ، لكن له شاهد من حديث ابن عباس بسندٍ حسنٍ ، أخرجه الحاكم ، وروي من حديث أبي هريرة " . المشكاة ١/ ٦٦ ح ١٨٦

(٢) هو القاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر الشّيرازيّ ، قاضيها وعالمها وعالم أذربيجان وتلك النَّواحي ، مات بتبريز سنة خمسٍ وثمانين وستمائة . البداية والنهاية ١٣/ ٣٢٧

قال السبكي :" صاحب" الطوالع" و"المصباح" في أصول الدين ، و"الغاية القصوى " في الفقه ، و"المنهاج" في أصول الفقه ، و"مختصر الكشَّاف " في التفسير ، و" شرح المصابيح " في الحديث .

طبقات الشافعية الكبرى ٨/ ١٥٧.

(٣) من الحاشية.

﴿ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴾ [(١)] . وتمام السورة دفعٌ لزيغ الطاعنين فيه ، فليُقْنَع به) انتهى [(٢)] .

وقال الإمام ابن الخطيب [(٣)] رحمه الله تعالى في (المحصّل) [(٤)] له : " أجمع المسلمون على المعاد بمعنى جمع الأجساد بعد تفرُّقها ، خلافاً للفلاسفة ، لأنّه تعالى عالمٌ بأعيان أجزاءِ كُلّ شخصٍ ؛ لكونه عالماً بالجزئيَّات ، وقادراً على جمعها ، وخَلْقِ الحياةِ فيها ؛ لكونه قادراً على كُلّ الممكنات ،وإذا كان

(١) سورة يس ، آية : ٧٩.

(٢) انظر : طوالع الأنوار ، له مع شرحها للأصبهاني . مخطوط في قسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية برقم (٦٧٥٢/ ١) لوحة (٢١٢/ أ).

(٣) هو : محمَّد بن عمر بن الحسين بن علي القرشي التّيْمي البكري ، أبو المعالي ، وأبو عبد الله ، المعروف بالفخر الرَّازي ، ويُقَال له : ابن خطيب الريّ ، صاحب التصانيف الكثيرة في علم الكلام ، والفقه ، والأصول، والتفسير ، كان أحد أئمة الأشعرية ومُحَرّري مذهبهم في عصره ، ثُمَّ رجع في آخر حياته عن مذهب الكلام.

قال ابن كثير : " وقد ذكرت وصيَّته عند موته ، وأنّه رجع عن مذهب الكلام فيها إلى طريقة السلف ، وتسليم ما ورد على وجه المراد اللائق بجلال الله سبحانه " .

قال : ومِمَّا كان ينشده :

وأرواحنا في وحشةٍ من جسومنا ❋ وحاصل دنيانا أذيٍ وبالُ

ولَمْ نستفِد من بحثنا طول عمرنا ❋ سوى أنْ جمعْنَا فِيه قيل وقالوا

ثُمَّ يقول : لقد اختبرت الطُّرق الكلامية ، والمناهج الفلسفيَّة ، فلم أجدها تروي غليلاً ، ولا تشفي عليلاً ، ورأيت أقرب الطُّرُق طريقة القرآن ، أقرأ في الإثبات : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ، ﴿إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ ، وفي النفي : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ ، ﴿ هل تعلم له سميا ﴾ .

كان مولده في سنة ٥٤٣ هـ ، ووفاته سنة ٦٠٦ هـ . رحمة الله عليه .

من البداية والنهاية لابن كثير (بتصرُّفٍ يسير) ١٣ / ٥٩

(٤) وهو أحد كتبه المؤلّفة في علم الكلام ، وهو المعروف بـ (محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلّمين) ، وقد طُبِعَ واطّلعت على طبعتين منه : الأُولى بتقديم ومراجعة طه عبد الرؤف سعد ، نشر مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة.

كذلك كانت الإعادة ممكنة"[١] ، "وإعادة المعدوم / عند أصحابنا - يعني [٨] أهل السنَّة- جائزةٌ" [٢] انتهى [٣] .

وقال الإمام ابن يونس[٤] في جامع كتابه : (وأنَّ الأجساد التي أطاعت، أو عصت، هي التي تبعث يوم القيامة؛ لتجازى، والجلود التي كانت في الدُّنيا، والألسنة والأيدي، والأرجل، هي التي تشهد عليه منهم) انتهى[٥] .

قال الله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ ﴾[٦] الآية .

---

(١) المحصَّل ص ٥٥٥ ، بتحقيق : حسين أتاي.

(٢) على أنَّ الرَّاجح أنَّ بعث الأجساد هو جمع أجزائها بعد تفرُّقها ، وليس إعادةً لها بعد انعدامها . كما تقدَّم لنا ذلك في الدّراسة ، ويقصد المؤلف بأهل السنة هنا : الأشاعرة فهم أصحابه ، ولكن ليس بينهم وبين السلف -الذين هم أهل السنة على التحقيق- خلاف في أن إعادة المعدوم جائزة ، والله تعالى قادر على إعادة الأجساد بعد عدمها ، على أن الراجح أنها لا تعدم بالكلية ، كما تقدم . والله تعالى أعلم.

(٣) المحصَّل ص ٥٥٣.

(٤) أبو بكر محمد بن عبد الله بن يونس الصقلي التميمي ت ٤٥١ هـ ، كان فقيهاً عالماً ، ألّف كتاباً جامعاً للمدونة ، أضاف إليها غيرها من الأمهات . ابن فرحون / الديباج المذهب : ٢/ ٢٤٠.

(٥) " كتاب الجامع لمسائل المدونة " ، مخطوط في قسم المخطوطات في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم ٢٧١٠ / ١ ، وهو أجزاء ، ولم أقف فيه على نص المؤلف ، وقد يعزى ذلك لوجود خروم في الكتاب.

(٦) سورة فصلت، آية : ٢١ .

وقال الإمام العالم الحاج أبو عبد الله محمد بن الرعيني[1]: (واعجباً ممَّن ينكر البعث مع قوله سبحانه : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ [2] .

وقال أبو محمد بن أبي زيد[3] رحمه الله تعالى في [رسالته] : (وأنَّ الله يَبْعَثُ من يموت) [4] . زاد في [مختصره] [5] : (بأجسادهم التي كانت في

(١) محمد بن سعيد بن محمد بن عثمان الأندلسي الفاسي ، أبو عبد الله الرعيني (٦٨٥ -٧٧٨ هـ) . رحَّالة من العلماء بالحديث ، له عدّة مصنَّفات منها : " اختصار المقدَّمات " لابن رشد ، و " روضة النّاظر " في غريب الحديث ، " والجامع المفيد " وغيرهما.

ترجمته في فهرس الفهارس للكتاني : ١/ ٤٣٦ رقم (٢٢٠) ، شجرة النور الزكية ٢٣٦ ، الأعلام للزركلي ٧/ ١١-١٢ .

(٢) سورة الحج ، آية : ٧.

(٣) هو أبو محمد عبد الله بن أبي زيد ، واسم أبي زيد : عبد الرحمن ، نفزي النّسب ، سكن القيروان ، وكان إمام المالكية في وقته ، وقدوتهم ، وجامع مذهب مالك ، وشارح أقواله ... وكان يُعْرف بمالك الصَّغير . له تآليف كثيرة مشهورة ، من أشهرها : " الرسالة " ، وكتاب " مختصر المدوَّنة " وغيرها من المصنَّفات النّافعة . وكانت وفاته رحمه الله تعالى سنة ٣٨٦ هـ .

ترجمته في : الديباج المذهب في أعيان المذهب ، لابن فرحون ١/ ٤٢٧ بتحقيق : محمد الأحمدي أبو النور ، نشر : دار التراث.

(٤) ص١٥ ، مع شرحها الثمر الدَّاني ، نشر : دار الكتب العلمية.

(٥) توجد منه قطعة بدار الكتب الوطنية بتونس ، ثانية مجموع ، رقمه ١٤٨٩٤ تبدأ من ٩ ب وتنتهي في ٢٨ ب . كذا أفاد محقق كتاب الجامع لابن أبي زيد ، ص ٤٤.

في الدُّنيا ، التي أطاعوا الله تعالى بها وعصوه ، فيُجازى المحسن على إحسانه ، والمسيء على إساءته[١]،وهذا مِمَّا يجب على كُلّ مسلمٍ اعتقاده والإيمان به .

فمن جحَده ، أو شَكَّ فيه فهو كافر .

فالطَّبيعيُّ[٢] /الذي يُنكر العودة مطموسُ العينين، قد غلق على عقلـه [٩] أعظم غشاوة من الرَّين[٣] . ومَنْ أنكـر جميـع الشرـائع مؤديـاً إلى أن يعلـم جميع الطبائع ، فهو كافرٌ ملحدٌ ، وإن قال : أنّه موحد .

والمعتزليُّ [٤] بأنَّ المعاد عينٌ أُخرى مخترعة ، جاهلٌ من وجهين : من النقل، ومن العقل [٥] .

أمَّا النقل : فقد تواترت الآثار عن النّبِـيّ ﷺ أنَّ نفـوسَ بنـي آدم باقيـةٌ ، سعيدها ، وشقيّها .

---

(١) جاء في كتاب الجامع لابن أبي زيد كلام بمعناه ، ونصه : " .. وأنّ التي أطاعت وعصت هي التي تبعث يوم القيامة لتجازى، والجُلود التي كانت في الدنيا هي التي تشهد ، والألسنة والأيدي ، والأرجل هي التي تشهد عليهم يوم القيامة على من تشهد عليه .. " الجامع : ١١٢.

(٢) نسبةً إلى المذهب الطبيعي في الفلسفة العامَّة ، وهو القول أنَّ الطبيعة هي الوجود كله ، وأنَّه لا وجود إلاّ للطبيعة ، أي للحقيقة الواقعية المؤلفة من الظواهر المادية المرتبطة بعضها ببعض ، على النحو الذي نشاهده في عالم المحسوس . ويفسّر المذهب الطبيعي جميع ظواهر الوجود بإرجاعها إلى الطبيعة ، ويستبعد كُلّ مؤثرٍ يجاوز حدود الطبيعة ويفارقها، ويُسمَّى أصحاب هذا المذهب بالطبيعيين ، وهم الدهريون الّذين ينكرون وجود الصَّانع المُدّبّر ، ويزعمون أنَّ العالم وجد بنفسه ، دون حاجة إلى علّة خارجة عنه . د . جميل صليبا : المعجم الفلسفي ٢/ ١٧.

(٣) يوجد في الأصل علامة لحق . والكلام في الحاشية غير مقروء .

(٤) كُتِبَ في الأصل فوق كلمة (والمعتزليُّ) : " كذا " .

(٥) عزا ذلك الأيجي إلى " معمر " . أحَد قدماء المعتزلة . شرح المواقف ٨/ ٢٩٧

وانظر : د . علي ناصر فقيهي : منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان ص ٣٤٥

وصحَّ في الأثر : (**أنَّ ابن آدم تأكلـه الأرض ، إلاّ عَجْـبَ الـذَّنَب ، منـه خُلِقَ ، ومنه يُرَكَّب**)[(١)].

وتركيبه مـع جـواهره المتقدّمـة ، وأشـلائه الممزَّقـة ، حتـى تعـاد عينُهـا المتقدّمة .

والعقل قاضٍ بإمكـان هـذا ، فـما الـذي دعـاه أن يقـول بـاختراعِ عـينٍ أُخْرى؟.

والصحيح أنَّ للإنسان جوهرين لا تأكلهما الأرض ، روحـه ، وعَجْـبُ ذَنبِه ، وأنَّ العودة ليست اختراعاً لعينٍ أخرى ، بل العـين التـي كانـت هـي تُعاد ، والإنسان الذي كان بعينه في الدُّنيا هـو المُعَـاد ، وأنَّ الله تعـالى سـمَّاها نشأةً أُخرى لمعنيين / : **[١٠]**

أحدهما : النظر إلى المحل الآخر ، كأنه قال : نشأة الدَّار الأُخرى .

والثاني : يفعله تعالى فيها عودةً كما فعله بدءاً .

فمَن آمن بهذا إيمان يقـين واستبصـار ، عَلِـمَ ضـلال الطبيعـي ، وغلـط المعتزلي، وإنَّما الهدى من الله تعالى نورٌ يفيضُه على بصائر الأبرار . انتهى .

وكما قيل : الحمد لله الذي أظهر لِخِيَارِ عباده ، وأهل وداده سبيلاً، وأقـام لهم من الآيات الصحيحة ، والبراهين الفصيحة دليلاً .

ومعتمدنا في هذا المقصد على كتاب الله تعالى ، وحديث رسوله ﷺ.

---

(١)* خ : كتاب التفسير ، باب يوم يُنفخ في الصّور ٨ / ٦٨٩ ح ٤٩٣٥

*م : كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب مابين النَّفْخَتَيْن ٤/ ٢٢٧١ ح ٢٩٥٥.

[الدليل الأول] :

قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ (١)

(يعني أُبيَّ بن خلف(٢) ، خاصم النّبي ﷺ في إنكار البعث، وأتـاه بعظـمٍ قد بَلِي ، فَفَتَّه بيده ، وقال : أيُحْيي الله هذا بعد ما رمَّ ؟! فأنزل الله تعالى : **﴿أَوَ لَمْ يَرَ الإنسانُ ﴾** الآية (٣) .

يعني : ألا يرى أنّه مخلوقٌ مِن نطفةٍ ، ثُمَّ هو يخاصم ؟! وهذا تَعَجُّبٌ مِـنْ جَهْلِهِ ، وإنكارٌ عليه بقوله : **﴿ وَضَرَبَ / لَنَا مَثَلاً ﴾** (٤)، يعنـي : أنّـه ضَرَبَ [١١] المثَلَ في إنكار البعث بالعظم الذي يَفُتُّه بيده ، ويتعجـب مِمَّـن يقـول : إنَّ الله يُحييه ، **﴿ ونَسي خلقه ﴾** :

---

(١) سورة يس ، آية : ٧٧.

(٢) هو أُبيّ بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، قتله رسول الله ﷺ يوم أُحُد ، حيثُ دَقَّ ترقوته ، فخرَّ صريعاً ، ثُمَّ حمله المشركون حتَّى مات بمرّ الظَّهران ، على بُعْد أميالٍ من مكّة .

الزبيري ، المصعب بن عبد الله بن المصعب ، نسب قريش ص ٣٨٧ ، نشر وتعليق وتصحيح : إليفي بروفنسال . ط . الثالثة ، دار المعارف .

وانظر : السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣٦١ ، بتحقيق مصطفى السقا وزميله . ط . الثانية ١٣٧٥ هـ .

(٣)* أخرجه ابن جرير في جامع البيان ١٠/ ٤٦٤ ح ٢٩٢٤٢ ط . الأولى ١٤١٢ هـ ، نشر : دار الكتب العلمية ، بيروت .

*وذكره ابن كثير في تفسير القرآن العظيم ٦/ ٥٧٩ ط . مكتب الشعب .

وذكرا في رواية أنَّ الذي فعل ذلك هو : العاصي بن وائل السهمي ، وفي أُخرى أنّه عبد الله بن أُبيّ ، وأنكر الأخيرة ابن كثير وقال : " هذا منكر لأنَّ السورة مكيَّة وعبد الله بن أُبيّ بن سلول ، إنَّما كان بالمدينة " . تفسير القرآن العظيم ٦/ ٥٨٠ . وانظر تخريج الروايات في ذلك : السيوطي ، الدُر المنثور ٧/ ٧٤-٧٥

(٤) سورة يس ، آية : ٧٨.

قال مُقاتل [١] : "تَرَكَ النَّظر في خَلْقِ نفسه إذ خُلِقَ مِن نطفةٍ " [٢] ، ثُمَّ بيَّن ذلك المثل بقوله : ﴿ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ [٣] .

قاس قدرة الله بقدرة الخلق ، فأنكر إحياء العظم البالي لما لم يكن ذلك في مقدور البشر .

يُقَال : رَمَّ العظمُ يَرِمُّ ، إذا بَلِيَ ، فهو رَمِيم ، والعظامُ رميمٌ ، ولا يُقال بالهاء، لأَنَّه مصروفٌ إلى فعيل [٤] .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ ابتدأها أوَّل مرّة ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [٥] .

ثُمَّ زاد في البيان ، وأخبر عن عجيب صنعه فقال: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ [٦] يعني : ما جعل من النَّار في المَرْخِ والعَفَارِ ، وهما شجرتان تتخذ الأعراب وقودها منهما.

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ : تقدحون النَّار وتوقدونها

---

(١) مُقَاتل بن سليمان بن كثير الأزدي الخراساني ، أبو الحسن البَلْخِي المفسّر ، نزيل مَرو . ويقال له ابن دوال دوز ، كذّبوه ، وهجروه ، ورُمِيَّ بالتّجْسيم . مات سنة خمسين ومائة .

الدوادي : طبقات المفسرين ٢/ ٣٣٠ بتحقيق : علي محمد عمر.

(٢) أورد ابن الجوزي هذا الكلام بنصه ، غير أنّه لم يعزه لمقاتل . انظر : زاد المسير ٦/ ٢٨٣.

(٣) سورة يس ، آية : ٧٨.

(٤) انظر لسان العرب : ١٢/ ٢٥٣ ، مادة رمم .

(٥) سورة يس ، آية : ٧٩.

(٦) سورة يس ، آية : ٨٠.

مِنْ ذلك الشَّجر / . ثُمَّ ذكر ما هو أعظم خلقاً من الإنسان فقال : [١٢] ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ (١) في عظمها وكثرة أجزائها ، يقدر على إعادة خلق البشر ، ثُمَّ أجاب هذا الاستفهام بقوله : ﴿ بَلَى ﴾ أي هو قادرٌ على ذلك ، ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ ﴾ يخلق خلقاً بعد خلق ، ﴿ الْعَلِيمُ ﴾ بجميع ما خلق .

ثُمَّ ذكر قدرته على إيجاد الشيء ، فقال : ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ (٢) .

ثُمَّ نزَّه نفسه أن يوصف بغير القدرة ، فقال : ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٣) . انتهى من تفسير الإمام الواحدي(٤) رحمه الله تعالى(٥) .

---

(١) سورة يس ، آية : ٨١.

(٢) سورة يس ، آية : ٨٢.

(٣) سورة يس ، آية : ٨٣ .

(٤) قال الذّهبي في ترجمته : الإمام العلاّمة الأستاذ ، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمَّد بن علي الواحدي النيسابوري ، الشافعي ، صاحب التفسير ، وإمام علماء التأويل ، من أولاد التُّجَّار ، وأصله من ساوَه ... صنّف التفاسير الثلاثة : "البسيط" و"الوسيط" و"الوجيز"... وله كتاب أسباب النزول، وغيره. ت ٤٦٨ هـ. سير أعلام النبلاء (بتصرُّف) ١٨/ ٣٤٠ .

(٥) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٣/ ٥٢٠ ، ط . الأولى ١٤١٥ هـ ، بتحقيق : عادل أحمد عبد الموجود وزملائه .

[الدليل الثَّاني] :

الحـديث الصـحيح : خـرَّج مالـك(١) رحمـه الله في "موطئـه" عـن أبي الزناد(٢)، عن الأعرج(٣) ، عن أبي هريرة(٤) رضي الله تعالى عنه أنَّ رسـول الله ﷺ قال : (**قال رجلٌ لَمْ يعمل خـيراً قـط لأهلـه إذا مـات فَحَرّقـوه ثُـمَّ اذْرُوا نصفه في البَرّ ، ونصفه في البحر ، فو الله لَئِنْ قَدَرَ الله عليه لَيُعَذّبَنَّه / عـذاباً لا** [١٣] **يُعذّبه أَحَداً من العالمين ، فلمّا مات الرجل فعلوا ما أمرهم به ، فأمر الله البحر فجمع ما فيه ، وأمر البَرَّ فجمع ما فيه ، ثُمَّ قال : لِمَ فَعَلْـتَ هـذا ؟ قـال : مِـنْ خشيتك يارب وأنت أعلم ، قال : فغفر له**) (٥) .

شرح هذا من "المختار"(٦) :

---

(١) هو الإمام مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمرو الأصبحي ، أبو عبدالله ، المدني الفقيه ، إمام دار الهجرة ، رأس المتَّقِين ، وكبير المُثْبتين ، ت ١٧٩ هـ ، وكان مولده سنة ٩٣ هـ . وقال الواقدي : بلغ تسعين سنة .

ابن حجر : التقريب ٢/ ٢٢٣ .

(٢) هو : عبد الله بن ذكوان القرشي ، أبو عبد الرحمن المدني ، المعروف بأبي الزناد ، ثقةٌ ، فقيهٌ ، مات سنة ١٣٠ هـ وقيل : بعدها . المصدر السابق ٢/ ٤١٣ .

(٣) الأعرج ، وهو : عبد الرحمن بن هُرْمُز الأعرج ، أبو داود المدني ، مولى ربيعة بن الحارث ، ثقةٌ ، ثبتٌ . مات سنة ١١٧ هـ . المصدر نفسه ٢/ ٥٠١ .

(٤) الدَّوْسِي ، الصحابي الجليل ، حافظ الصحابة .

(٥)* ط : كتاب الجنائز ، باب جامع الجنائز ١/ ٢٤٠ ح ٥١ .

*خ : كتاب التوحيد ، باب يريدون أنْ يبَدّلوا كلام الله ١٣/ ٤٦٦ ح ٧٥٠٦ .

*م : كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى ٤/ ٢١٠٩ ح ٢٧٥٦ . .

(٦) وهو : " المنتقى " في شرح الموطأ.

قال أبو الوليد الباجي[1] رحمه الله : ((ولا يصح أنْ يُريد بـأمره لأهلـه أن يذروا نصفه في البحر ، ونصفه في البَرّ ، أنْ يُعجز الله تعالى بـذلك ، واعتقـاد أنَّ الباري سبحانه لا يقدر على إعادته مع هذا الفعل؛ لأنَّ مَـنِ اعتقـد ذلـك كفر ، والكافر لا يغفر الله له .

قـال : وقيـل إنَّ معنـاه : إنْ قـدَّر الله أنْ يعـذّبني ولم يُـرِد أنْ يغفـر لي ، فيعذّبني عذاباً لا يعذّبه أحداً من العالمين[2] .

وقيل : كأنّه قال : إن كان سبق في قـدر الله وقضـائه أن يعـذّب كـل ذي جرمٍ على جرمه ، فيعذّبني عذاباً لا يعذّبه أحداً من العالمين غيري .

وهذا منه خوفٌ ويقين / وإيمانٌ وتوبيخٌ لنفسه ، وخشيةٌ منه لربه تعالى ، [١٤] وتوبةٌ عمَّا سلف من ذنبه ، وهذا كُلّه لا يكون إلاّ لمـؤمنٍ مصـدّقٍ ، ومـوقنٍ بالبعث والجزاء ، ولا يصح أنّه بمعنى القدرة ، لأنّه كفر ، ولا يغفر الله تعالى لمن يُشرك به .

---

(١) القاضي سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث ، أبو الوليد الباجي ، إمامٌ حافظٌ ، ذوفنونٍ ، وُلِدَ سنة ٤٠٣ هـ ، رحل في طلب العلم إلى الحجاز والشام وبغداد وغيرها ، له تصانيف نفيسة ، في التوحيد ، والفقه ، والأصول ، منها : " المنتقى " في الفقه ، و" المعاني " في شرح الموطأ ، و " الاستيفاء " وغيرها . ت ٤٧٤ هـ وعمّر إحدى وسبعين سنة . ترجمته في : السير للذهبي ١٨ / ٥٣٥ ، والديباج المذهب ١/ ٣٧٧ .

(٢) " المنتقى " شرح الموطأ ٢/ ٣٢ ، ط . الأولى ، مطبعة السعادة بمصر .

وقيل في " القدر " لغتان مشهورتان : " قَدَّر " الله بالتشديد ، ، " قَـدَرَ " بالتخفيف .

ذكره ابن قتيبة[١]، وذكره ثعلب[٢] وغيره، والشواهد عليـه بالتمهيـد[٣] انتهى .

وقيل في قوله تعالى : ﴿ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ ﴾ [٤] أي ضُيّقَ ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْـهِ ﴾ [٥] . الآية .

---

(١) مشكل القرآن ص١٠٤ ، نشر وشرح السيد أحمد صقر ، ط . الثانية ١٣٩٣ هـ ، وابن قتيبة هو : أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، كان كوفيّاً ومولده بها ، وإنّما سُمّي الدينوري ، لأنّه كان قاضي الدينور .. وكان فاضلاً في اللغة ، والنحو ، والشعر ، متقناً في العلوم .. وله المصنّفات المذكورة ، والمؤلّفات المشهورة ، منها : " غريب القرآن " ، " غريب الحديث " و " مشكل القرآن " و " مشكل الحديث " و "أدب الكاتب " و " كتاب المعارف " و " عيون الأخبار " و " دلائل النبوة " إلى غير ذلك من المصنّفات . توفي سنة ٢٧٠ هـ ، وقيل : ٢٧٦ هـ في خلافة المعتمد على الله . ابن الأنباري ، عبدالرحمن بن محمد : نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص١٥٩ بتحقيق د . إبراهيم السامرائي ، ط . الثالثة ١٤٠٥ هـ .

وانظر ترجمته أيضاً في سير أعلام النبلاء ١٣ / ٢٩٦

(٢) وهو : أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني النحوي ، المعروف بثعلب ، كان إمام الكوفيين في النحو واللغة في زمانه . وُلِد سنة ٢٠٠ هـ ، وتوفي سنة ٢٩١ هـ ببغداد .

ابن الأنباري : نزهة الألباء ص ١٧٣ هـ ، وانظر : سير أعلام النبلاء ١٤/ ٥ .

(٣) أي: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد البر (٣٦٨- ٤٦٣ هـ) . وانظر الشواهد المشار إليها فيه ١٨ / ٤٣ – ٤٥ .

(٤) سورة الطلاق ، آية : ٧ .

(٥) سورة الأنبياء ، آية : ٨٧.

وهذه الآية الكريمة ، وهذا الحديثُ ، نصٌّ جليٌّ في إعادة الإنسان وجواهره بأعيانها ، ولو رمَّت وبليَتْ كُلّ مذهبٍ مِنَ الشَّتات والتَّفريق والتَّمزيق ، بإذن الله سبحانه القادر المقتدر الذي لا يعجزه شيء .

[الدليل الثالث] :

وقوله ﷻ : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴾[1] **الآية** / ذكر الله سبحانه إنكارهم البعث بقوله : ﴿ **وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا** ﴾**[١٥]** قال الفرَّاء [2]: " الرفات مثل الدُّقاق [3] والحُطام ، والرفت : كسر الشيء بيدك ، مثل المَدَرِ، والعظمِ البالي، وما كُسِرَ فهو رُفات، مثل الفُتات" [4] .

قال ابن عبَّاس : " إذا ذهب اللحم و العروق ، وبقيت عظامٌ قد بليَت، وإذا مسسته بين أصابعك انسحق"[5] . ﴿ **أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا** ﴾ أي : أَنُبْعَثُ إذا صرنا تراباً ؟ وهذا استفهام إنكارٍ وتعجُّبٍ .

---

(١) سورة الإسراء ، آية : ٤٩.

(٢) هو : أبو زكريا يحيى بن زياد الفرَّاء ، أخذ عن الكسائي ، وكان إماماً ثقة ، حُكِيَ عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب أنّه قال : لولا الفرَّاء لما كانت اللغة ؛ لأنّه حصَّلها ، وضبطها ، ولولا الفرَّاء لسقطت العربية ؛ لأنّها كانت تتنازع ويديعها كُلّ مَنْ راد ، ويتكلّم النّاس على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب . صاحب تصانيف من أهمها كتاب " معاني القرآن " أملاه مِنْ حفظه . ت ٢٠٧ هـ في طريقه إلى مكة ، وقد بلغ ثلاثاً وستين سنة .

ترجمته في : نزهة الألباء لابن الأنباري ص٨١ ، وسير أعلام النبلاء ١٠ / ١١٨ .

(٣) في الأصل ، وعند الواحدي : " الرُّقاق " بالراء ، والتصويب من معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٥ .

(٤) معاني القرآن للفرَّاء ٢/ ١٢٥ بتحقيق محمَّد علي النَّجَّار ، وفيه : " الرفات : التراب لا واحد له ، بمنزلة الدُّقاق والحُطَام.

(٥) لم أقف عليه .

﴿ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴾ [(١)] . قال الزَّجاج [(٢)] : " إنَّهم كانوا يُقرُّون بأنَّ الله تعالى خالقهم ، وينكرون أنَّه يعيدهم ، فقال الله تعالى : قُل لهم إنَّكم لو خُلِقْتُم حجارةً أو حديداً ﴿ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ﴾ [(٣)]، والأكثرون قالوا : يعني الموت ، وليس أكبر في صدور بني آدم من الموت ، يقول : لو كنتم الموت لأماتكم ثمَّ أحياكم؛ فإنَّ القدرة التي بها أنشأكم، بها يعيدكم " [(٤)].

هذا معنى قوله : ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ - أي- أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [(٥)] .

قال مجاهد[(٦)]: (ما شئتم ، فكونوا / حجارةً ، أو حديداً ، أو سماءً ، أو [١٦] أرضاً ، أو جبلاً ، فسيعيدكم الله كما كنتم) [(٧)] . انتهى من تفسير الإمام الواحدي [(٨)].

---

(١) سورة الإسراء ، آية : ٥٠.

(٢) هو : أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج ، كان من أكابر أهل العربية ، وكان حسن العقيدة، جميل الطريقة ، وصنَّف مصنَّفاتٍ كثيرة ، منها : " المعاني في القرآن " وكتاب" الفرق بين المؤنث والمذكر " وكتاب " فعلت وأفعلت " و " الرد على ثعلب الفصيح " إلى غير ذلك . وكان صاحب اختيار في النَّحو والعَروض . توفي سنة ٣١١ هـ .
نزهة الألباء لابن الأنباري ١٨٣ وانظر : سير أعلام النبلاء ١٤ / ٣٦٠ .

(٣) سورة الإسراء ، آية : ٥١.

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٤٤ تحقيق د . عبد الجليل شلبي ، نشر : عالم الكتب ، ط . الأولى ١٤٠٨هـ. مع شيءٍ من التقديم والتأخير في النقل.

(٥) سورة الإسراء ، آية : ٥١.

(٦) مجاهد بن جَبْر، أبو الحجاج المخزومي مولاهم، المكي، ثقة، إمام في التفسير وفي العلم، ت (١، ٢، ٣، ٤ ، ١٠٤ هـ) ، وله ثلاث وثمانون سنة . ابن حجر : تقريب التهذيب ٢ / ٢٢٩ .

(٧) تفسير مجاهد ١ / ٣٦٣ ، بتحقيق : عبد الرحمن الطاهر بن محمَّد السورتي ، وهو فيه مختصر بلفظ : "يقول: ما شئتم فكونوا ، فسيعيدكم الله عزَّ وجلَّ كما كنتم ".

(٨) الوسيط ٣ / ١١١ .

[الدليل الرابع] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) .

قال الإمام ابن عطية (٢) في تفسير هذه الآية الكريمة : ((قال الضحَّاك (٣) وغيره: " هو عزير "(٤)، وقال وَهْبٌ (٥)، وعبدالله بن عبيد بن عمير (٦)،

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٢٥٩.

(٢) أبو محمَّد عبدالحق بن غالب بن عبد الرؤوف بن تمام بن عبد الله بن تمام بن عطية ، كان فقيهاً عالماً بالتفسير ، والأحكام ، و الحديث ، و الفقه ، والنحو ، و اللغة ، و الأدب، مقيّداً حسن التقييد، له نظمٌ ونثرٌ ، وَلِيَ القضاء فكان غايةً في الدَّهاء والذكاء ، والتهمم بالعلم . ألَّف كتابه المسمَّى بـ " الوجيز " في التفسير ، وأحسن فيه وأبدع ، وطار بحسن نيته كُلّ مطار ، ويُعْرَف باسم " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز " . كان مولده سنة ٤٨١ هـ ، ووفاته سنة ٥٤٦ هـ .
ترجمته في : الديباج المذهب ٢ / ٥٧ ، والسير ١٩ / ٥٨٧ .

(٣) الضَّحَّاك بن مزاحم الهلالي ، أبو القاسم الخراساني المفسّر ، خراسانيٌّ ، صدوقٌ ، كثير الإرسال ، مات بعد المائة. ترجمته في التقريب ١ / ٣٧٣ ، وطبقات المفسرين للداودي ١ / ٢١٦ .

(٤) المشهور أن عزيراً نبي من أنبياء بني إسرائيل ، فهل هو النَّبِيّ أو غيره ؟ الله أعلم بذلك .
والأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ، عن ابن عباس، والضَّحَّاك، وقتادة، والسديّ وعكرمة وغيرهم ، ٣/ ٢٩ – ٣٠ الآثار من ٥٨٨٣ إلى ٥٨٩١ .

(٥) هو : وهب بن مُنَبّه ، العلاّمة الإخباري القصصي ، أبو عبد الله الأبناوي ، اليماني الذماري، أخو همَّام بن منبّه . كان مولده في زمن عثمان رضي الله عنه سنة ٣٤ هـ، ومات سنة ١١٠ هـ، وقيل : ١١٣ هـ ، وقيل : ١١٤ هـ . راجع ترجمته في : سير أعلام النبلاء ٤ / ٥٤٤ .

(٦) في الأصل : " عبد الله بن عمر " ، والتصويب من " تفسير ابن عطية " ، وابن جرير .

[وبكر بن مضر][1]:"هو أرميا"[2].

وروي في قصص هذه الآية أنَّ بني إسرائيل لَمَّا أحدثوا الأحداث بعث الله تعالى عليهم بُخْت نَصَّر البابلي[3] فقتلهم وجلاهم من بيت المقدس، وخرَّبه، فلمَّا ذهب جاء أرمياء فوقف على المدينة / معتبراً، فقال: أَنَّى يُحيي [١٧] هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عامٍ، وكان معه حمارٌ قد حَمَل حديداً[4]، وكان معه سلّةٌ فيها تينٌ هو طعامه، وقيل: تينٌ وعنبٌ، وكان معه ركوة فيها شرابه، وقيل: قُلَّةٌ من ماء، وبقي مائة عام، فرُوِيَ أنَّه بَلِيَ، فتفرَّقت عظامه هو وحماره، ورُوِيَ أنَّه بَلِيَ دون الحمار، وأنَّ الحمار بقي حيَّاً مربوطاً، ولا أكل شيئاً ولا بَلِيَتْ رمَّتُه.

وهو عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي المكي، ثقةٌ، استشهد غازياً سنة ١١٣ هـ.
تقريب ١ / ٤٣١.

(١) ليس في الأصل، وأثبته من تفسير ابن عطية. وهو: بكر بن مضر بن محمَّد بن حكيم المصري، أبو محمَّد، أو أبو عبد الله، ثقةٌ، ثبتٌ، مات سنة ٣، ١٧٤ هـ وله نيف وسبعون سنة. المصدر السابق ١ / ١٠٧.

(٢) الأثر أخرجه ابن جرير عن وهب: جامع البيان ٣ / ٣٠ برقم ٥٨٩٣ – ٥٨٩٥.
وعن ابن عمير برقم ٥٨٩٦ –٥٨٩٧. وعن بكر بن مضر برقم ٥٨٩٨.
و" أرمياء " هو: أرمياء بن حلقيا، وكان من سبط هارون بن عمران. ذكره ابن جرير عن وهب، وهو من أنبياء بني إسرائيل. وانظر: الإعلام بأصول الأعلام ص ٣٤.

(٣) يُكتب منفصلاً كما هو عند المؤلّف، ويُكْتَب متَّصِلاً، وهو الملك البابلي الذي خرَّب بيت المقدس. قال الدكتور ف. عبد الرحيم: "هو بالعبرية، نِبْوُ خَذْ رصَّر، وله صيغة أُخرى بالنون في موضع الرَّاء، نِبْوُ خَذْ نَصَّر، عربت هذه الصيغة الثانية بصورة: بوخت نصر " بحذف النون من أوَّل الكلمة، ثُمَّ حُذِفَت الواو لالتقاء الساكنين.
الإعلام بأصول الأعلام ص ٦٢ ط. الأولى ١٤١٣ هـ، دار القلم.

(٤) عند ابن عطية (وكان معه حمار قد ربطه بحبل جديد) ٢ / ٢٩٣.

[وَرُوِيَ أنَّ الحمار بَلِيَ وتفرَّقت أوصاله دون عُزَيْر] [١] .

ورُوِيَ أنَّ الله تعالى بعث إلى تلك القرية من عمَّرها وردَّ إليها جماعة من بني إسرائيل ، حتى كملت على رأس مائة سنة ، وحينئذٍ "حيي" عزير [٢] .

وَرُوِيَ أنَّ الله تعالى ردَّ عليه عينيه ، وخلق له حياةً يرى بها كيف تَعْمُرُ القريةُ، وتحيَا [٣] مُدَّة من ثلاثين سنة تكملة المائة ؛ لأنَّه بقي سبعين سنة ميتاً كُلَّه. وهذا ضعيفٌ يَرُدُّ عليه لفظ الآية .

وقوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ بعثه** ﴾ معناه : أحياه ، وجعل له الحركة والانتقال ، فسأله تعالى بواسطة المَلَك : كَمْ لبثت ؟ على جهة التَّقْرير ، " كم " [٤] في موضع نصب على الظَّرف ، فقال : لبثت يوماً أو بعضَ يوم / قال ابن جريج [٥]، [١٨] وقتادة [٦]، والربيع [٧]: " ﴿ **أماته الله** ﴾ غدْوَةَ يومٍ ﴿ **لبثت يوماً** ﴾ قبل الغروب، الغروب، فظنَّ أنَّ هذا اليوم واحد، فقال : ﴿ **لبثت يوماً** ﴾ ، ثُمَّ رأى بقية من

---

(١) هذه الجملة سقطت من متن الأصل ، وأُلْحِقَت في الحاشية .
(٢) في الأصل : " جاء " ، والتصويب من " المحرر الوجيز " ٢ / ٢٩٣.
(٣) في المحرر : " ويحيى " ٢/ ٢٩٣ .
(٤) في المحرر : " وكم ".
(٥) عبد الملك بن عبد العزيز بن جُرَيج الأُموي مولاهم ، المكي ، ثقةٌ ، فاضلٌ ، كان يدلّس ويرسل ، ت ١٥٠ أو بعدها ، وقد جاوز السبعين ، وقيل : جاوز المائة ، ولم يثبت . ابن حجر : التقريب ١ / ٥٢٠ .
(٦) هو : قتادة بن دِعَامة بن قتادة السدوسي ، أبو الخطّاب البصري ، ثقةٌ ، ثبتٌ ، وُلِدَ أكمه. مات سنة بضع عشرة ومائة . المصدر السابق ٢ / ١٣٢ .
(٧) الربيع بن خُثَيْم ، أبو يزيد الكوفي الثوري ، تابعيٌّ جليل ، وردت عنه الرواية في حروف القرآن، مات في ولاية عبيد الله بن زياد، يعني قبل سنة تسعين من الهجرة. ابن الجزري: غاية النهاية في طبقات القُرَّاء ١/ ٢٨٣.

الشمس ، فخشي أن يكون كاذباً فقال : ﴿ **أو بعض يوم** ﴾ ، فقيل له: ﴿ **لبثت مائة عام** ﴾ "[١] .

ورأى من عمارة القرية ، وأشجارها ، ومياهها ما دلَّه على ذلك . وظاهر الإماتة أنَّها بإخراج الروح من الجسد .

ورُوِيَ في قصص هذه الآية أنَّ الله تعالى بعث لها ملكاً من الملوك يعْمُرُها، ويَجِدُّ في ذلك ، حتى كان كمال عمارتها عند بعث القائل : أنَّى يُحْيي هذه الله بعد موتها .

وقوله تعالى : ﴿ **فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[٢] .

وقف في هذه الآية الألفاظ على بقاء طعامه وشرابه على حاله لم يتغيَّر، وعلى بقاءِ حماره حيّاً على مربطه، هذا في[٣] أحد التأويلين.

وعلى التأويل الثاني : وقف على الحمار كيف يَحْيَا / وتُجْمَع[٤] عظامُه . **[١٩]**

وقوله : ﴿ **لَمْ يَتَسَنَّه** ﴾ أي : لم يتغيَّر ، وقوله : ﴿ **مَاءٌ غَيْرُ آسِنٍ** ﴾ قاله النقَّاش[١].

---

(١) أخرج الأثر عن هؤلاء : ابن جرير ، جامع البيان ٣ / ٣٧ – ٣٨ ، برقم ٥٩١٥ – ٥٩١٦ عن قتادة ، وبرقم ٥٩١٧ عن الربيع ، وبرقم ٥٩١٨ عن ابن جريج.

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٥٩ .

(٣) في " المحرَّر " : " على " ٢ / ٢٩٤..

(٤) في " المحرَّر " : " وتجتمع " ٢ / ٢٩٤.

وأمَّا قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ انْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ ﴾ فقال وهب بن منبه، وغيره: (أنَّه إلى اتصال عظامه ، وأجزائه[٢] جزءاً جزءاً)[٣].

ويُرْوَى : (أنَّه أحياه الله تعالى كذلك حتَّى صار عظاماً ملتئمة ، ثُمَّ كساها اللحم ، حتَّى كمل حماراً ، ثُمَّ جاءه ملك فنفخ في أنفه الروح ، فقام الحِمَارُ ينهق بعد مائة سنة) [٤] .

وروى الضَّحَّاك ، ووهب بن منبه أيضاً أنهما قالا : " قيل له انظر إلى حمارك في مربضه ، لم يصبه شيء مائة سنة . قال : وإنَّما العظام التي نظر إليها عظام نفسه " [٥] .

قال : وأعمى الله تعالى العيونَ عن " أرمياء " وحماره طول هذه المُدَّة، وكَثَّر أهل القصص في صورة هذه النازلة تكثيراً اختصرته ، لِعَدَمِ صِحَّتِهِ .

وقوله تعالى : ﴿ وِلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ معناه : لهذا المقصد ، من أن يكون[١] آية ، فعلنا بك هذا .

---

(١) هو العلاّمه المفسّر ، شيخ القرَّاء ، أبو بكر محمَّد بن الحسن بن محمَّد بن زياد الموصلي، ثُمَّ البغدادي النقَّاش ، وُلِدَ سنة ٢٦٦ هـ ، وله : " شفاء الصدور " في التفسير ، و" الإشارة في غريب القرآن " ، و"المناسك " و " دلائل النبوة " و " المعاجم الثلاثة " . وله كتابٌ كبيرٌ في التفسير نحو أربعين مجلداً . وغيره من الكتب في القراءات وغيرها . توفي سنة ٣٥١ هـ . ترجمته في سير أعلام النبلاء ١٥ / ٥٧٣ .

(٢) في " المحرر " : " وإحيائه " ٣ / ٢٩٦.

(٣) الأثر أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٣ / ٤١ برقم ٥٩٣٤ ، مع اختلافٍ في لفظه.

(٤) ورد بمعناه عن السدي . ابن جرير : جامع البيان ٣/ ٤١ رقم ٥٩٣٥ .

(٥) أخرجه ابن جرير في جامع البيان ٣/ ٤٣، برقم ٥٩٤٠، ٥٩٤١ عن الضَّحَّاك، وعن قتادة برقم ٥٩٤٢.

وقال الأعمش[٢]: ((موضع كونه آية هو أنه / جاء شاباً على هيئته يوم **[٢٠]** ماتَ ، فوجد الحفدةَ والأبناءَ شيوخاً)) [٣] .

وقال عكرمة [٤]: " جاء وهو ابن أربعين سنة كما كان يوم مات ، فوجد بنيه قد نيَّفوا على مائة سنة"[٥] .

وقال غير الأعمش : " بل موضع كونه آية أنَّه جاء وقد هلك كُلُّ من يعرف ، وكان آيةً لمن كان حيّاً من قومه ، إذ كانوا مؤمنين بحاله سماعاً " [٦] .

وفي إماتته هذه المُدَّة ثُمَّ إحيائه أعظم آية ، وأَمْرُهُ كُلُّه آية للنَّاس غابر الدَّهر ، لا يحتاج إلى تخصيص بعض ذلك دون بعض .

وأمَّا العظام التي أُمِرَ بالنظر إليها، فقد ذكرنا مَنْ قال : هي عظام نفسه ، ومَنْ قال : هي عِظَام الحمار .

وقوله : ﴿ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ﴾ : يُروى أنَّه كان يَرَى اللَّحم ، والعَصَب ، والعُروق ، كيف تلتئم ، وتتواصل ، ﴿ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ

---

(١) في " المحرَّر" : " تكون " ٢ / ٢٩٧ .

(٢) الأعمش : سليمان بن مهران الأسدي الكاهلي ، أبو محمَّد الكوفي الأعمش ، ثقةٌ ، حافظٌ، عارفٌ بالقراءَةِ، ورع ، لكنَّه يُدَلّس، ت ١٤٧ هـ. وكان مولده أوَّل إحدى وستين. ابن حجر: التقريب ١/ ٣٣١.

(٣) أخرجه ابن جرير : جامع البيان ٣ / ٤٤ برقم ٥٩٤٦.

(٤) هو : عكرمة بن عبد الله ، مولى ابن عبَّاس ، أصله بربري ، ثقةٌ ، ثَبْتٌ ، عالمٌ بالتَّفسير ، لم يثبُت تكذيبه عن ابن عمر ، ولا يثبُت عنه بدعة .ت ١٠٧ هـ ، وقيل : بعد ذلك . التقريب ٢ / ٣٠ .

(٥) أورده السيوطي في : الدر المنثور ٢ / ٣١ ، وعزاه لسفيان بن عُيَيْنَة ، وابن أبي حاتم .

(٦) أخرج ابن جرير نحوه عن السُدّي . جامع البيان ٣ / ٤٥ رقم ٥٩٤٧.

﴿ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [(١)]، هو قولُ بَعَثَهُ الاعتبار كما يقول الإنسان المؤمن إذا رأى شيئاً غريباً من قدرة الله تعالى : لا إله إلاَّ الله[(٢)]، ونحو هذا . / [٢١]

قال القاضي عبد الحقّ[(٣)] رضي الله تعالى عنه : ((بمعنى علم المعاينة ، ومعنى " ننشرها " : نحييها ، تقول : أنشرَ الله المؤمن فَنَشَر[(٤)] قال الله العظيم : ﴿ ثُمَّ إذا شَاءَ أَنْشَرَه ﴾) انتهى من تفسير الإمام ابن عطية رحمه الله تعالى [(٥)].

ومِنْ تفسير الإمام الواحدي رحمه الله تعالى في قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ الآية : (قال أكثر المفسرين : هو : " عزير " ، والقرية "إيلياء" [(٦)]، وهي[(٧)] بيت المقدس، المقدس، أتى عليها عُزَيْر بعدما خرَّبها بُخْت نَصَّر البابلي، " وهو" [(٨)] قوله : ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ ﴾ أو[(٩)] ساقطة متهدّمة ، يقال : خَرّ[(١٠)] الحائط ، إذا تهدّم ،

---

(١) ورد نحوه عن الضّحَّاك مختصراً ، أخرجه ابن جرير ٣ / ٤٨ رقم ٥٩٦١ .
(٢) في " المحرَّر " : " الله لا إله إلاَّ الله " ٢ / ٣٠٠.
(٣) هو : ابن عطية صاحب " المحرَّر الوجيز ".
(٤) في " المحرَّر " : " يُقال : أَنْشَرَ الله المْوتى فَنَشَروا " ٢ / ٢٩٧.
(٥) المحرَّر الوجيز ٢ / ٢٩٠ – ٣٠٠ مع تقديمٍ وتأخيرٍ في النّقل ، وهو قليل.
(٦) إيلياء : بكسر أوله ، واللام وياء وألف ممدودة : اسم مدينة بيت المقدس . قيل : معناه بيت الله . وحكى الحفصي فيها القصر ، وفيه لغة ثالثة : حذف الياء الأولى . فيقال : " إلياء " بسكون اللام والمد . الحموي : معجم البلدان ١ / ٢٩٣ نشر : دار صادر .
(٧) في الأصل : " وهو " ، والتصويب من " الوسيط " للواحدي ١ / ٣٧٢.
(٨) ليست في " الوسيط ".
(٩) في " الوسيط " : " أي ".
(١٠) كُتِبَ فوقها في الأصل : " كذا " ، وفي " الوسيط " : " خوى " ١ / ٣٧٢.

وهو أن ينقلع من أصله ، ومنه قوله تعالى : ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَة ﴾[1] : منقلعة من أُصُولِها .

وقوله[2] عزَّ وجلَّ : ﴿ عَلَى عُرُوشِهَا ﴾ أي سقوفها ، إذ أنَّ الحيطان كانت قائمة ، وقد تهدَّم[3] سقوفها، ثُمَّ انقلعت الحيطان فتساقطت على السقوف.

وقوله : ﴿ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ الله بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ - أي [4] - أنَّى يعْمُرُها بعد خرابها ، فأحبَّ / الله تعالى أنْ يُرِيَه آيةً في نفسه وفي إحياء القرية ، ﴿ فَأَمَاتَهُ الله مائَةَ عَامٍ ﴾ . [٢٢]

وذلك أنَّه نام فنزع الله منه الروح مائة عام ، وكان معه حمارٌ ، وتِينٌ ، وعَصِيرٌ ، فأمات الله حماره أيضاً .

فلمَّا مضت مائة سنة أحيى الله تعالى منه عينيه ، وسائرُ جسده مَيِّت، ثُمَّ أحيى جسده وهو ينظر ، ثُمَّ نظر إلى حماره ، فإذا عظامه بِيْضٌ تلوح، فسمع صوتاً مِنَ السَّمَاءِ : أَيَّتُها العظام البالية! إنَّ الله يأمرك أنْ تَكْتَسِي لَحْماً، وجِلْداً ، فكان كذلك ، ثُمَّ قام بإذن الله ونهق ، فذلك قوله : ﴿ ثُمَّ بَعَثَه قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ﴾ أي كَمْ أقمت ومكثت هاهُنا ،

---

(١) سورة الحاقة ، آية : ٧.

(٢) في الأصل : " ومنه قوله ... " ، وفي " الوسيط " كما أثبت ، وهو المناسب للسياق.

(٣) في " الوسيط " : " تهدّمت ".

(٤) من " الوسيط ".

﴿ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ وذلك أنَّ الله تعالى أماته ضحىً في أوَّل النَّهار ، وأحياه بعد مائة عام في آخر النَّهار قبل أن تغيب الشَّمْس ، فقال : ﴿ لَبِثْتُ يَوْماً ﴾ وهو يرى أنَّ الشمس قد غربت ، ثُمَّ التفت فرأى بقيّةً من الشمس ، فقال : ﴿ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ ، يعني : بل بعض يوم .

﴿ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مائَةَ عَامٍ فَانْظُر إِلَى طَعَامِك ﴾ يعني : التّين ﴿وَشَرَابِكَ ﴾ / يعني : العصير ، ﴿ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ : لم يتغيَّر ، ولم يَنْتَن بعد مائة سنة ، والتَّسَنُّه : هو التغيُّر . [٢٣]

ومَنْ قرأ (لَمْ يَتَسَنَّ) بغير هاء ، أخذه من التسني ، وهو التغيُّر أيضاً بِمَرّ السنين عليه .

قال ابن عبَّاس : ((نظر إلى التين فإذا هو كما اجتناه ، ونظر إلى العصير فإذا هو كهيئته لم يتغيَّر)) (١) .

وقوله : ﴿ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ ﴾ أراه الله تعالى علامة مُكْثِهِ مائة سنة ، بِبِلى عظام حماره .

﴿ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ ﴾ قال المفسرون : جعله الله آية للنَّاس ؛ بأن بعثه شابّاً أسود الرأس واللحية ، وبنو بنيه شيب (٢) .

---

(١) رواه ابن جرير عن ابن عباس مختصراً، بلفظ : " لم يتسنَّه " : لم يتغيَّر . جامع البيان ٣/ ٤٠ برقم ٥٩٢٧ .

وانظر : السيوطي ، الدر المنثور ٢/ ٣٠ وعزاه لأبي يعلى ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن عساكر .

(٢) انظر : ابن جرير ، المصدر السابق ٣/ ٤٤ . وفي الأصل : " شيباً " والتصويب من " الوسيط " .

وقوله : ﴿ وَانْظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنْشِرُهَا ﴾ أي نُحييها ، يقال: أنشر الله الميت إذ بعثه ، قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ إذا شَاءَ أَنْشَرَه ﴾ (١) .

ومَنْ قرأ ﴿ نُنْشِزُهَا ﴾ بالزاي ، أي : نرفعها .

ومعنى الآية : كيف نرفعها من الأرض ، فنردها إلى أماكنها من الجسد، ونركب بعضها إلى بعض .

وقوله : ﴿ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِير ﴾ أي : قد علمت مشاهدةً ما كُنْتُ أعلمه غائباً . انتهى (٢). [٢٤]

[الدليل الخامس] :

قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِـمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣) .

قال أكثر المفسرين(٤): رأى إبراهيم عليه السلام جيفة بساحل البحر تتناولها السّباع ، والطير ، ودوابُّ البحر ، ففكَّر كيف يجتمع ما قد تفرَّق من تلك الجيفة ، وتطلَّعت نفسه إلى مشاهدة مَيّتٍ يُحْييه ربُّه ، فقال : ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمُوْتَى ﴾ .

---

(١) سورة عبس ، آية : ٢٢ .

(٢) الواحدي ، الوسيط ١/ ٣٧٢ – ٣٧٤.

(٣) سورة البقرة ، آية : ٢٦٠.

(٤) انظر مثلاً : جامع البيان لابن جرير ٣/ ٤٩ ، ومعالم التنزيل للبغوي ١/ ٢٤٧ بتحقيق : خالد العك ، ط . الأولى ١٤٠٦ هـ . والدر المنثور للسيوطي ٢/ ٣٢.

فقال الله تعالى : ﴿ أَوَ لَمْ تُؤْمِنْ ﴾ ؟ وهذه الألف للإيجاب والتقرير، يعني : أوَ لست قد آمنت ؟ . ﴿ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ برؤية ما أُحبّ وأشتهي مُشَاهَدَتَه .

قال الحسن[١]: (وكان إبراهيم موقناً بأنَّ الله يُحْيِي الموتى، ولا يكون الخبر عند ابن آدم كالمعاينة) [٢] .

وقال سعيد بن جبير[٣]: ﴿ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾أي :/ لأزداد إيماناً [٤]. **[٢٥]**

قال الله تعالى : ﴿ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ ﴾. قال ابن عبَّاس : (أخذ طاووساً ، ونسراً ، وغراباً ، وديكاً)[٥].

﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾[٦] قال: أكثر أهل اللغة والتفسير: [" أَمِلْهُنَّ إليك، يعني : وَجِّهْهُنَّ إليك، يُقَال : صُرته أَصُوْرُهُ إذا أَمَلْتُهُ] [٧]" [١] .

---

(١) هو : الحسن بن أبي الحسن البصري ، واسم أبيه : يسار ، الأنصاري ، مولاهم، ثقةٌ، فقيهٌ ، فاضلٌ ، مشهورٌ ، وكان يرسل كثيراً ويُدَلّس ، ت ١١٠ هـ ، وقد قارب التسعين .
ابن حجر : التقريب ١/ ١٦٥.

(٢) * ابن الجوزي ، زاد المسير ١/ ٢٧٣ بتحقيق : محمَّد بن عبد الرحمن عبد الله . ط . الأولى ١٤٠٧ هـ ، دار الفكر .
*د . محمد عبد الرحيم ، تفسير الحسن البصري ١/ ١٩٢ ، نشر : دار الحديث بالقاهرة .

(٣) سعيد بن جبير الأسدي مولاهم ، الكوفي ، ثقةٌ ، ثبتٌ ، فقيهٌ .. قُتِلَ بين يديّ الحجاج سنة ٩٥ هـ ، ولم يُكمِل الخمسين . التقريب ١/ ٢٩٢ .

(٤) ابن جرير : جامع البيان ٣/ ٥٢ برقم ٢٩٨٥ .
وانظر الآثار أرقام : ٥٩٧٦ ، ٥٩٧٧ ، ٥٩٨٢ ، ٥٩٨٣.

(٥) * عزاه إليه ابن الجوزي في : زاد المسير ١/ ٢٧٣.

(٦) في الأصل في الحاشية.

(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من طبعة الوسيط التي اعتمدت عليها، وهو موجودٌ في الأصل الخطي له (ق ٩٦ / آ) فلم رقم ٤٤١١ ، محفوظة بقسم المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وقال ابن عبَّاس ، وسعيد بن جبير ، والحسن، ومجاهد : (قَطِّعْهُنَّ، يقال: صَارَ الشيءَ يَصُوْرُهُ إذا قطَّعه) [٢] .

وقرأ حمزة: بكسر الصاد[٣]. قال الأخفش: يقال: صاره يصيرُه إذا قطعه.

وتقدير الآية : خُذْ إليك أربعة من الطير فصرهن .

﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ﴾. قال المفسرون [٤] : أمره الله أن يذبح تلك الطيور، وينتف ريشها، ويقطعَها، ويُفَرّق أجزاءَها، ويخلط ريشها، ودماءها، ولحومها ، بعضها ببعض، ثُمَّ يُجَزِّئهنَّ أربعة أجزاء ، على أربعة أجْبُلٍ[٥]، ففعل ذلك إبراهيم ، وأمسك رؤوسهنَّ عنده، ثُمَّ دعاهُنَّ : تعالين بإذن الله . فجعلنَ[٦] أجزاءُ الطيور تطير بعضها إلى بعض ، ثُمَّ أتته[١]

(١) انظر: الزجَّاج، معاني القرآن ١/ ٣٤٥، وابن جرير:جامع البيان ٣/ ٥٣، وابن الجوزي:زاد المسير ١/ ٢٧٣.

(٢) أخرجه عن ابن عباس ومجاهد : ابن جرير ، جامع البيان ٣/ ٥٥ – ٥٦ برقم ٥٩٩٥ و٥٩٩٦، و٦٠٠١.

وأورده السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٣٥ ، وعزاه لسعيد بن منصور ، وعبد بن حميد ، وابن جرير، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، والبيهقي في الشعب ، من طرقٍ عن ابن عبَّاس .

وأورده من طريق سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، وعزاه لابن جرير ، وابن أبي حاتم

(٣) انظر : ابن الجوزي : النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٣٢ ، نشر : دار الكتب العلمية .

وحمزة هو : ابن حبيب بن عمارة بن إسماعيل ، الإمام الحبر ، أبو عمارة الكوفي ، التيمي مولاهم ، وقيل : من صميمهم، الزيات ، أحد القُرَّاء السبعة ، وُلِدَ سنة ٨٠ هـ وتوفي سنة ١٥٦ هـ ، وقيل : أربعٍ . وقيل : ثمان. ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القُرَّاء ١/ ٢٦١ ، نشر بعناية : ج . بر جستراسر .

(٤) انظر : ابن جرير ، جامع البيان ٣/ ٥٩ – ٦٠ ، وابن الجوزي : زاد المسير ١/ ٢٧٤.

(٥) في الحاشية توجد عبارة : لعلَّه " أجبال " . وكلاهما جائز ، فيجمع " جبل " على " أَجْبُل " و " أجبال ". انظر : اللسان ١١/ ٩٦.

(٦) في " الوسيط " : " فجعلت " ١/ ٣٧٦.

سعياً على / أرجلهنَّ ، وتلقّى كل طائرٍ رأسه ، فـذلك قولـه : ﴿ ثُـمَّ ادْعُهُـنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً ﴾ . [٢٦]

﴿ وَاعْلَم أَنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ ، ﴿ عَزِيـزٌ ﴾ : لا يمتنع عليه ما يُريد .

﴿ حَكِيـمٌ ﴾ فيما يريد ويفعل . انتهى من تفسير الإمـام الواحـدي رحمـه الله [٢] .

[الدليل السادس] :

وقوله عـزَّ وجـلَّ : ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴾ [٣] .

قال الإمام ابن عطية : (يحتمل معنيين ، أحدهما : أنْ يكون خبراً عـن البعث ، أي : كما اخترعنا الخلق أولاً على غير مثال ، فكـذلك نُنْشِـئهم تـارةً أُخرى ، فنبعثهم من القبور .

والثاني : أن يكون خبراً عن أنَّ كل شـخصٍ يُبْعَـث يـوم القيامـة عـلى هيئته التي أُخْرِجَ[٤] بها إلى الدُّنيا .

ويؤيد هذا التأويل أنَّ رسول الله ﷺ قال : ((يُحشر النَّاس يوم القيامـة حُفـاةً ، عُراةً ، غُـرْلاً – أي غير مختـونين – ﴿ كَمَـا بَدَأْنَـا أَوَّلَ خَلْـقٍ نُعِيـدُهُ ﴾ [٥])) [١] الآية .

---

(١) في " الوسيط " : " أتينه ".

(٢) الوسيط ١/ ٣٧٤ – ٣٧٦.

(٣) سورة الأنبياء ، آية : ١٠٤.

(٤) في " المحرَّر " : " خرج ".

(٥) خ : كتاب التفسير ، باب كما بدأنا أول خلقٍ نعيده ٨/ ٤٣٧ ح ٤٧٤٠ من حديث ابن عباس.
م : كتاب الجنة ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر ٤/ ١٩٤ ح ٢٨٦٠ من حديث ابن عباس، وبرقم ٢٨٥٩ من حديث عائشة وليس فيه ذكر الآية.

ومن تفسير الإمام الواحدي رحمه الله : ((قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾ : كما / خلقناكم ابتداءً حُفَاةً ، عراةً ، غرْلاً ، كذلك [٢٧] نعيدكم يوم القيامة .

﴿ وَعْداً عَلَيْنَا ﴾ أي : وعدناه وعداً .

﴿ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِين ﴾ : يعني لإعادة البعث [٢] .

[الدليل السابع] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنْسَان ﴾ [٣] الآية .

يعني : الكافر بالبعث . ﴿ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾ قال ابن عبَّاس: "يريد أبا جهل " [٤]، يقول : أيحسب أَلَّن يُبْعَث .

﴿ بَلَى ﴾ نجمعها ، ﴿ قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّي بَنَانَه ﴾ [٥] على ما كانت وإنْ قَلَّ عظامها وصغرت ، فنردّها كما كانت ونُؤَلّف بينها حتَّى يستوي البنان .

---

(١) المحرَّر الوجيز ١١/ ١٦٩.

(٢) الوسيط ٣/ ٢٥٤ . وانظر مخطوط الوسيط رقم ٤٤١١ بقسم المخطوطات في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . الربع الثالث (ق ٥٥ / آ).

(٣) سورة القيامة ، آية : ٣.

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ١٣٤، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٦١ ط .الأولى ، نشر دار الكتب العلمية .

وذكر البغوي أنَّ الآية نزلت في " عدي بن ربيعة " حليف بني زهرة ، قال : أتى النَّبِيَّ ﷺ فقال : يا محمَّد ، حدّثني عن القيامة متى تكون ؟ وكيف أمرها وحالها ، فأخبره النّبيُّ ﷺ ، فقال : لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ، ولم أؤمن بك ، أَوَ يَجمَع الله العظام ؟ فأنزل الله ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنْسَان ... ﴾ .

معالم التنزيل ٤/ ٤٢١ .

وأشار إلى ذلك أيضاً : ابن الجوزي ، والقرطبي.

(٥) سورة القيامة ، آية : ٤.

ومَنْ قدر على جمع صِغَار العظام كان على جمع كبارها أقدر. وهذا قول الزجَّاج[١]، وابن قتيبة[٢] .

والمفسرون[٣] قالوا : يجعلها كخف البعير ، أو كحافر الدَّابة .

والمعنى : يجعل بنانه مع كفه صفيحةً مستويةً لا شقوق فيها ، فيعدم الارتفاق[٤] بالأعمال اللطيفة ، وكالكتابة ، والخياطة . انتهى من تفسير الإمام الواحدي[٥] .

ومن تفسير ابن عطية رحمه الله تعالى في هذه الآية الكريمة : ﴿أَيَحْسَبُ الإِنْسَان أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى / قَادِرِين عَلَى أَنْ نُسَوّيَ بَنَانَه﴾ . [٢٨]

" هذا تقريرٌ وتوبيخٌ . والإنسان : اسم جنس . وهذه أقوال كانت لكفَّار قريش فعليها[٦] هو الرَّد ، فكأنَّ الكفَّار لَمَّا استبعدوا جمع العظام بعد الفناء، والإرمام، قيل لهم: إنَّما تُجْمَعُ و يُسوَّى أكثرهم تفريقاً[٧]، وأدقها جزءاً[٨]، وهي عظام الأنامل ، ومفاصلها ، وهذا كلّه عند البعث.

---

(١) انظر : معاني القرآن ٥/ ٢٥١.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٣٤٦.

(٣) انظر: ابن جرير: جامع البيان ١٢/ ٣٢٨، ورواه عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضَّحَّاك، وعكرمة .

وانظر : تفسير القرآن ، لعبد الرَّزَّاق بن همام ٢/ ٣٣٣ أخرجه عن ابن عبَّاس ، وقتادة . بتحقيق : مصطفى مسلم ، نشر : مكتبة الرشد . وانظر : الدر المنثور ٨/ ٣٤٣ ، وانظر : زاد المسير ٨/ ١٣٤ .

(٤) أي : الانتفاع . وفي اللسان : يُقَال : أرفقته ، أي : نفعته ... والمَرْفِق من الأمر هو ما ارتفقت وانتفعت به. ١٠/ ١١٨ – ١١٩ .

(٥)الوسيط ٤/ ٣٩٠ – ٣٩١.

(٦) كذا في الأصل ، وفي : " المحرَّر " .

(٧) في " المحرَّر " : " تفرُّقاً ".

(٨) في " المحرَّر " : " أجزاء ".

وقال ابن عبَّاس: ﴿ نُسَوِّيَ بَنَانَه ﴾ في حياته هذه ، بضعةً أو عظماً واحداً كخُفّ البعير لا تفاريق فيه "[١] .

فكأنَّ المعنى : قادرين الآن في الدُّنيا على أن نجعلها دون تَفَرُّق، فتقل منفعته بيده .

قال أبو محمَّد : فكأنَّ التقدير : بل نحن أهل أنْ نجمعها ، قادرين الآن على إزالة منفعته بيده .

والقول الأوَّل أجرى من رصف[٢] الكلام "[٣] . انتهى .

[الدليل الثامن] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ [٤] .

والنشأة الأُخرى هي : إعادة الأجسام إلى الجِدَّةِ بعد البلى في التُّراب[٥] .

.

[الدليل التَّاسع] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [٦] .

---

(١) أخرجه ابن جرير وغيره عن ابن عباس وغيره ، بألفاظٍ مختلفة .
انظر : جامع البيان ١٢/ ٣٢٨ ، وقد تقدَّمت الإشارة إلى ذلك .

(٢) في الأصل : " وصف ".

(٣) المحرَّر الوجيز ١٦/ ١٧٢ – ١٧٣.

(٤) سورة النَّجم ، آية : ٤٧.

(٥) انظر : المحرَّر الوجيز ١٥/ ٢٨٢ – ٢٨٣ ، وفيه : " الحشر " بدل " الجِدَّة ".

(٦) سورة يس ، آية : ٥١.

الأجداث / : القبور . وقوله : ﴿ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴾ أي : يخرجون من قبورهم أحياء ، يقولون : ﴿ يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ﴾ [1] [٢٩]

قال المفسرون[2]: إنَّما يقولون هذا ؛ لأنَّ الله تعالى رفع عنهم العذاب فيما بين النَّفختين ، فيرقدون ، فلمَّا بُعِثُوا في النَّفخة الأُخرى ، وعاينوا القيامة دعوا بالويل . فقالت الملائكة[3] : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَن ﴾ أي على ألسنة الرُّسُل أنَّه يبعثهم بعد الموت . ﴿ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُون ﴾ في وَعْدِ البعثِ."

انتهى من تفسير الإمام الواحدي رحمه الله [4] .

[الدليل العاشر] :

وقوله عزَّ وجلَّ في قِصَّةِ البَقَرَةِ .

من تفسير الإمام ابن عطية رحمه الله ، قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ [5]: آيةٌ مِن الله تعالى على يد موسى عليه السلام ، بأنْ أمرهم أن يضربوا[6] ببعض البقرة القتيل فيحيا، ويخبر بقاتله. وقيل : ضربوا قبره .

---

(١) سورة يس ، آية : ٥٢.

(٢) انظر : ابن جرير : جامع البيان ١٠/ ٤٥٠ – ٤٥١ ، فقد روى عن أُبَيَّ بن كعب ، وقتادة ، ومجاهد ، أنَّهم قالوا : " الرَّقْدَة بين النَّفختين " .

وانظر : الدر المنثور ٧/ ٦٣ . وانظر أيضاً : زاد المسير ٦/ ٢٧٥ ، فقد ورد فيه نص المؤلِّف . وانظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦/ ٥٦٧ .

(٣) هذا قول ، وهو مروي عن الحسن .

وهناك قولٌ آخر ، وهو أنَّ قائل ذلك هم المؤمنون . قال ابن كثير : قاله غير واحد من السلف، ثُمَّ قال : ولا منافاة إذ الجمع ممكن ، والله أعلم . تفسير القرآن العظيم ٦/ ٥٦٨ .

(٤) الوسيط ٣/ ٥١٦.

(٥) سورة البقرة ، آية : ٧٣ .

(٦) في الأصل : " يضربوه " ، والتصويب من " المحرَّر ".

وقال ابن عبَّاس : " إنَّ أمر القتيل وَقَعَ قَبْلَ جواز البحر ، وأنَّهم داموا في طلب البقرة أربعين سنة " [١] .

وقيل : ضربوا القبر باللحمة التي بين الكتفين [٢] .

وقيل: بالفخذ [٣]/ . وقيل: باللسان. وقيل: غير هذا. [٣٠]

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾ : الإشارة بكذلك إلى الإحياء الذي تضَمَّنه قصص الآية. إذ في الكلام حذفٌ ، تقديره : فضربوه فحيي.

وفي هذه الآية : حضٌّ على العِبْرَةِ ، ودلالةٌ على البعثِ في الآخرة .

وظاهرها أنَّها خطاب لبني إسرائيل حين[٤] حكى لمحمَّد عليه السلام[٥] يعتبرُ بها[٦] إلى يومِ القيامة .

ورُوِيَ أنَّ هذا القتيل حَيِي وأخبر بقاتله ، ثُمَّ عاد ميتاً كما كان [٧] .

انتهى [٨] .

قال الله العظيم : ﴿ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللهِ بِعَزِيزٍ ﴾ [٩] أي : بممتنع.

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عبَّاس : " أنَّ أصحاب بقرة بني إسرائيل طلبوها أربعين سنة " . تفسير القرآن العظيم : ق ١ / البقرة : ٢٢٩ برقم ٧٥٥ . بتحقيق : أحمد عبد الله العماري .

(٢) في " المحرَّر " : " قال السُدّي " . وانظر : جامع البيان ١/ ٤٠٣.

(٣) في " المحرَّر " : " وقال مجاهد وقتادة وعبيدة السلماني " . وانظر : جامع البيان ١/ ٤٠٣ .

(٤) في " المحرَّر " : " حينئذٍ ".

(٥) في " المحرَّر " : " صلّى الله عليه وسلَّم " . وهو الأكمل والأولى في حقّه صلَّى الله عليه وسلَّم.

(٦) في " المحرَّر " : " ليعتبر به ".

(٧) رُوِيَ ذلك عن : عكرمة ، ومجاهد ، وقتادة ، والسدّي ، وأبي العالية ، وغيرهم .
انظر : ابن جرير : جامع البيان ١/ ٤٠٣.

(٨) المحرَّر الوجيز ١/ ٢٦٢.

(٩) سورة فاطر ، آية : ١٧.

[الدليل الحادي عشر] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴾ (١) .

الضمير في ﴿ قَالُوا ﴾ لِلكُفَّار الجاحدين البعث من القبور ، المستبعدين لذلك دون حجَّة ولا دليل .

وقوله : ﴿ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ﴾ معناه عندهم لا نُعادُ (٢) ، أعاذنا الله من الكُفْر .

و ﴿ ضَلَلْنَا ﴾ : تلفنا وتَقَطَّعت أوصالنا ، فذهبنا حتَّى لَمْ نوجد . وقولهم: ﴿ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ﴾ أي : إنَّا لفي هذه الحالة نُعادُ و يُجَدَّدُ خَلْقُنَا .

وقوله: ﴿ يَتَوَفَّاكُمْ ﴾ معناه: يستوفيكم. انتهى (٣)/ . [٣١]

[الدليل الثاني عشر] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (٤) .

من تفسير الإمام الواحدي : " قال الحسن ومجاهد : كَمَا بَدَأَكُمْ فخلقكم في الدُّنيا ولم تكونوا شيئاً، كذلك تعودون يوم القيامةِ أحياءً" (٥) .

---

(١) سورة السجدة ، آية : ١٠ .

(٢) في " المحرَّر " : " لنعاد " وليس في الجملة التي بعدها.

(٣) المحرَّر الوجيز ١٣/ ٣٣ – ٣٤

(٤) سورة الأعراف ، آية : ٢٩ . وفي الأصل : " بدأناكم " وهو تحريف.

(٥) انظر : ابن جرير ، جامع البيان ٥/ ٤٦٧ رقم ١٤٥٠٠ ، ١٤٥٠١ .

وهذا القول اختيار الزَّجَّاج ؛ لأنَّه قال : " احتجَّ الله تعالى عليهم في إنكارهم البعث ، فقال : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ أي : فليس بعثكم بأشد من ابتدائكم " [١] .

وقيل : ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ : يُبْعَثُ المؤمن مؤمناً، والكافرُ كافراً[٢]

وقيل : مَن[٣] ابتدأ الله خلقه على الشقاوة صار لِمَا ابتُدِئَ عليه خلقه، وإن عمِلَ بأعمال أهل السعادة ، ومَن ابتدأ خلقه على السعادة صار إلى ما ابتُدِئَ عليه خلقه ، وإن عمل بأعمال أهل الشقاءِ[٤]"[٥]. سبحانه يفعل ما يشاء، لا يُسْئَلُ عمَّا يفعل وهُمْ يُسْئَلون .

[الدليل الثالث عشر] :

وقوله ﷻ : ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [٦] .

من تفسير الإمام الواحدي رحمه الله تعالى : يعني : يوم القيامة .

---

(١) معاني القرآن ٢/ ١٣١.

(٢) انظر : ابن جرير ، جامع البيان ٥/ ٤٦٥ – ٤٦٦ ، أخرجه عن عددٍ من أئمة التفسير . ثُمَّ رجَّح القول الأوَّل فقال : "وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ، القول الذي قاله مَنْ قال : معناه : كما بدأكم الله خلقاً بعد أن لم تكونوا شيئاً ، تعودون بعد فنائكم خلقاً مثله يحشركم إلى يوم القيامة " ٥/ ٤٦٧.

(٣) في الأصل مكررة.

(٤) أخرجه ابن جرير عن محمد بن كعب ، جامع البيان ٥/ ٤٦٦ رقم ١٤٤٨٩ .

(٥) الوسيط ٢/ ٣٦١ مع تقديم وتأخير.

(٦) سورة يس ، آية : ٦٥.

قال المفسرون : " إنَّهم ينكرون / الشرك ، وتكذيب الرُّسل ، و﴿ **قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ** ﴾ [1] ، فختم الله على أفواههم وتكلَّمت جوارحهم بإذن الله تعالى لهم في الكلام ، فشهدت عليهم بما عملوا " [2] . [٣٢]

ومن تفسير الإمام ابن عطية في قوله : ﴿ **ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ** ﴾ الآية ؛ أي : في ذلك اليوم يوم القيامة يكون ذلك .

ورُوِيَ في ذلك [3] المعنى : أنَّ الله تعالى يجعل الكفرة يخاصمون ، فإذا لم يأتوا بشيءٍ تقوم به حجة ، رجعوا إلى الإنكار، فَنَاكَرُوا الملائكةَ فِي الأعمال، فعند ذلك يختم الله تعالى على أفواهِهِم فلا ينطقون بحرف، ويأمر الله تعالى جوارحهم بالشهادة فيشهدون .

وروى عقبة بن عامر [4] عن النَّبِيّ ﷺ : ((**أنَّ أوَّل مايتكلَّم من الكافر فخذه اليُسْرَى**)) [5]. وقال أبو سعيد الخدري: ((**اليمنى ثُمَّ سائر جوارحه**)) [6].

---

(١) سورة الأنعام ، آية : ٢٣.

(٢) الوسيط ٣/ ٥١٨.

(٣) في " المحرَّر " : " هذا ".

(٤) الجهني ، صحابي مشهور ، وَلِيَ إمرة مصر لمعاوية ثلاث سنين ، وكان فقيهاً فاضلاً . مات في قرب الستين . ابن حجر : التقريب ٢/ ٢٧

(٥) أخرجه ابن جرير : جامع البيان ١٠/ ٤٥٨ برقم ٢٩٢١٥ .

* أورده السيوطي في : الدر المنثور ٧/ ٦٨ وعزاه لأحمد ، وابن جرير ، وابن أبي حاتم ، والطبراني.

(٦) أخرج ذلك ابن جرير عن أبي موسى الأشعري . جامع البيان ١٠/ ٤٥٨ رقم ٢٩٢١٢

- وأورده السيوطي في الدر ٧/ ٦٨ وعزاه لابن جرير ، وابن أبي حاتم .
- وأورده السيوطي ، عن الحسن ، وعزاه لعبد بن حميد ٧/ ٦٩.

ورُوِيَ : أنَّ بعض الكفرة يقول يومئذٍ لجوارحه : تّباً لَكِ وسحْقاً ، فَعَنْكِ كُنْت أُماحل . ونحو هذا من المعنى [١] . انتهى [٢] .

ونحو هذا في حديث مسلم في/ الصحيح أوله: (**قالوا : يارسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامه ؟ قال : هل تضارُّون في رؤية الشمس في الظُّهر ليست في سحابةٍ ؟ قالوا : لا ، قال : فهل تضارُّون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابةٍ ؟ قالوا : لا . قال : فو الذي نفسي بيده لا تُضَارُّون في رؤية ربكم إلاَّ كما تضارُّون في رؤية أحدهما. قال : فيلقى العبدَ فيقول : أي فُلُ أَلَمْ أُكْرِمْكَ ، وأُسَوّدْكَ ، وأُزَوّجْكَ ، وأُسَخِّر لك الخيْل والإبل . وأذرك ترأس ، وتربع ؟ ، فيقول : بلى ، فيقول : أي فُلُ : أفظننت أنَّك مُلاَقِيَّ ؟ فيقول : لا ، فيقول : فإني أنساك كما نسيتني .** [٣٣]

ثُمَّ يَلْقَى الثاني : فيقول : أي فُلُ أَلَمْ أُكْرِمْكَ ، و أُسَوّدْكَ ، وأُزَوّجْكَ ، وأُسَخّرْ لَكَ الخَيْلَ والإبِلَ، و أَذَركَ تَرْأَسُ وَ تَرْبَعُ ؟ فيقول : بلى ياربّ . فيقول : أفَظَننت أَنَّك مُلاَقِيَّ ؟ قال : فيقول : لا . فيقول : فإني أنساك كما نسيتني . ثُمَّ يلقى الثَّالث ، فيقول له مثل ذلك ، فيقول : ياربّ آمنت بك، وبكتابِكَ، وبِرُسُلِكَ ، وصَلَّيْتُ، وصُمْتُ، وتَصَدَّقتُ، ويثني بخيرٍ ما استطاع فيقول : ههُنا [٣] إذَن . قال: ثُمَّ يقول : الآن نبعَثُ [٤] شاهِدَنا

---

(١) أخرج هذا المعنى ابن جرير ، جامع البيان ١٠/ ٤٥٨ رقم ٢٩٢١٣ .

صحيح مسلم ح ٢٩٦٩.

(٢) المحرَّر الوجيز ١٣/ ٢١١.

(٣) في الأصل : " أهاهنا " وهو تحريف.

(٤) في الأصل : " يُبْعَثُ ".

عليك ، ويتفكَّر في نفسه/ مَنْ ذا الَّذي يشهد عليَّ ؟ فَيُخْتَمُ على فيه، ويقال [٣٤] لفخذه [ولحمه وعظامه][١] : انطقي ، فينطق فخذه ، ولحمه ، وعظامُه بعمله، وذلك ليعذر من نفسه ، فذلك[٢] المنافق، وكذلك الذي سخط الله عليه)[٣] .

وفي رواية أُخرى عن أنس بن مالك قال : كُنَّا عند رسول الله ﷺ فضحك ، فقال:"هل تدرون مِمَّ[٤] أضحك ؟ قال: قلنا : الله ورسوله أعلم، [قال : مِنْ][٥] مخاطبة العبد ربه ، يقول : يارَبِّ أَلَمْ تُجِرني من الظلم ؟ قال: يقول: بلى . قال : فيقول : فإني لا أجيز على نفسي إلاَّ شاهِداً منّي ، فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً[٦] ، وبالكرام الكاتبين عليك شهوداً شهوداً . قال : فَيُخْتَمُ على فِيهِ ، فيُقَال لأركانه انطقي ، قال : فتنطق بأعماله . قال: ثُمَّ يُخَلَّى بينه وبين الكلام . قال : فيقول : بُعْداً لَكُنَّ وسحقاً فعنْكُنَّ كنتُ أُناضل"[٧].

---

(١) ساقطة في الأصل.

(٢) في صحيح مسلم " وذلك ".

(٣) م / كتاب الزهد والرقائق ٤/ ٢٢٧٩ ح ٢٩٦٨.

(٤) في الأصل : " مما ".

(٥) في الأصل : " إن مخاطبة .. ".

(٦) في الأصل : " كفى بنفسك عليك حسيبا ".

(٧) م/ كتاب الزهد ٤/ ٢٢٨٠ ح ٢٩٦٩.

شرح بعض ألفاظ مشكل هذا الحديث :

قوله ﷺ في الرُّؤيا يوم القيامة لمن ليس له شبيه ولا نظير ولا ند سبحانه وتعالى : " هل تضارُّون ؟ / .وفي أُخرى : هل تضامون" . والأصل فيه من "الضير " والأصل فيه تضيرون . والمعنى : لا يخالف بعضكم بعضاً ، ولا تتنازعون . وقيل : لا يحجب بعضُكم بعضاً في الجدال . ويقال : ضَارَرتُه مَضَارَّة إذا خالفته . [٣٥]

وأمَّا من روى : " لا تُضامُّون " بالميم وتشديدها ، فمعناه : لا ينضَمُّ بعضكم لبعضٍ وقت النظر كما يفعلون بالهلال .

ومَنْ رواه بتخفيف الميم ، فمعناه : لاينالكم ضيم في رؤيته سبحانه ، فيراه بعض دون بعض ، بل يستوون في الرؤية ، انتهى من الإكمال [١] .

أجمع أهل السُّنَّة[٢] على أنَّ الله تعالى يراه المؤمنون في الأخرة كما في كتاب الله ، قال الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [٣] .

قال ابن عبَّاس في رواية عطاء[٤]: " يريد إلى الله تعالى ناضرة " [٥] .

---

(١) قارن بإكمال إكمال المعلم ، لأبي عبدالله محمَّد بن خلفة الإبي ١/ ٣٣٦ نشر : دار الكتب.

(٢) انظر : ابن القيم ، حادي الأرواح ص ٤٠٢ بتحقيق : يوسف علي ، ط . الأولى ١٤١٤هـ.
وانظر : عبدالعزيز الرومي ، دلالة القرآن والأثر على رؤية الله تعالى بالبصر ص ٢٧ . ومقدمة تحقيق "الرؤية " للدار قطني ص ٥٧ تحقيق : إبراهيم العلي ، ط . ١٤١١ هـ

(٣) سورة القيامة ، آية : ٢٢ _ ٢٣.

(٤) ابن أبي رباح ، واسم أبي رباح أسلم القرشي ، مولاهم ، ثقةٌ ، فقيهٌ ، فاضلٌ لكنّه كثير الإرسال ، ت ١١٤ هـ . ابن حجر : التقريب ٢/ ٢٢.

(٥) انظر : ابن الجوزي ، زاد المسير ٨/ ١٣٨. وانظر : السيوطي : الدر المنثور ٤ / ٣٥٠

وقال في رواية الكلبي [١] : " ينظر إلى الله يومئذٍ لا يحجب عنه" [٢] .

وقال مقاتل : " تنظر إلى ربها معاينةً " [٣] .

وقال الحسن : " حق لها أن تَنْضُرَ ، أي تُنَعَّم وهي تنظُر إلى الخالق " [٤].

وقال الزجَّاج : / " نَضُرَتْ بنعيم الجَنَّة والنَّظر إلى ربها ﷻ" [٥]. [٣٦]

وبسنده [٦] إلى النَّبيّ ﷺ قال : ((**إذا دخل أهل الجنَّة الجنَّة ، يقول الله: تريدون تريدون شيئاً أزيدكم ؟ فيقولون : ألَمْ تُبَيِّضْ وجوهنا . ألَمْ تُدخِلنَا الجنَّة ، وتُنَجّنا مِنَ النَّار ؟ قال : فيكْشِفُ الحجابَ ، فَمَا أُعطوا شيئاً أحب إليهم من النَّظَرِ إلى ربهم**)) [٧] .

انتهى من تفسير الإمام الواحدي [٨] .

وقال الغزالي [٩] في عقيدته [١٠] : " سمع موسى كلامه بغير صوت، ولا

ولا

---

(١) محمَّد بن السائب بن بشر الكلبي ، أبو النضر الكوفي ، النسَّابة ، المفسّر ، متهّم بالكذب، ورمي بالرفض ، ت ١٤٦ هـ . ابن حجر : التقريب ٢/ ١٦٣ .

(٢) البغوي : معالم التنزيل ٤/ ٤٢٤ . وانظر : ابن الجوزي : زاد المسير ٨/ ٢٠٣.

(٣) أخرجه بمعناه الدار قطني في الرؤية ص ١٧٢ رقم ٥٨.

(٤) أخرجه ابن جرير ، جامع البيان ١٢/ ٣٤٣ برقم ٣٥٦٥٤ . وانظر : البغوي معالم التنزيل ٤/ ٤٢٤ ، السيوطي : الدر المنثور ٨/ ٣٥٠ ، وابن الجوزي : زاد المسير ٨/ ١٣٨.

(٥) معاني القرآن ٢/ ٢٥٣.

(٦) يريد : " الواحدي " المفسّر.

(٧) م : كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربَّهم سبحانه وتعالى ١/ ١٦٣ ح٢٩٧.

(٨) الوسيط ٤/ ٣٩٣ – ٣٩٤.

(٩) أبو حامد محمَّد بن محمَّد بن أحمد الطوسي الغزالي (٤٥٠ – ٥٠٥ هـ) أحد أئمة الأشاعرة ومصنفيهم ، ندم في آخر عمره على خوضه في علم الكلام ورجع عنه، ترجم له الذهبي ترجمة مطولة ، وذكر ما له وما عليه. انظر : سير أعلام النبلاء ١٩/ ٣٢٢ – ٣٤٦ .

(١٠) انظر : كتاب الأربعين في أصول الدين ص ١٤ ، نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

حرف [١] .

كما يرى الأبرار ذاته من غير جوهرٍ ولا عَرَضٍ " [٢] .

(١) يعتقد الأشاعرة أنَّ كلام الله عزَّ وجلَّ معنىً قائم بالنَّفس ، وأنَّ الله لايتكلَّم بحرفٍ وصوت ، بدعوى أنَّ الصوت إنّما يحدث من انسلال هواء واصطكاك أجرام ، وهذا لا يجوز وجوده من ذات الله تعالى . وأنَّ إثبات الحروف يقتضي التعاقب ، وأنْ يقع بعضها مسبوقاً ببعض ، وكل مسبوق حادث .

والحق أنَّ هذه شبهات واهية ، فإنّه لايلزم من إثبات الصوت أن يكون بهذه الكيفية التي زعموها ، فقد ثبت تكلُّم بعض الجمادات ، وذلك كتسليم الحجر على النبي صلَّى الله عليه وسلَّم ، وتسبيح الحصى في يده ، وحنين الجذع إليه عليه الصلاة والسلام . ولم يكن كلامها انسلال هواء ، واصطكاك أجرام ، وليس لها أدوات كاللسان واللهاة ونحو ذلك. وأمَّا دعوى تعاقب الحروف ولزوم الحدوث ، فإنَّ هذا وإن كان لازماً في كلام المخلوق، فإنَّه ليس بلازم في كلام الخالق ﷻ، فقد جاء أنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول:"قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، نصفها لي، ونصفها لعبدي، ولعبدي ماسأل فإذا قال العبد: الحمد لله رب العالمين، قال: حمدني عبدي....". أخرجه مسلم برقم ٣٩٥ . والله عزَّ وجلَّ يقول هذا لكل مصلٍ ، والناس يُصَلُّون في ساعةٍ واحدة ، والله تعالى يقول لكّل منهم هذا . فلم يلزم التعاقب .

انظر : درء التعارض لشيخ الإسلام ابن تيمية ٤/ ١٢٩ ، والسجزي : رسالته إلى أهل زبيد ص ١٦٨

وقول الغزالي : " سمع موسى كلامه بغير صوت ....." يحتاج إلى دليلٍ يثبت أنَّ غير الصوت يُسمع ، لأنَّ استماع البشر لا يقع إلاَّ للصوت . وقد انفرد الغزالي من بين الأشاعرة بدعواه هذه . والمعروف عنهم أنّهم يقولون : " إنَّ الله أفهم موسى كلامه " . وهو إن كان خلاف الصواب ، إلاَّ أنَّ قول الغزالي أشد نكارة منه .

ومذهب أهل السُّنَّة والجماعة في كلام الله عزَّ وجلَّ هو ما دلَّت عليه النصوص من تكلُّم الله ﷻ بحرفٍ وصوتٍ يُسمع، كما جاء في قوله تعالى { فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ } قال الإمام أبو نصر السجزي:

"وما سمع مستجير قط إلاَّ كلاماً ذا حروفٍ وأصوات" .

انظر رسالته إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت ص ١٥٤ .

وقال صلَّى الله عليه وسلَّم : (يحشر الله النَّاس يوم القيامة عُرَاة ، حُفاة ، بُهْماً ، فيناديهم بصوتٍ يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب : أنا الملك ، أنا الديَّان) . ذكره البخاري تعليقاً ١٣/ ٤٥٣ . وأخرجه الإمام أحمد ٣/ ٤٩٥ ، وصحَّحه الألباني في تخريج السنة لابن أبي عاصم ١/ ٢٢٥ .

(٢) قوله : " من غير جوهر ولا عَرَض " هذه ألفاظ لم ترد في الكتاب ولا في السنة إثباتاً ولا نفياً، فلا فلا تثبت ولا تنفى ، حتى يعرف مقصود قائلها ، فإن كان حقاً قُبِلَ ، وعبر عنه بالألفاظ المشروعة

ومن تفسير الإمام ابن عطية رحمه الله تعالى في قوله عزَّ وجلَّ حاكياً عن موسى : ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾ [١] : والمعنى أنَّه لَمَّا كلَّمه الله تعالى وخصَّه بهذه المرتبة، طمحَت همَّته إلى رُتْبةِ الرُّؤْية ، وتشوَّق إلى ذلك ، فسأل ربه أَنْ يُريَه نفسه . قاله السُّدّي[٢]، وأبوبكر الهذلي [٣]. [٤]

الواردة، وإن كان باطلاً رُدَّ . والمعروف عن الأشاعرة أنَّهم يثبتون رؤية الله في الآخرة من غير مقابلة ، أو لا في جهة . وهو مذهب باطل لمخالفته النصوص الصحيحة الدالة على رؤية المؤمنين ربهم ، وجاء في بعضها التصريح بأنَّهم يرونه من فوقهم.

قال الإمام ابن القيم بعد سرده أحاديث الرؤية : " قد دلَّ القرآن والسُّنَّة المتواترة، وإجماع الصحابة ، وأئمة الإسلام ، أهل الحديث ، عصابة الإسلام ، ونُزُل الإيمان ، وخاصَّة رسول الله ﷺ على أنَّ الله سبحانه وتعالى يُرى يوم القيامة بالإبصار عياناً كما يُرى القمر ليلة البدر صحواً ، وكما تُرى الشمس في الظهيرة ، فإن كان لما أخبر الله ورسوله عنه من ذلك حقيقة ، وإنَّ له والله حق الحقيقة ، فلا يمكن أنْ يروه إلاَّ من فوقهم لاستحالة أن يروه من أسفل منهم أو خلفهم أو أمامهم أو عن يمينهم أو عن شمالهم .... " . حادي الأرواح ص ٤٧٦ ، طبعة دار التراث ١٤١١هـ

(١) سورة الأعراف ، آية : ١٤٣.

(٢) السُّدّي ، إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السُدّي _ بضم المهملة وتشديد الدال ، أبو محمَّد الكوفي ، صدوقٌ يهم ، رُمِيَ بالتشيُّع ، وهو صاحب التفسير ، أصله حجازي ، روى عن ابن عباس ، وأنس ، وطائفة ، مات ١٢٧ أو ١٢٨ هـ . انظر ترجمته لدى : ابن حجر ، التقريب ١/ ٧١ ، والداودي : طبقات المفسرين ١/١٠٩.

(٣) أبوبكر الهذلي ، قيل اسمه : سُلْمَى _ بضم المهملة _ ابن عبدالله ، وقيل : رَوْح ، إخباري، متروك الحديث، ت ١٦٧ هـ . ابن حجر : تقريب ٢/ ٤٠١.

(٤) أخرجه ابن جرير : جامع البيان ٦/ ٥٠ ، عن السُدّي برقم ١٥٠٨٣ ، وعن أبي بكر الهذلي برقم ١٥٠٨٥.

وقال الربيع : " ﴿ قَرَّبْناه نَجِيًا ﴾ [١] حتَّى سمع صريف القلم [٢]" [٣].

ورؤية الله عزَّ وجلَّ عند / الأشعرية [٤]، وأهل السُّنَّة جائزة عقلاً ؛ لأَنَّ مِـنْ [٣٧] حيث هو موجود تصـح رؤيتـه [٥] ، قـالوا : لأنَّ الرؤيـة للشيـء لا تتعلَّـق بصفةٍ من صفاته أكثـر مـن الوجـود ، إلاَّ أنَّ الشر ـيعة قـرَّرت رؤيـة الله في

---

(١) سورة مريم ، آية : ٥٢.

(٢) في " المحرر " : " الأقلام " ، وعند ابن جرير : " القلم " ، كما أثبته المؤلّف.

(٣) أخرجه ابن جرير ، جامع البيان رقم ١٥٠٨٣.

(٤) الأشعرية ، نسبة إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ، وكان في أول أمره على مذهب المعتزلة ، ثم تركه ومال إلى مذهب ابن كلاب ، ثم انتقل أخيراً إلى مذهب السلف . والمنتسبون إليه ، إنما هم على مذهبه الكلابي الذي انتقل إليه بعد تركه الاعتزال .

انظر : الشهرستاني ، الملل والنحل : ١/ ٩٤ ، وغالب عواجي ، فرق معاصرة : ٢/ ٨٥٣ ، ط الأولى ١٤١٤ هـ .

(٥) يعتمد الأشاعرة على دليل الوجود في تجويز رؤية الباري عزَّ وجلَّ ، فيقولون : "الدليل على جواز الرؤية عقلاً : أنَّ الرب سبحانه موجود ، وكل موجود مرئي" هذا نص كلام الجويني في لمع الأدلة ص ١١٥ .

وهذا الدليل لم يسلم من الاعتراضات ، سواء من منكري الرؤية أو مثبتيها ، بل إنَّ الرازي ، وهو من أئمة الأشاعرة المعروفين ، أورد على هذا الدليل اثني عشر اعتراضاً على شكل أسئلة ، اعترف بالعجز عن الجواب عنها ، وارتضى أخيراً أنَّه لا يثبت صحة رؤية الله تعالى بالدليل العقلي ، بل يتمسك في هذه المسألة بظواهر القرآن والحديث . وانظر : تفصيل كلامه في " الأربعين في أصول الدين ص ١٩٧ – ١٩٨ " .

وقال في كتابه " أصول الدين " ص ٦٨ بعد أن ذكر استدلال أصحابه على الرؤية بالوجود، وأنَّ الله تعالى موجود فوجب القول بصحة رؤيته قال : وهذا عندي ضعيف ... ثُمَّ قال : والمختار عندنا أنْ نقول : الدلائل السمعية دالَّة على حصول الرؤية".

الآخرة نصّاً، ومنعت مِن ذلك في الدُّنيا بظواهر من الشرع[١] ؛ فموسى عليه السلام لم يسأل ربَّه مُحالاً ، وإنَّما سأل موسى جائزاً[٢].

وقوله تعالى : ﴿ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ ﴾ [٣] الآية ، ليس بجواب مِنْ سأل مُحالاً ، وقد قال تعالى لنوح : ﴿ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [٤] . فلو سأل موسى مُحالاً لكان في الجواب زجرٌ ما ، وتبيين .

وقوله تعالى : ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ نَصٌّ من الله عزَّ وجلَّ على منعه الرؤية في الدُّنْيا ، و ﴿ لَن ﴾ تنفي الفعل المستقبل ، ولو بقينا من هذا النَّفي بمجرده لقضينا أنَّه لا يراه موسى أبداً ولا في الآخرة [٥] .

لكن ورد مِنْ جِهَةٍ أخرى بالحديث المتواتر[٦] ، أنَّ أهل الإيمان يرون الله تعالى يوم القيامة ، فموسى عليه السلام أحرى برؤيته/ . [٣٨]

---

(١) من أصح النُّصوص وأصرحها في ذلك قوله صلَّى الله عليه وسلَّم : (تعلموا أنَّه لن يرى أحد منكم ربه عزَّ وجلَّ حتَّى يموت) . أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٤٥ كتاب الفتن ، باب ذكر ابن صياد.

(٢) ليست في " المحرَّر ".

(٣) سورة الأعراف ، آية : ١٤٣.

(٤) سورة هود ، آية : ١٤٦.

(٥) الصحيح أن النفي بـ (لن) لا يفيد التأبيد حتى لو اقترنت بلفظ التأبيد ، فكيف إذا خلت عنه ، وقد قال جل وعلا عن الكفار " ولن يتمنوه أبداً " ، ثُمَّ أخبر أنهم تمنوه في الآخرة ، فقال : " ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك " ، فدل على أن لن لا تفيد التأبيد .

وقال ابن مالك : ومن رأى النفي بلن مؤبداً فقوله اردد وخلافه اعضدا. انظر : الكافية له.

(٦) نص على تواترها الإمام ابن القيم ، وعَدَّ أكثر من اثنين وعشرين صحابياً رووها عن رسول الله ﷺ . انظر : حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٤١٦ . بتحقيق : يوسف بديوي ، نشر مكتبة التراث . وأيضا : نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني ص ١٥٣ .

وقال مجاهد وغيره : " إنَّ الله عزَّ وجلَّ قال لـه : يـا موسـى لَـنْ تـراني ، ولكن سأتجلَّى للجبل الذي هو أقـوى منـك وأشـد ، فـإن اسـتقرَّ ، وأطـاق الصبر لهيبتي ، فستُمْكِنُكَ أنت رؤيتي " (١).

قال أبو محمَّد : فعلى هذا إنما جعل الله الجبل مثالاً .

وقالت فرقـة : " إنَّـما المعنـى : سـأتبدَّى لـك عـلى الجبـل ، فـإنِ اسـتقرَّ لعظمتي فسوف تراني " (٢) .

وقوله : (وأذرك ترأسُ وترْبَعُ ، وقيل : تَرْتَع بالتَّـاء مـن فوقهـا) قيـل : معنى " تربع " : تأخذ المرباع الذي كانت تأخذه الملوك .

ويظهر لي أنْ أَوْجَه معانيه أن يكـون معنـاه : تتـودع الانتجـاع إلى نجعـة وطلب ، من قولهم : أربع على نفسك ، أي : ارفق بها واثبُتْ ، وبه فُسّر قوله عليه السلام : " غَيْثاً مربعاً " (٣)

وأمَّا عـلى الروايـة الأُخـرى ، فمعنـى (ترتـع) : تـنعم ، وقـد اختلـف المفسرون في قوله تعالى : ﴿ يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾ (٤) ، فقيـل : نأكـل . وقيـل: نَلْهُ. وقيل : نسعى وننبسط . وقيل : نكون في خصب وسعة .

وقال الهروي : المَرْتَع : الاتساع والخصب .

وهذه / المعاني كلها ممكنة في هذا الحديث. [٣٩]

---

(١) انظر : السيوطي ، الدر المنثور ٣/ ٥٤٤ ، وعزاه لعبد بن حميد ، مختصراً.

(٢) المحرَّر الوجيز ٧/ ١٥٤ – ١٥٥.

(٣) انظر : النهاية في غريب الحديث ٢/ ١٨٨.

(٤) سورة يوسف ، آية : ١٣.

وقوله : (أي فُلُ) : منادى مُرَخَّم ، أي : فلان ، وقيل : فُلُ ، لغةٌ : مثل: فلان [١].

وقوله : (فإني أنساك كما نسيتني) ، مثل قوله تعالى : ﴿ **نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ** ﴾ [٢] ، من مجانسة اللفظ ، والمجازاة على فعلهم ، أي: جازاهم على نسيانهم . والنسيان : هو امتناع من فعل ما نسي ، فهو من الله : يمنعهم الرحمة والخير الكثير[٣] .

وقوله في الثالث : المُدَّعي فعل الخير : " فيقول ها هنا " : اثبت مكانك .

وقوله بعد هذا : " إذن " ، كذا عند الأسدي ، وعند بعضهم عن ابن الحذَّاء : (أُذْن) . والأول أصح وأشبه بالمعنى ، أي إذا جئت بهذه الدعوى، فقف مكانك واثبت إِذَنْ ، حتَّى تَفْتَضِحَ في دعواك ، وسقطت هذه اللفظة جملةً عند الصدفي[٤] .

وقوله : " ويقال لأركانه انطقي ". قال الإمام _ ابن عطية _ : أي : نواحيه ، وركن الجبل وغيره ناحيته .

---

(١) سورة التوبة ، آية : ٦٧.

(٢) انظر : لسان العرب : ١١/ ٥٣٣.

(٣) فسر السلف النسيان من قبل الله تعالى بالترك . قال الإمام أحمد بن حنبل في قوله عزَّ وجلَّ : " فاليوم ننساكم " : فيقول : نترككم في النار : الرد على الجهمية ص ١٠٠ . وانظر أيضاً تفسير ابن جرير ٦/ ٤١١.

(٤) أبو علي الحسين بن محمَّد بن سكرة الصدفي الأندلسي ، خرَّج له القاضي عياض مشيخةً وأكثر عنه ، برع في الحديث متناً وإسناداً مع حسن الخط والضبط . ت ٥١٤ هـ.

ويوضع الركن أيضاً موضع العشيرة والقوة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ ﴾ (١) أي : إلى عز العشيرة/ . [٤٠]

قال القاضي : المراد هنا بالأركان : الجوارح .

وقوله : " عنْكُنَّ كُنت أُناضِل " أي : أدافع ، وأجادل ، يقال : فلان يُنَاضِل عن فلان ، إذا تكلَّم عنه بعذرٍ ودفع عنه .

وأصله من المناضلة ، وهو : الرمي بالسهم . انتهى من الإكمال (٢) .

[الدليل الرابع عشر] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ (٣) .

قال الإمام الواحدي في تفسير القرآن : " نَبَّه تعالى على عظم قدرته بقوله: ﴿ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ مع عظمها ، وكثرة أجزائها ، ووقوفها من غير عمد ، وجريان الأفلاك بالكواكب من غير سبب ، أعظم في النَّفس ، وأهول في الصدور (٤) من خَلْقِ النَّاس، وإنْ كان عظيماً ، بالحواس المهيئات (٥) للإدراك .

---

(١) سورة هود ، آية : ٨٠.

(٢) انظر : إكمال أكمال المعلم للأبي ٧/ ٢٩٠.

(٣) سورة غافر ، آية : ٥٧.

(٤) في " الوسيط " : " الصدر ".

(٥) في " الوسيط " : " المهيأة " .

﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ : يعني : الكُفَّار حين لا يستدلون على توحيد خالقها " (١) .

ومن تفسير الإمام ابن عطية رحمه الله تعالى : ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾ الآية / : " الآية توبيخ لهؤلاء الكَفَرَةِ [٤١] المتكبرين(٢)، كأنَّه قال : مخلوقات الله أكبر وأجل قدراً من خلق البشر، فما لأحد منهم يتكبر (٣) على خالقه _ سبحانه _ .

ويحتمل أنْ يكون الكلام في معنى البعث والإعادة ، فأعلم الله تعالى أنَّ الذي خلق السموات "والأرض"(٤) قويٌّ قادرٌ على خلق الَّناس تارةً أُخْرى". انتهى (٥) .

[الدليل الخامس عشر] :

قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ (٦) .

من تفسير الإمام ابن عطية : " فمعنى الكلام ؛ قال الطبري(٧) : هو تقرير للنَّبيّ عليه السلام على حسابه أنَّ أصحاب الكهف كانوا عجباً،

---

(١) الوسيط ٤/ ١٩ .

(٢) في الأصل : " المذكورين ".

(٣) في الأصل : " ينكر ".

(٤) من المحرَّر ، وليست في الأصل.

(٥) المحرَّر الوجيز : ١٤ / ١٤٩.

(٦) سورة الكهف ، آية : ٩.

(٧) إمام المفسرين ، أبو جعفر محمَّد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠ هـ) . كان أحد أئمة العلماء ،

بمعنى إنكار ذلك عليه ، أي لا تُعَظِّمْ ذلك بحسب ما عَظَّمَهُ عليك السائلونَ من الكفرة ، فإنَّ سائر آيات الله أعظَمُ من قِصَّتِهِم وأشنع [١] ، وهو قول ابن عبَّاس ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن إسحاق [٢][٣]" . [٤]

[الدليل السادس عشر] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ (١٧٢) ﴾ [٥] . **[٤٢]**

من تفسير الإمام ابن عطية : (التقدير : واذكر إذ أخذ ، وقوله: ﴿ ظُهُورِهِمْ ﴾ قال النُّحاة : هو بدل اشْتِمَال من قوله : ﴿ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ . وألفاظ هذه الآية تقتضي أنَّ الأخذ إنَّما كان من بني آدم من ظهورهم، وليس لآدم في الآية ذكر بحسب اللفظة . وتواترت الأحاديث في تفسير

يُحْكَم بقوله ، ويُرْجَع إلى رأيه ، لمعرفته وفضله ، وقد جمع من العلوم مالم يشاركه فيه أحد من أهل عصره ، وكان حافظاً لكتاب الله ، عالماً بالقراءات ، بصيراً بالمعاني، فقيهاً في أحكام القرآن ، عالماً بالسنن . الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ٢/ ١٦٢ .

(١) انظر : المحرر ١٠/ ٣٦٧.

(٢) ابن إسحاق ، هو محمَّد بن إسحاق بن يسار ، أبوبكر ، المطلبي مولاهم ، إمام المغازي ، صدوق يدلّس ، ورُمِيَ بالتشيُّع والقدر . ت ١٥٠ هـ ، وقيل : بعدها . ابن حجر : تقريب ٢/ ١٤٤ .

(٣) أخرجه عن هؤلاء ابن جرير في جامع البيان ٨/ ١٧٩ – ١٨٠ . الآثار أرقام ٣٢٨٨٦ – ٣٢٨٨٩.

(٤) المحرر الوجيز ١٠ / ٣٦٧.

(٥) سورة الأعراف ، آية : ١٧٢.

هذه الآية عن النَّبِيّ ﷺ من طريق عمر بن الخطَّاب (١) وعبد الله ابن عبَّاس (٢) .

وغيرهما : (أنَّ الله عزَّ وجلَّ لَمَّا خلق آدم ، وفي بعض الروايات : لَمَّا أهبطه إلى الأرض في دهناء من أرض الهند(٣) ، وقاله ابن عبَّاس(٤) ، وفي بعضها أنَّ ذلك " بنَعْمَانَ " (٥) وهي عَرَفَةُ وما يليها ، قاله أيضاً

(١) حديث عمر رضي الله عنه ، مخرَّجٌ في :
ط : ص ٨٩٩ ، كتاب القدر ، باب النهي عن القول بالقدر ، ح ٢ .
د : كتاب السنة ، باب في القدر ٥/ ٧٩ ح ٤٧٠٣ .
ت : كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الأعراف ٥/ ٢٦٦ ح ٣٠٧٥ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن . ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر ، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلاً مجهولاً . وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة ١/ ٨٧ رقم ١٩٦ .
وقال الشيخ الألباني : إسناده ضعيف لانقطاعه بين مسلم بن يسار وعمر ، وبينهما رجل يدعى نعيم بن ربيعة الأودي ، وهو مجهول . * ابن جرير : جامع البيان ٦/ ١١٢ ح ١٥٣٦٨ .
(٢) حديث ابن عباس رضي الله عنهما مُخَرَّجٌ في :
*حـم : ١/ ٢٧٢ .
* الحاكم : ٢/ ٥٤٤ كتاب التاريخ ، ذكر آدم عليه السلام ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه ، وقال الذهبي : صحيح .
* البيهقي : في الأسماء والصفات ١/ ٥١٨ رقم ٤٤١ باب إسماع الرب جلَّ ثناؤه كلامه من شاء من ملائكته ورسله وعباده . وقال محققه : " رجاله كلهم ثقات ، لكن الصواب وقفه " .
وقال الشيخ الألباني عقب نقله كلام ابن كثير في وقفه : " قلت هو كما قال رحمه الله تعالى ، ولكن ذلك لا يعني أنَّ الحديث لا يصح مرفوعاً وذلك لأنَّ الموقوف في حكم المرفوع لسببين :
الأوَّل : إنَّه في تفسير القرآن ، وما كان كذلك فهو في حكم المرفوع ...
والآخر : أنَّ له شواهد مرفوعة عن النبي ﷺ عن جمعٍ من الصحابة . (الصحيحة ٤/ ١٥٩ ح١٦٢٣) .
(٣) في المحرَّر : " السند " ، وهو تحريف.
(٤) أخرجه عنه ابن جرير : جامع البيان ٦/ ١١٠ ح ١٥٣٥٣.
(٥) نَعْمَانُ : بالفتح ثُمَّ السكون وآخره نون ، هو فعلان من نعمة العيش ، وهو غضارته وحسنه، وهو

ابن عبَّاس [١] وغيره ، مسح على ظهره ، وفي بعض الروايات : بيمينه [٢]، وفي بعض الروايات : ضرب منكَبه [٣] ، فاستخرج منها أي من المسحة ، أو من[٤] الضربة ، نسم بنيه ، ففي بعض الروايات : كالذَّر ، وفي بعضها : كالخردل) [٥] .

وقال محمد بن كعب : إنَّها الأرواح جُعِلَت لها مِثالات[٦] .

وروى عبد الله بن عمر عن النَّبِيّ ﷺ أنَّه / قال : " أُخِذُوا من ظهره كما [٤٣] يؤخذ بالمشط من الرأس" [٧]، وجعل الله تعالى لهم عقولاً كنملة سليمان، وأخذ عليهم العهد بأنَّه ربهم وأنْ لا إله غيره. فأقّرُّوا بذلك والتزموه، وأعلمهم أنَّه سيبعث الرُّسل إليهم مذكِّرة وداعيةً، فشهد بعضهم على بعض .

وهو نعمان الأراك ، وهو وادٍ يُنْبِتُه ويصب إلى ودّان ، بلد غزاه النَّبِيُّ ﷺ . وهو بين مكّة والطَّائف ، وقيل : وادٍ لهذيل على ليلتين من عرفات ... (الحموي : معجم البلدان ٥/ ٢٩٣ ، دار صادر).

(١) تقدَّم تخريج رواية ابن عبَّاس . انظر ص (١١٧) .

(٢) ورد ذكر المسح على ظهر آدم بيمينه في حديث عمر ، وتقدَّم تخريجه في ص ١١٦ .

(٣) انظر : ابن جرير ، جامع البيان ٦/ ١١٣ رقم ١٥٣٧٣ .

(٤) ابن منده : الردّ على الجهمية ص ٦٣ ، بتحقيق د. علي بن محمَّد ناصر فقيهي .
وانظر : الدر المنثور ٣/ ٦٠٥ – ٦٠٦ .

(٥) " من " : من " المحرَّر " .

(٦) * ابن جرير : جامع البيان ٦/ ١١٦ رقم ١٥٣٨٧
* السيوطي : الدر المنثور ٣/ ٥٩٩ ، وعزاه لابن أبي شيبة .

(٧) * ابن جرير : المصدر السابق ٦/ ١١٢ رقم ١٥٣٦٥ .
* السيوطي : الدر ٣/ ١٠٦ وعزاه لابن جرير ، وابن منده في الرد على الجهمية .
* ابن منده : الرد على الجهمية ص ٦٣ بتحقيق د. علي بن محمَّد ناصر فقيهي.

قال أُبَيّ بن كعب : " وأشهد عليهم السماوات السبع فليس من أحدٍ يولد إلى يوم القيامة ، إلاَّ وقد أُخِذَ عليه العهدُ في ذَلِكَ اليومِ والمقامِ " [١]. قال السُّدّي: " أعطى الكفار العهدَ يومئذٍ كارهين على جهة التقية " [٢].

قال أبو محمَّد : هذه نَخِيلَةُ مجموع الروايات المطولة ، وكأنَّ ألفاظ هذه الأحاديث لا تَلْتَئِم مع ألفاظ الآية .

وقد أكثر النَّاس في رَوْمِ الجمع بينهما ، فقال قوم : إنَّ الآية مُشِيرةٌ إلى هذا التناسل الذي في الدنيا ، وأخذ [بمعنى أوجد] [٣] على المعهود ، وأنَّ الإشهاد هو " عند " [٤] بلوغ المكلّف ، وهو قد أُعْطِيَ الفهم ، ونصبت له هذه الصنعةُ الدَّالّةُ على الصانع .

ونحا إلى هذا المعنى الزجَّاج[٥]، وهو معنى تحتمله الألفاظ ، لكن يَرُدُّ عليه تفسير عمر بن الخطَّاب / ﷺ ، وابن عباس ، الآية بالحديث المذكور ، [٤٤] "وروايتهما " [٦] ذلك عن النَّبِيّ ﷺ ، واليمين عبارة عن القُدْرة [٧] .

---

(١) * ابن جرير : جامع البيان ٦/ ١١٤ رقم ١٥٣٧٤ .
* السيوطي : الدر ٣/ ٦٠٠ ..

(٢) * أخرجه ابن جرير : جامع البيان ٦/ ١١٥ رقم ١٥٣٨٣.

(٣) من " المحرَّر ".

(٤) " عند " ساقطة من الأصل ، والتصويب من " المحرَّر ".

(٥) انظر : معاني القرآن له ٢/ ٣٩٠.

(٦) من " المحرَّر ".

(٧) هذا من صاحب المحرر ، والمؤلف جرياً على منهج أهل الكلام في تأويل اليد ، بالقدرة ، وهو تأويلٌ فاسدٌ، لأنه صرف للفظ على ظاهره بدون دليل . ومذهب أهل السُّنَّة والجماعة إثبات ما أثبته

ورُوِيَ في قَصَصِ هذه الآية : أنَّ الأنبياء عليهم السلام كانوا بين تلك النّسم أمثال السُّرُج، وأنَّ آدم عليه السلام رأى داود عليه السلام ، فأعجبه، فقال: مَنْ هذا ؟ فقيل له : نبي من ذُرِّيّتك ، فقال : كَمْ عمره ؟ فقيل : ستون سنة . فقال : أزيده من عمري أربعين سنة ، فزيدت له .

قيل : وكان عُمْرُ آدم عليه السلام ألف سنة ، فلـمَّا أكمل تسعمائة سنة وستين ، جاءه مَلَك الموت ، فقال آدم عليه السلام : بقي لي أربعون سنةً ، فرجع مَلَك الموت إلى ربه ، فأخبره ، فقال له : قُل له : إنَّك أعطيتها لابنك داود ، فتوفي بعد أن خاصم في الأربعين[1].

قال الضَّحَّاك بن مزاحم : " مَنْ مات صغيراً فهو على العهد الأوَّل، ومن بلغ، فقد أخذه العهد الثاني" [2]، يريد الذي في هذه الحياة المعقولة الآن.

وقوله : ﴿ شَهِدْنَا ﴾ يحتمل أن يكون من قول بعض النّسَم لبعضٍ، أي شهدنا عليكم لئلاَّ / تقولوا يوم القيامة غفلنا عن معرفة الله والإيمان به، [٤٥] فتكون مقالة من هؤلاء لهؤلاء ، ذكره الطبري[3]، وعلى هذا [لا][4] يحسن الوقوف على قوله : ﴿ بَلَىٰ ﴾ .

الله لنفسه ، أو أثبته له رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم على الوجه اللائق بذاته عزّ وجلَّ من غير تحريف ولا تعطيل ، ولا تمثيل ، ولا تكييف.

(١) انظر : ابن جرير : جامع البيان ٦/ ١١٤– ١١٥ رقم ١٥٣٧٥ – ١٥٣٧٦ .
والسيوطي : الدر المنثور ٣/ ٦٠٣ .

(٢) * ابن جرير : جامع البيان ٦/ ١١١ رقم ١٥٣٦٣ ، بلفظٍ أتَمّ منه .
* السيوطي : الدر ٣/ ٦٠٢ .

(٣) انظر : جامع البيان ٦/ ١١٧.

(٤) " لا " : ساقطة من الأصل ، والتصويب من " المحرَّر ".

ويحتمل أن يكون قوله ﴿ شَهِدْنَآ ﴾ من قول الملائكة ، فيحسُنَ الوقوف على قوله : ﴿ بَلَىٰ ﴾ .

قال السُّدّي : " [المعنى] [1]: قال الله وملائكته شهدنا " [2]. ورواه عبدالله بن عمرو عن النَّبِيِّ ﷺ [3] .

قال القاضي أبو محمَّد : المعنى في هذه الآية أنَّ الكَفَرَةَ لَوْ لم يؤخذ عليهم عهد ، ولا جاءهم رسولٌ مُذَكِّرٌ بما تَضَمَّنَه العهدُ بتوحيدِ الله وبعبادته ، لكانت لهم حُجَّتَان :

إحداهما : كُنَّا غافلين .

والأخرى : كُنَّا تبعاً لأسلافنا ، فكيف نَهْلِكُ والذنب إنَّما هو لِمَنْ طَرَّقَ لنا وأَضَلَّنا ، فوقعت[4] شهادةُ بعضهم على بعض ، أو شهادة الملائكة[5] عليهم لتنقطع هذه الحجج . انتهى [6] .

ومن تفسير الإمام الواحدي رحمه الله : قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ﴾ أي : من ظهور بني آدم .

---

(١) من المحرَّر.

(٢) ابن جرير : جامع البيان ٦/ ١١٧ ، وانظر رقم ١٥٣٨٤.

(٣) أخرجه ابن جرير : جامع البيان ٦/ ١١٢ رقم ١٥٣٦٥ . وقال في ص ١١٧ : " ولا أعلمه صحيحا " .

وفي الأصل والمحرر " عبد الله بن عمر " ، والتصويب من ابن جرير.

(٤) في الأصل : " فهو نعت " ، والتصويب من " المحرّر ".

(٥) في الأصل مكرَّرة.

(٦) المحرَّر الوجيز ٧/ ١٩٨ – ٢٠٣.

وقال الكتاني: إنَّما / هو ظهرُ آدمَ، وإنَّما خرجوا جميعاً من ظهـره ، لأنَّ الله [٤٦] تعالى أخرج ذرية آدم عليه السلام بعضهم من بعض على نحـو مـا يتولَّـد[1] الأبنـاء من الآباء، فاستغنى عن ذكر[2] ظهر آدم[3] لَّمَّا علم أنَّهم كلهـم بنـوه ، وأُخْرِجُوا من ظهره .

قال ابن عباس في رواية [سعيد بن][4] جبير : " لَّمَّا خلـق الله تعـالى آدم ، مسح ظهره ، وأخرج من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، فقال: ألست بربكم ؟ قالوا : بلى . فَنُودِيَ يومئذٍ : أنَّ القلم جَفَّ بـما هـو كـائن إلى يوم القيامة " [5] .

وقال مقاتل: " إنَّ الله تعالى مسح صفحة ظهـره اليمنـى ، فـأخرج منـه ذريـةً كهيئة الذَرّ ، يتحرَّكون ، ثُمَّ مسـح صـفحة ظهـره اليسرـى ، فـأخرج منـه ذُرّيـةً سوداء كهيئة الذَّر، فقال: يا آدم هذه ذُرِّيَّتك، ثُمَّ قال لهم : ألست بربكم ؟ قـالوا : بلى. فقال للبِيض : هؤلاء في الجنَّة برحمتي، وهم أصحاب اليمـين، وإلى السـود: هؤلاء في النَّار ولا أُبالي، وهم أصحاب الشمال، ثُمَّ أعادهم جميعاً في صُلْبِهِ .

---

(١) في " الوسيط " : " يتوالد ".

(٢) في الأصل : " فليستغني " ، وما أثبت من " الوسيط ".

(٣) في " الوسيط " ، وساقطة من الأصل.

(٤) من " الوسيط " ، وساقطة من الأصل.

(٥) * أخرجه ابن جرير ، جامع البيان ٦/ ١١١ رقم ١٥٣٥٨ .

* أورده السيوطي في " الدر " ٣/ ٥٩٨ ، وعزاه لابن المنذر .

فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق/ كُلُّهم من أصلاب [٤٧] الرجال وأرحام النساء "(١).

قال الله تعالى فيمن نقض العهد الأوَّل : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ﴾ (٢)، وهذا قول جماعة من المفسرين (٣).

وقال الله ﷻ : ﴿ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾ (٤) فمستَقَرّ في أرحام النساء، ومستودع في أصلاب الرجال(٥). فسبحان العليم بكل شيء، والقادر على كل شيء.

وقالت طائفةٌ منهم : إنَّ أهل السعادة من الذُّرِّيَّة أقرُّوا طوعاً ، وإنَّ أهل الشقاء أقرُّوا تُقْيَةً وكَرْهاً (٦). وذلك معنى قوله تعالى : ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (٧).

---

(١) انظر : البغوي ، معالم التنزيل ٢/ ٢١٢.

(٢) سورة الأعراف ، آية : ١٠٢.

(٣) قال ابن منده : " اختلفوا في معنى الإجابة لما أخذ عليهم الميثاق ، فقال عامَّتهم : أجابوا كلُّهم طائعين غير مكرهين " . ثُمَّ ذكر أنه رُوِيَ عن أبي العالية وغيره من التابعين . (الرد على الجهمية ص٦٦).

(٤) سورة الأنعام ، آية : ٩٨ .

(٥) هذا أحد المعاني التي ذُكِرَت في الآية ، وهو مروي عن ابن عبَّاس ، عند ابن جرير : جامع البيان ٥/ ٢٨٣ رقم ١٣٦٣١ – ١٣٦٣٢ ، ١٣٦٣٨ . ورُوِيَ كذلك عن مجاهد . انظر : تفسير مجاهد ١/ ٢٢٠ .

وانظر المعاني الأخرى للآية في : جامع البيان ٥/ ٢٨١ وما بعدها.

(٦) نقل ذلك عن السُّدّي ، أخرجه ابن جرير : جامع البيان ٦/ ١١٥ رقم ١٥٣٨٣ .

وانظر : ابن الجوزي : زاد المسير ٣/ ١٩٣ ، وانظر أيضاً : البغوي ، معالم التنزيل ٢/ ٢١٢.

(٧) سورة آل عمران ، آية : ٨٣.

وقال الزَّجَّاج : " جائز أن يكون الله تعالى جعل لأمثال الذَّرّ فَهْماً تعقل به ، كما قال : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾ (١) .

- وفَهَّمَ اللهُ تعالى لسليمان كلامَ النملة ، قال عزَّ وجلَّ : ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا ﴾ (٢) - وكما قال عزَّ وجلَّ : ﴿ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا ﴾ (٣) " (٤) .

وقوله : ﴿ شَهِدْنَا ﴾ / قال الكلبي : لمَّا قالت الذُرِّيّة : بلى ، قال الله عزَّ وجلَّ للملائكة : اشهدوا ، فقالوا : شهدنا (٥) . [٤٨]

وقال السُّدِّي : " قد أخبر الله تعالى عن نفسه وملائكته أنَّهم شهدوا على إقرار بني آدم" (٦)، ويحسُن الوقوف على قوله : ﴿ بَلَىٰ ﴾

وقوله : ﴿ أَن تَقُولُوا۟ ﴾ معناه : لئلاَّ تقولوا ، كما قال تعالى : ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ (٧) ويجوز أن يكون التقدير : شهدنا كراهيةَ أنْ تقولوا .

---

(١) سورة النّمل ، آية : ١٨ .

(٢) سورة النّمل ، آية : ١٩ .

(٣) سورة الأنبياء ، آية : ٧٩ .

(٤) معاني القرآن للزَّجَّاج ٢/ ٣٩٠ .

(٥) انظر : البغوي ، معالم التنزيل ٢/ ٢١٢ .

(٦) انظر : جامع البيان ٦/ ١١٧ .

(٧) سورة النحل ، آية : ١٥ .

قال المفسرون : " وهذه الآية تذكير بما أُخِذَ على جميع المكلَّفين من الميثاق، واحتجاجٌ عليهم لئلاَّ يقول الكافر : إنَّا كُنَّا عن هذا الميثاق غافلين ، لم نذكره، ولم نحفظه .

ونسيانهم لا يسقط الاحتجاج بعد أنْ أخبر الله تعالى بذلك على لسان صاحب المعجزة ، وإذا صحَّ ذلك بقول الصادق قام في النفوس مقام الذكر . فالاحتجاج به قائم "[1].

ثُمَّ قطع تعالى عذر الكفار بقوله : ﴿ **أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ** ﴾[2] لا يستطيع أحد من الذريّة الكافرة أن يقول يوم القيامة: إنَّما أشرك / آباؤنا من قبل ونقضوا العهد، ﴿ **وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ** ﴾ ، **[٤٩]** فاقتدينا بهم ﴿ **أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ** ﴾[3] : أفتعذبنا بما فعل المشركون المشركون المكذبون بالتوحيد .

فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلام بعد تذكير الله وأخذه الميثاق بالتوحيد على كل واحدٍ من الذريّة . انتهى من تفسير الإمام الواحدي رحمه الله تعالى[4] .

والعجب كل العجب مِمَّن يسمع هذه الإحاطة العظيمة بهم، والقدرة الكاملة عليهم قبل إيجادهم ، وقبل إخراجهم إلى دار التكليف الذي

---

(١) انظر : ابن الجوزي ، زاد المسير ٣/ ١٩٣ . وانظر : ابن جرير ، جامع البيان ٦/ ١١٧ .

(٢) سورة الأعراف ، آية : ١٧٣.

(٣) سورة الأعراف ، آية : ١٧٣.

(٤) الوسيط في تفسير القرآن المجيد ٢/ ٤٢٥ – ٤٢٦.

أحسن كل شيءٍ خلقه ، والذي لا يغـادر صـغيرة ولا كبـيرة إلاَّ أحصـاها ، الأبديُّ الواحدُ الأحد ، الفردُ الصمدُ، الذي لم يلد ولم يولد ولكـم يكـن لـه كفؤاً أحد . كيف ينتقصُ قدرةَ الله سبحانه عـلى إعـادة أجسـامهم بأعيانهـا، وتـأليف أجـزائهم، وإعادتهـا كـما كانـت أوَّل مـرّة بعـد فَنائهـا، وتمزيــق أجزائها، فهو القادر سبحانه، لا يعجزه مقدور، والكـل في علمـه سـبحانه، قال الله العظيم : ﴿ **قل لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبّي / لَنَفِدَ الْبَحْــرُ** [٥٠] **قَبْلَ أَنْ تَنْفَد كَلِمَاتُ رَبّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِــهِ مَــدَداً** ﴾ (١)، وكلمــات الله سبحانـه هـي معلوماتُه(٢) .

قـال الله العظـيم : ﴿ **كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ** ﴾ (٣) والشـأن بيديـه لا يبتديـه(٤)، وقيل : الشأن يُبْدي من عجـائب قدرته ما كـان كائنـاً في علمـه ، فيخرجـه من العدم إلى الوجود فرداً فرداً ، معينـاً لمـا سـبق في علمـه مـن شـقاوةٍ ، أو سعـادةٍ ، وكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِق له ، هؤلاء إلى الجنَّة ولا أُبالي ، وهؤلاء إلى النَّار ولا أُبالي .

---

(١) سورة الكهف ، آية : ١٠٩.

(٢) يظهر لي أن المؤلّف نقل هذا التأويل عن تفسير ابن عطية " المحرَّر الوجيز " ١٠/ ٤٥٨ .

وهو خلاف مذهب السلف ، فكلام الله عندهم غير معلوماته ، وهو صفة ذاتية فعلية للحق تبارك وتعالى ، فهو يتكلّم متى شاء ، وكيف شاء ، على الوجه اللائق بذاته سبحانه .

(٣) سورة الرحمن ، آية : ٢٩.

(٤) انظر : ابن الجزري : التسهيل ص ٦٧٤.

وفي الحديث : ((سُئِلَ رسول الله : متى الساعة ؟ فقال : إذا كَمُلَتِ العِدَّتَان، عِدَّة للجنَّة ، وعِدَّة للنار)) [١] .

قال الله العظيم : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴾ [٢] انتهى.

أوحى الله تعالى إلى داود : يا داود كيف عرفتني ؟ قال : يا ربّ عرفتك بالقدرة ، والقوة ، والبقاء ، وعرفتُ نفسي بالضعف ، والعجز ، والفناء . فقال : الآن عرفتني يا داود .

[الدليل السابع عشر] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ [٥١] الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴾ [٣] .

من تفسير الإمام ابن عطية رحمه الله تعالى : (رُوِيَ أنَّ أيُّوب عليه السلام لم يزل صابراً لا يدعو في كشف ما به ، وكان فيما رُوِيَ تقع [منه] [٤] الدُّود فيردها بيده ، حتَّى مرَّ به قوم كانوا يعادونه فشمتوا به، فتألَّمَ لذلك ودعا حينئذٍ ، فاسْتُجِيبَ له ، وكانت امرأته غائبة في بعض شأنِها ، فأَنْبَعَ الله تعالى له عَيْناً ، وأُمِرَ بالشُّرْب منها ، فبرئ باطنه ، وأُمِرَ بالاغتسال فبرئ

---

(١) وأورده القرطبي من كلام الحسين بن الفضل . أحكام القرآن ١٧/ ١٠٩ .
لم أقف على تخريجه مع إدمان البحث عنه.
(٢) سورة فُصِّلت ، آية : ٥٣ – ٥٤.
(٣) سورة الأنبياء ، آية : ٨٣ – ٨٤.
(٤) " منه " : ساقطة من الأصل ، أثبتها من " المحرَّر ".

ظاهره ، ورُدَّ إلى أفضل جماله ، وأُتِيَ بأحسنِ الثياب، وهَبَّ عليه رِجْلُ[1] جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ ، فجعل يحثي منها في ثوبه ، فناداه الله تعالى : يا أيُّوب ألَمْ أكُن أغنيتك عن هذا ؟ قال: بلى يا ربّ ، ولكن لا غنِىً لي عن بركتك ، فبينما هو كذلك إذ جاءت امرأته فلم تره على الساطت[2]، فجزعت[3] وظنَّت أنَّه أُزيل عنها، وجعلت تتولَّه ، فقال لها : ما شأنك أيَّتُهَا المرأة ؟ فهابته لِحُسْنِ / هيئته وقالت : إني فقدت مريضاً كان لي في هذا الموضع ، ومعالم [٥٢] المكان قد تغيَّرت، وتأمَّلت[4] في أثناء المقاولة فرأت أيُّوبَ ، فقالت له: أنت أيُّوب ؟ فقال لها : نعم ، واعتنقها وبكى، فَرُوِيَ أنَّه لَمْ يُفارقها حتَّى أراه الله تعالى جميع ماله حاضراً بين يديه.

واختلف النَّاس في أهله وولده الذين آتاه الله ؟ فقيل : كان ذلك كله في الدنيا ، فرَّد الله تعالى عليه ولده بأعيانهم ، وجعل مثلهم له عِدةً في الآخرة . وقيل : بل أُوتيَ جميع ذلك في الدُّنيا من أهلٍ ومال[5] .

---

(١) الرِّجْلُ – بالكسر _ : الجراد الكثير . ابن الأثير : النهاية ٢/ ٢٠٣.

(٢) في " المحرَّر ": " السباطة ". وهي : الموضع الذي تطرح فيه الأوساخ ، انظر : لسان العرب ٧/ ٣٩، كان قوم أيوب عليه السلام لما مرض أخرجوه من بينهم إليها ، ولم يبق معه غير زوجته ، انظر : المحرَّر ١١/ ١٥٦.

(٣) في الأصل : " فخرجت " ، وما أثبته من " المحرَّر ".

(٤) في " المحرَّر " : " فتأمَّلته ".

(٥) انظر : ابن جرير ، جامع البيان ٩/ ٦٩ – ٧٠

وقوله تعالى : { وَذِكْرَى لِلْعَابِدِين } أي : تذكرة وموعظة [للمؤمنين][١]، ولا يعبد الله تعالى إلاَّ مؤمن ، والذكرى إنَّما هي في محنته ، والرحمة في زوال ذلك عنه[٢] .

ومن تفسير الإمام الواحدي رحمه الله تعالى في هذه الآية : قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ ﴾ : إنَّ الله عزَّ وجلَّ أحيا مَنْ مات له مِنْ بَنِيه وبناته ، وَرَزَقَه من الولد مثلَهم : ﴿ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ ﴾ / موعظة لهم ليعلموا بذلك كمال قدرتنا[٣] . **[٥٣]**

[الدليل الثامن عشر] :

وفي قِصَّة إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ .

وقدرته؛ كيف نَّجاه الله تعالى من النَّار، وكانت عليه برداً وسلاماً[٤].

ومن تفسير الإمام ابن عطية رحمه الله تعالى: (رُوِي أنَّه لَّما اجتمع رأيُهُم على تحريقه، حَبَسَه نمرود الملك[٥]، وأمر بجمع الحطب، فجمع في مدَّة أشهُر.

---

(١) من " المحرَّر ".

(٢) المحرَّر الوجيز ١١/ ١٥٧.

(٣) الوسيط ٣/ ٢٤٧.

(٤) يشير إلى قوله عزَّ وجلَّ : { قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَـٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ } [سورة الأنبياء ، آية : ٦٨ – ٦٩].

(٥)" نمروذ " : بالذال المعجمة ، وبالدال المهملة ، محلّى بالألف واللام ، وغير مُحَلّى (نمرود، والنمرود) هو : نمروذ بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح .

روي ذلك عن مجاهد، رواه ابن جرير، في جامع البيان ٣/ ٢٥ رقم ٥٨٦٢ – ٥٨٦٥ .

وكان المريض يجعل نذراً إن هو برئ أن يجمع كذا وكذا حزمة حطب، حتَّى اجتمع من الحطب مِمَّا تبَرَّع به النَّاس ، ومِمَّا جَلَب الملكُ من أهل الرساتين كالجبل من الحطب .

ثُمَّ أضرَم ناراً ، فلمَّا أرادوا طرح إبراهيم بها ، لم يقدروا على القرب منها، فجاءهم إبليس في صورة شيخ ، فقال لهم : أنا أصنع لكم آلة يلقى بها في النَّار، فعلَّمَهُم صنعة المنجنيق .

ثُمَّ أُخرج إبراهيم عليه السلام ، فَشُدَّ رباطاً ، وَوُضِعَ في كفّة المنجنيق ورُمِيَ به ، فوقع في النَّار ، وقد قيل : كوني بَرْدَاً وسلاماً ، فاحترق الحبل الذي رُبِطَ به فقط [1] .

[٥٤] ورُوِيَ أنَّ جبريل عليه السلام جاءه وهو في الهواء / فقال : ألك حاجة؟ فيُرْوَى أنَّه قال : أمَّا إليك فلا [2] .

قال ابن جرير : وقيل : إنَّه " نمروذ بن فالح بن عابر بن شالخ بن أرفخشد بن سام بن نوح " .

وروى ابن جرير عن قتادة : أنّه أوَّل ملك تجبَّر في الأرض ، وهو صاحب الصرح ببابل .

المصدر السابق رقم ٥٨٦٦ ، وكما رواه عن الربيع برقم ٥٨٦٨ .

وانظر في تحقيق اسمه وضبطه : د . ف . عبد الرحيم ، الإعلام بأصول الأعلام ص ١٧٩، نشر دار القلم .

(١) روي اقتصار الإحراق على الوثاق من كلام كعب .

أخرجه ابن جرير : جامع البيان ٩/ ٤٣ – ٤٤ رقم ٢٤٦٥٦ – ٢٤٦٦٢ .

والسيوطي : الدر ٥/ ٦٣٩ وعزاه لابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر . وص ٦٤٠ ، وعزاه لعبدالرَّزَّاق، وعبد بن حميد ، وابن جرير.

(٢) أخرجه ابن جرير ، عن معتمر بن سليمان ، عن بعض أصحابه . جامع البيان ٥/ ٤٤ رقم ٢٤٦٦٣ .

وذكره السيوطي في الدر ٥/ ٦٤١ وعزاه لابن جرير.

ويُرْوَى أنَّه قال: إني خليلٌ ، وإنَّما أطلب حاجتي من خليلي لا مِنْ رسوله، فقال الله تعالى: يا إبراهيم قَطَعْتَ الواسطة بيني وبينك، لأقطعنَّها بينك[1] وبين النَّار ، ﴿ قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[2] الآية .

وروُي : أنَّه حين خوطبت النَّارُ خمدت كل نار في الأرض" [3] ، وجعل الله تبارك وتعالى عليه النَّار برداً وسلاماً ، فخرج منها سالماً ، وكانت أعظم آية .

ورُوِيَ " أنَّهم قالوا : إنَّها نار مسحورة لا تحرق ، فرموا فيها شيخاً منهم فاحترق" [4] .

ورُوِيَ : أنَّ إبراهيم كان له بسطٌ ، وطعامٌ في تلك النار ، كُلّ ذلك من الجنَّة [5] .

ورُوِيَ : أنَّ العيدان أينعت ، وأثمرت له هنالك ثمارها التي[6] كانت أصولها .

---

(١) في " المحرَّر " : " بيني وبين النَّار ".

(٢) سورة الأنبياء ، آية : ٦٩.

(٣) * انظر : ابن جرير ، جامع البيان ٩/ ٤٣ رقم ٢٤٦٦٠ .

* أورده السيوطي في الدر ٥/ ٦٤٠ عن ابن عباس، وعزاه للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم.

(٤) انظر : جامع البيان ٩/ ٤٤ رقم ٢٤٦٦٨ ، فقد أخرجه عن ابن جريج .

* والسيوطي : الدر المنثور ٥/ ٦٤١ ، عن ابن جريج ، وعزاه لابن المنذر . وعزاه في ص ٦٤٢ لابن جرير .

(٥) انظر : البغوي ، معالم التنزيل ٣/ ٢٥١ . وابن الجوزي : زاد المسير ٥/ ٢٥٤ .

(٦) انظر : المصدرين السابقين ، بمعناه.

وقوله تعالى : ﴿ وَسَلَاماً ﴾ معناه : وسلامة [١] .

وقال بعضهم : هي تحية من الله تعالى لإبراهيم .

ورُوِيَ أنَّ المِلكَ بنى بناءً ، واطَّلع منه على النَّار ، فرأى إبراهيم عليه السلام [ومع ناس][٢] ، فعجب وسأل : هل طُرِحَ معه أحد ؟ فقيل: لا . فناداه . فقال : مَنْ أولئك ؟ قال : هم ملائكة / ربي [٣] . [٥٥]

ورُوِيَ : أنَّ إبراهيم عليه السلام لـمَّا خرج من النَّار ، أخرجه النمرود وكلَّمه ، ثُمَّ ختم الله عليه بالكفر فلج ، وقال لإبراهيم عليه السلام، في بعض قوله : أين جنود ربك الذي أنت تزعم ؟ فقال له : سيريك فعلَ أصغر[٤] جنوده . فبعث الله تعالى على نمرود وأصحابه سحابة مِنْ بَعوض ، فأكلتهم عن آخرهم ودوابهم ، حتى كانت العظام تلوح بيضاً ، ودخلت منها بعوضة في رأس نمرود ، فكان رأسه يُضرب بالعيدان وغيرها، فدام يُعَذَّبُ بها زمناً طويلاً ، وهلك منها [٥] " [٦].

[الدليل التاسع عشر] :

وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ﴾ [٧] الآية .

---

(١) انظر : ابن جرير ، جامع البيان ٩/ ٤٣ رقم ٢٤٦٥٨ ، وص ٤٤ رقم ٢٤٦٦٥ ، ٢٤٦٦٦.

(٢) من " المحرر ".

(٣) انظر معناه في : معالم التنزيل ٣/ ٢٥١ ، وزاد المسير ٥/ ٢٥٤.

(٤) في المحرَّر : " أضعف ".

(٥) انظر : البغوي ، معالم التنزيل ٣/ ٢٥١ . وابن الجوزي : زاد المسير ٥/ ٢٥٤ .

(٦) المحرَّر الوجيز ١١/ ١٤٦ – ١٤٧.

(٧) سورة الحج ، آية : ٥

من تفسير الإمام الواحدي رحمه الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يعني : كفار قريش . ﴿ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ ﴾ أي : في شكٍ من الإعادة.

﴿ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ : خلقنا أباكم الذي هو أصل البشر من تراب ، ثُمَّ خلقنا ذريته ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾ يعني المنيّ ، ﴿ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾ وهو الدم الجامد ، ﴿ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ ﴾ وهي لحمة قليلة قدر ما / يُمْضَغُ ، ﴿مُخَلَّقَةٍ ﴾ [٥٦] مصوَّرة تامة الخلق ، ﴿ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ وهي ما تَمُجُّهُ دماً ، يعني : السقط .

﴿ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ﴾ كمال قدرتنا ، ليبصر[1] بها أطوار خلقكم . ﴿ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ ﴾ نترك فيها ما لا يكون سقطاً ﴿ إِلَى أَجَلٍ مسَمًّى ﴾ : إلى وقت خروجه. ﴿ ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ ﴾ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتكم ﴿ طِفْلاً﴾ صغاراً .

﴿ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُم ﴾ : عقولكم [2] ونهاية قوتكم .

﴿ وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّى ﴾: يموت قبل بلوغ الأشُدّ.

﴿ وَمِنْكُمْ مِنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ : وهو الهَرَمُ و الخَرَفُ حتى لا يعقل، وهو قوله [حتَّى لا يعلم] [3] ﴿مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئا ﴾ .

[الدليل العشرون] :

ثُمَّ ذكر دِلاَلَةً أخرى على البعث فقال : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ : جافَّة ذات ترابٍ ، ﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ ﴾ : المطر ﴿اهْتَزَّت﴾: تحرَّكت بالنبات ، ﴿ وَرَبَت ﴾ : زادت ، ﴿ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾: من كل صنف حَسَنٍ من النبات ، ﴿ ذَلِكَ ﴾ : الذي تقدَّم ذكره من اختلاف

---

(١) في النسخة الخطية للوسيط : " في تصريفنا أطوار ... " ٥٨/ ب رقم ٤٤١١.

(٢) في النسخة الخطية (كمال عقولكم) ٥٨/ ب.

(٣) ساقطة من الأصل.

الإنسـان وإحيـاء الأرض ، ﴿ بَأَنَّ اللهَّ هُـوَ الحَقُّ ﴾ : الدائم الثابت الموجود .
﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ : يريد أبا جميل[١] [٢] .

ومن تفسير الإمام ابن عطية : قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ النَّاسِ مَـنْ يُجَـادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ / [عِلْمٍ ﴾ [٣] قال ابن جريج : نزلت في النضر بن الحارث[٤]، وأُبيّ [٥٨] ابن خلف ، وقيل : في أبي جهل بن هشام [٥] ، ثُمَّ هي بعد تتنـاول كـل مـن اتَّصف بهذه الصفة .

والمجادلة : المحاجّة ... مأخوذة من الجدل ، وهو : الفتل .

والمعنى : في قدرة الله تعالى وصفاته ، وكـان سـبب الآيـة كـلام مـن ذكـر وغيرهم ، في أنَّ الله تعالى لا يبعث الموتى ، ولا يقيم الأجساد من القبور .

وقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ ﴾ [٦]الآية .

---

(١) في الوسيط : " نزلت في النضر بن الحارث ".

(٢) انظر : الوسيط ٣/ ٢٥٩ – ٢٦٠ .

وانظر النسخة الخطيـة للوسـيط (الربـع الثالـث) لوحـة (٥٨/ أ –٥٩/ أ) المحفوظـة في قسـم المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تحت رقم ٤٤١١ .

وبين النسخة المطبوعة وبين الخطية فروق ، ونقل المؤلّف يظهر أنَّه عن هذه النسخة بتصرُّفٍ يسير .

(٣) سورة الحج ، آية : ٣.

(٤) أخرجه ابن جرير : جامع البيان ٩/ ١٠٩ رقم ٢٤٩١٨ . والسيوطي : الدر المنثور ٦/ ٨ وعزاه لابن جرير ، وابن المنذر.

(٥) أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة ، كان يُكنى أبا الحكم ، قُتِلَ في معركة بدر سنة اثنتين من الهجرة . سيرة ابن هشام ١/ ٢٦٥ ، ٦٣٤.

(٦) سورة الحج ، آية : ٥.

هذا احتجاج على العالم بالبدأة الأولى ، وضرب الله تعالى في هذه الآية مثلين إذا اعتبرهما الناظر جوَّز في العقل البعثة من القبور ، ثُمَّ ورد خبر الشرع بوجوب ذلك ووقوعه . و (الريب) : الشك .

وقوله تعالى : ﴿ **فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ** ﴾ يريد : آدم ، ثُمَّ سلَّط الفعل عليهم من حيث هُم ذُرِّيّته .

وقوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ** ﴾ : يريد المني الذي يكون من البشر، والنُّطْفة تقع على قليل الماء وكثيره ، وقال النقَّاش : " المراد نطفة آدم " .

وقوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ** ﴾ : يريد من الدم ، تعود النطفة إليه في الرحم ، أو المقارن للنطفة ، و" العلق " : الدم العبيط ، وقيل : العلق ؛ الشديد الحمرة ، فسمي الدم لذلك .

وقوله تعالى : ﴿ **ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ** ﴾: يُريد بضعة لحم على قدر ما يمضغ.

وقوله تعالى : ﴿ **مُخَلَّقَة** ﴾ معناه : متمَّمة البنية ، ﴿ **وَغَيْرَ مُخَلَّقَةٍ** ﴾ غير متممة ، أي تستسقط ..

وقوله تعالى : ﴿ **لِنُبَيِّنَ** ﴾ قالت فرقة : معناه لنبين أمر البعث ...

وقالت فرقة : ﴿ **لنبين** ﴾ معناه: بكون المضغة غير مُخَلَّقة، وطرح النساء إياها ، كذلك نبيّن للنَّاس أنَّ المناقل في الرحم هي هكذا ...] (1) /. **[٥٩]**

---

(١) الكلام بين الحاصرتين ، نقلته من " المحرَّر " نظراً لسقوط لوحة كاملة من الأصل، والكلام قبلها وبعدها من " المحرَّر " ، وقد جريت في النقل على منهج المؤلّف في الاختصار بحذف القراءات ونحوها مِمَّا اعتاد المؤلّف حذفه من النص الذي ينقله من " المحرَّر " ..

وقوله تعالى : ﴿ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴾ هو مختلف بحسب جنين جنين، فَثَمَّ من يسقط ، وثَمَّ من يكمل أمره ويخرج حياً .

وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ﴾ : اسم الجنس ، أي : أطفالاً صغاراً. ﴿ ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُم ﴾ ، والأَشُدّ ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين ، إلى غير ذلك .

﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾

وهو حصول الإنسان في زمانةٍ واختلال قوة ، حتَّى لا يقدر على إقامة الطاعات .

وقد يكون أرذل العمر في قليل من السنّ ، بحسب شخصٍ مَّا لحقته زمانة .

فهذا مثال واحد يقضي للمعتبر به أنَّ القادر على المناقل المتقن لها، قادرٌ على إعادة تلك الأجساد التي أوجدها بهذه المناقل إلى حالها الأولى"[(١)].

[الدليل الحادي والعشرون] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ﴾[(٢)] .

قال ابن عبَّاس في راوية سعيد بن جبير : " يعني قوماً خرجوا فِراراً مِنَ الطاعون ، قالوا : نأتي أرضاً ليس بها موت ، فخرجوا حتَّى إذا كانوا

---

(١) المحرَّر الوجيز ١١/ ١٧٦ – ١٧٩.

(٢) سورة البقرة ، آية : ٢٤٣.

بموضع كذا ، قال لهم الله : موتوا ، فماتوا ، فمرَّ بهم نبيٌّ من الأنبياء، فدعا ربه / أن يحييهم ، فأحياهم وهم أُلُوفٌ ، حذر الموت" (١) . [٦٠]

وقوله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ تفضَّل على هؤلاء بأن أحياهم بعد موتهم ، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ انتهى من تفسير الإمام الواحدي رحمه الله تعالى (٢).

ومن تفسير الإمام ابن عطية ، في معنى هذه الآية الكريمة : قوله : ﴿ألَمْ تر﴾ ألم تعلم قصة هؤلاء فيما قال الضَّحَّاك : هي أنَّهم قومٌ من بني إسرائيل أُمروا بالجهاد ، فخافوا الموت بالقتل في الجهاد ، فخرجوا من ديارهم فراراً من ذلك ، فأماتهم الله ليُعَرِّفَهُم أنه لا ينجيهم من الموت شيءٌ ، ثُمَّ أحياهم وأمرهم بالجهاد بقوله : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ الله ﴾ الآية .

وحكى قوم من اليهود لعمر بن الخطَّاب رضي الله تعالى عنه : أنَّ جماعةً من بني إسرائيل وقع فيهم الوباء، فخرجوا من ديارهم فراراً منهم ، فأماتهم الله، فبنى عليهم سائر بني إسرائيل حائطاً، حتَّى إذا بليَتْ عِظَامُهُم، بعث الله حزقيل(٣) النّبيّ عليه السلام، فدعا الله فأحياهم له (٤) . / [٦١]

---

(١) ❋ أخرجه ابن جرير : جامع البيان ٢/ ٦٠٠ رقم ٥٥٩٩ _ ٥٦٠٠ .
❋ أورده السيوطي في الدر ١/ ٧٤١ وعزاه لوكيع ، والفريابي ، وابن جرير ، وابن المنذر ، والحاكم .
(٢) الوسيط ١/ ٣٥٤.
(٣) حزقيل بن بوزى ، أحد القُوَّام الذين قاموا بأمور بني إسرائيل بعد يوشع .
د . ف . عبد الرحيم : الإعلام بأصول الأعلام ص ٨٤.
(٤) ❋ أخرجه ابن جرير : جامع البيان ٢/ ٦٠١ رقم ٥٦٠٣
❋ أورده السيوطي في الدر ١/ ٧٤٢ ، وعزاه لابن جرير.

وقال السُّدّي : (**هُمْ أُمَّة قَبْلَ**[١] **واسط، في قريةٍ يقال لها "داوَرْدَان"**[٢]، **وقع فيها الطَّاعون**[٣] ، **وهم بضعة وثلاثون ألفاً، في حديثٍ طويلٍ، ففيهم نزلت الآية**)[٤] .

وقال قوم : (**إنَّهم فرُّوا من الطَّاعون**)[٥] : الحسن ، وعمرو بن دينار.

وحكى النقَّاش : أَنَّهُم فَرُّوا مِنْ الحُمَّى[٦] .

وحكى فيهم مجاهد : أنَّهم لَمَّا أُحْيُوا رجعوا إلى قومهم يعرفون ، لكن سحنة الموت على وجوههم ، ولا يلبس ثوباً إلاَّ عاد كفناً دسماً[٧] حتَّى ماتوا لآجالهم التي كُتِبَتْ لهم[٨] .

---

(١) كذا ضُبِطَت في الأصل بسكون الموحدة ، وعند ابن جرير بفتحتها.

(٢) في الأصل (وردان) ، والتصويب من " المحرَّر " ، وجامع البيان .

وهي : بفتح الواو ، وسكون الراء ، وآخره نون ، من نواحي شرقي واسط ، بينهما فرسخ . انظر : ياقوت الحموي : معجم البلدان ٢/ ٤٣٤.

(٣) في " المحرَّر" : زيادة " فهربوا منه " بعد قوله : " وقع فيها الطاعون " .

وعند ابن جرير : " فهرب عامَّة أهلها " .

(٤) * أخرجه ابن جرير : جامع البيان ٢/ ٦٠١ رقم ٥٦٠٥ .

* وانظر : السيوطي : الدر ١/ ٧٤١ وعزاه لابن جرير ، وابن أبي حاتم ، وابن المنذر مطولاً ..

(٥) انظر : ابن جرير ، جامع البيان ٢/ ٦٠٣ رقم ٥٦١٢ – ٥٦١٥ عن الحسن وعمرو بن دينار .

والسيوطي : الدر ١/ ٧٤٣ عن الحسن .

وأخرجه ابن جرير عن ابن عباس برقم ٥٥٩٩ – ٥٦٠٠ ، والسيوطي في الدر ١/ ٧٤١ .

(٦)لم أقف عليه .

(٧) في الأصل : " سمّاً " ، والتصويب من " المحرَّر ، وابن جرير ، والدر ".

(٨) * أخرجه ابن جرير : جامع البيان ٢/ ٦٠٢ رقم ٥٦٠٦ .

وانظر : الدر المنثور ١/ ٧٤١.

وروى ابن جريج عن ابن عبَّاس أنَّهم كانوا من بني إسرائيل ، وأنَّهم كانوا أربعين ألفاً وثمانية آلاف ، وأنَّهُم أُمِيتُوا ثُمَّ أُحْيُوا ، وبقيت الرائحة على ذلك السبط من بني إسرائيل إلى اليوم ، فأمرهم الله بالجهاد ثانية ، فذلك قوله : ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية (1) .

وهذا القَصَصُ كلها(2) ليِّنُ الأسانيد ، وإنَّما اللازم من الآية : أنَّ الله تعالى أخبر نبيه عليه السلام إخباراً في عبارة التنبيه والتوقيف عن قوم من البشر خرجوا / من ديارهم فراراً من الموت ، فأماتهم الله ، ثُمَّ أحياهم ، [٦٢] ليروا هم [وكلّ](3) مَنْ خَلَفَ بعدهم أنَّ الإماتة هي من الله تعالى ، لا بيد غيره ، فلا معنى لخوف خائفٍ ، ولا اغترار مغترّ .

وجعل الله هذه الأُمّة مقدمة بين يدي أمره للمؤمنين من أُمَّة محمَّد ﷺ بالجهاد . هذا قول الطبري (4) ، وهو ظاهر رصف الآية .

ولِمُورِدي القصص في هذه الآية زيادات اختصرتها لضعفها (5) .

[الدليل الثاني والعشرون] :

وقوله تعالى : ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ (6) .

---

(1) أخرجه ابن جرير : جامع البيان ٢/ ٦٠٢ رقم ٥٦٠٨ .

* وأورده السيوطي في الدر ١/ ٧٤٣ ، وعزاه لابن جرير ، وابن المنذر .

(2) في المحرر " كله ".

(3) (وكل) : ساقطة من الأصل ، وأثبتها من " المحرر ".

(4) انظر : جامع البيان ٢/ ٦٠٥.

(5) المحرر الوجيز ٢/ ٢٤٥ – ٢٤٧.

(6) سورة الكهف ، آية : ٥١.

من تفسير الإمام ابن عطية الضمير في ﴿ أَشْهَدْتُهُم ﴾ عائد على الكفار، وعلى النّاس بالجملة .

فتتضمن الآية الرَّدَّ على طوائف من المنجمين[(١)] وأهل الطبائع[(٢)]، والمتحكمين[(٣)] من الأطباء ، ومن سواهم مِنْ كُلّ مَنْ يتخوَّض في هذه الأشياء[(٤)]، ويتأوَّل هذا التأويل في هذه الآية ، وأنها رادّةٌ على هذه الطوائف، وذكر هذا بعض الأصوليين .

وقيل : الضمير في ﴿ أشهدتهم ﴾ عائد على ذريَّة إبليس ، فهذه الآية على هذا / تتضمن تحقيرهم . والقول الأوَّل أعظم فائدة[(٥)]. [٦٣]

[الدليل الثالث والعشرون] :

ومن تفسير الإمام ابن عطية في قوله تعالى : ﴿ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴾ .[(٦)]

---

(١) نسبة إلى التنجيم، وهو : الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية ، والتمزيج بين القوى الفلكية، والقوابل الأرضية . انظر : ابن تيمية ، الفتاوى ٣٥/ ١٩٢.

(٢) نسبة إلى الطبيعة ، وهي : القوة السارية في الأجسام ، التي بها يصل الجسم إلى كماله الطبيعي. انظر : الجرجاني ، التعريف – ص ١٤٠ ، والمناوي التوقيف على مهمات التعاريف ٤٧٨.

(٣) نسبة إلى الحكمة: وهي علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية. المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف ص ٢٩١، وفي المعجم الوسيط ١/ ١٩٠ ذو الحكمة ، والفيلسوف، والطبيب " ج " حكماء .

(٤) في " المحرَّر " بعد قوله " الأشياء " قال القاضي أبو محمَّد : وحدَّثني أبي .. قال : سمعت الفقيه أبا عبد الله محمَّد بن معاد المهدوي بالمهدية يقول : سمعت عبد الحق الصقلي يقول هذا القول ، ويتأوَّل هذا التأويل في الآية ، وأنها رادة على هذه الطوائف ... ".

(٥) المحرَّر الوجيز ١٠/ ٤١٣.

(٦) سورة ق ، آية : ٣ – ٤.

قوله : ﴿ **بعيد** ﴾ معناه : بعيد في الأوهام والفِكر كونـه ، فـأخبر الله تعـالى ردّاً على قولهم بأنّه يعلم ما تأكل الأرض من ابن آدم ومـا يبقـى[١] منـه ، وإنَّ ذلك في كتاب ، وكذلك يعودُ في الحشرِ معلوماً ذلك كلّه .

والحفيظ : الذي لم يفته شيء .

وقال الرماني : ﴿ **حفيظ** ﴾ : منيع أن يذهب بِبِلَىً ودُرُوسٍ .

وَرُوِيَ في الخبر الثابت : (**إنَّ الأرض تأكل ابن آدم إلاَّ عَجْب الـذَّنَب ، وهو عظم كالخردلة ، فمنه يُرَكَّب ابن آدم**)[٢] .

وحفظ ما تنقص الأرض إنَّما هو ليعود يوم القيامة . وهذا هو الحـق، ولـو كان غيرها فكيف كانت تشهد الجلود ، والأيدي ، والأرجل عـلى الكفـرة ، إلى غير ذلك مِمَّا يقتضي أنَّ أجساد الدنيا هي التي تعود / ؟ [٣]. [٦٤]

---

(١) في المحرَّر " تبقى ".

(٢) سيأتي تخريجه ص ١٤٤.

(٣) المحرَّر الوجيز ١٥/ ١٦٢.

فصل من الاستدلال أيضاً
على بعث الأجسام بأعيانها

الذي هو الحق المستقيمُ بقدرة الله تعالى، وأنَّه يُحيِي الموتى، وأنَّه على كل شيءٍ قدير، هذا كثير جداً لا يُحصى، ويكفي منه ما ذُكِرَ، وما سأذكُرُ إن شاء الله وبه أستعين.

(الدليل الرابع والعشرون) :

قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ [1] .

يريد: الموتى. قاله الجمهور [2] .

[الدليل الخامس والعشرون] :

وفي الحديث الصحيح : (إنَّ الأرض لا تأكل لحوم الأنبياء والشهداء)[3].

---

(١) سورة الانشقاق، آية: ٤.

(٢) انظر: المحرَّر ١٦/ ٢٦١.

(٣) د: كتاب الصلاة، باب تفريع أبواب الجمعة ١/ ٦٣٥ ح ١٠٤٧، من حديث أوس بن أبي أوس.

*حم: ٤/ ٨.

*جه: كتاب إقامة الصلاة، باب فضل الجمعة ١/ ٣٤٥ ح ١٠٨٥ من حديث شدَّاد بن أوس. وكتاب الجنائز، باب ذكر وفاة النَّبِي صلّى الله عليه وسلم ١/ ٥٢٤ ح ١٦٣٦.

*دي: كتاب الصلاة، باب فضل الجمعة ١/ ٣٦٩.

*قال الشيخ الألباني: " وإسناده صحيح، وقد صحَّحه جماعة ". مشكاة المصابيح ١/ ٤٣٠ ح ١٣٦٢. وانظر: الضعيفة ١/ ٢٣٧، وفضل الصلاة على النَّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، بتحقيقه، رقم ٢٢، ٢٣.

[الدليل السادس والعشرون] :

وفي الحديث الصحيح قال رسول الله ﷺ : ((ما مِنْ مُسْلِمٍ يُكْلَم في سبيل الله إلاَّ جاء يوم القيامة وجرحه يَثْعُبُ دَمَاً، اللون لون الدم ، والريح ريح مسك)) [١] .

ويروى : أنَّ الموضع الذي دُفِنَ فيه الشهداء يوم أُحُد بين يدي رسول الله ﷺ ، جاءت السيول فكادت تكشف القتلى ، فبرَّح[٢] معاوية رضي الله عنه بعد أربعين سنة ، فجاء النَّاس يخرجون الشهداء ينقلونهم ، فأخرجوهم كما كانوا[٣]، فسبحان من بيده ملكوت / كلّ شيء وإليه تُرجعون، وقدرة الله **[٦٥]** سبحانه أعظم من ذلك كله ، يُبْقِي بدنَ من يشاء ويبعثه ، ويبعث الآخر بعد تفرُّق أجزائه وعظامه التي قد رجعت رميماً ، كما شاء وكيف شاء ، وهو المدبر الحكيم لا يعجزه شيء .

[الدليل السابع والعشرون] :

وفي الحديث : قال رسول الله ﷺ : ((رجلان من أُمَّتي جثيا بين يدي ربي، فقال أحدهما : يا رب خُذْ لي مظلمتي من أخي ، فقال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته ، فقال : يا رب ما بقي من حسناتي شيء ، فقال : يا رب

---

(١) * خ : كتاب الذبائح والصيد ، باب المسك ٩/ ٦٦٠ ح ٥٥٣٣ عن أبي هريرة .
وفي كتاب الجهاد ، باب مَنْ خرج في سبيل الله ٦/ ٢٠ ح ٢٨٠٣ .
*م : كتاب الإمارة ، باب فضل الجهاد ٣/ ١٤٩٥ ح ١٨٧٦ .

(٢) كذا.

(٣) انظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ٤/ ٤٤.

فليحمل من أوزاري ، وفاضت عينا رسول الله ﷺ ثُمَّ قال : إنَّ ذلك اليوم يحتاج النَّاس إلى أن تُحْمَل عنهم أوزارهم .

ثُمَّ قال الله تعالى لِلْمُطالِبِ بِحَقّه : ارفع بصرك فانظر إلى الجِنَان ، فرفع فرأى ما أعجبه من الخير والنعمة . فقال : لمن هذا يا رب ؟ فقال : لمن أعطاني ثمنه ، قال : ومَنْ يملك ذلك يا رب ! قال : أنت . قال : بماذا ؟ قال : بعفوك عن أخيك . قال : يا رب فإني قد عفوت عنه ، فقال : خُذ بيد أخيك فادخل به الجنَّة . ثُمَّ قال رسول الله ﷺ:فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم))[1] / .   [٦٦]

فالخصام لا يكون إلاَّ بين اثنين متعارفين ، وإن كانا غير متعارفين لم يحتجّ أحدٌ على أحد ولا يعرف من هو خصمه ولا طالبه .

[الدليل الثامن والعشرون] :

وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾ [2] .

قال ﷺ : ((**ما منكم من أحد إلاَّ وسيكلمه الله ليس بَيْنَه وبَيْنَه تُرجمان ، فيقول : عبدي ما قَدَّمْتَ ؟ فينظر عن يمينه فلم ير شيئاً قَدَّمَه ، وينظُرُ عن**

---

(١) * أخرجه الحاكم : المستدرك، كتاب الأهوال ٤/ ٥٧٦ وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ الإسناد ولم يُخَرّجاه . قال الذهبي : عبَّاد ضعيف ، وشيخه لا يُعْرَف .

*ابن أبي داود : البعث ص ٣٥ رقم ٣٢ .

*ابن أبي الدنيا : حسن الظّن بالله ص ٧٥ رقم ١١٧ .

*السيوطي : البدور السافرة ص ٢٩٣ بتحقيق مصطفى عاشور ، وعزاه إلى سعيد بن منصور ، والحاكم ، والبيهقي.

(٢) سورة الانفطار ، آية : ٦.

يساره فلم ير شيئاً قَدَّمَه ، فتستقبله النَّار ، فمن استطاع منكم أنْ يقي النَّار عن وجهه ولو بشق تمرة فليفعل)) (١) .

[الدليل التاسع والعشرون] :

وقوله تعالى : ﴿ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ﴾ (٢) **تقول لهم الملائكة: ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾** (٣) .

وقيل : يقول لهم المؤمنون ذلك (٤) .

قال الإمام الغزالي في عقيدته : "والإيمان تصديقٌ بالله وملائكته وكتبه ورسله ، والآخرة ، وحشرها ، وعرضها ، وصراطها ، وميزانها ، ونحوه ، وبوجود الجنة والنَّار واليوم بلا فَنَاء ، وبالحوض ، والشفاعة ، وعذاب القبر، وفتنته ، وبإعادة بدنه وروحه وجزائها ، وبراءة عائشة " / . **[٦٧]**

هذا مختصر الإمام البلالي(٥) المصري رحمه الله .

---

(١) *خ : كتاب الرقاق ، باب من نوقش الحساب ١١/ ٤٠٠ ح ٦٥٣٩ .
وكتاب التوحيد ، باب كلام الرب عزَّ وجلَّ ١٣/ ٤٧٤ ح ٧٥١٢ من حديث عدي .
*م : كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ٢/ ٧٠٣ ح ١٠١٦ .
*ت : كتاب صفة القيامة ، باب في القيامة ٤/ ٦١١ ح ٢٤١٥ .
*جه : المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية ١/ ٦٦ ح ١٨٥ . وكتاب الزكاة ، باب فضل الصدقة ١/ ٥٩٠ ح ١٨٤٣ .
*حم : ٤/ ٢٥٦ ، ٣٧٧ .

(٢) سورة يس ، آية : ٥٢.

(٣) سورة يس ، آية : ٥٢.

(٤) ذكر ابن جرير فيمن يقول ذلك ، قولين : أحدهما : أهل الإيمان . والآخر : أنهم الكفار أنفسهم ، ثُمَّ قال: والقول الأوَّل أشبه بظاهر التنزيل . جامع البيان ١٠/ ٤٥١.

(٥) لم أقف على ترجمته ولا مختصره هذا، وكلام الغزالي هذا راجعه في: قواعد العقائد ص٦٣، وما بعدها، بأوسع منه.

[الدليل الثلاثون] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ (١) .

[الدليل الحادي والثلاثون] :

وقوله : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ﴾(٢) الآية .

[الدليل الثاني والثلاثون] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴾ (٣) .

[الدليل الثالث والثلاثون] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ ﴾ يعني من أهل الجنَّة ، ﴿ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴾ (٤) : أخاً له في الدنيا كان ينكر البعث ، وهو قوله: ﴿ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴾ (٥) مجزيون ومحاسبون، وهذا استفهام إنكار. ثُمَّ قال المؤمن لإخوانه في الجنَّة : ﴿ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ﴾ (٦) في النَّار لننظر كيف منزلة أخي ، فقال أهل الجنة : إنَّك أعرف به مِنَّا فاطَّلِعْ أنْتَ، ﴿ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴾(٧): في وسطها (٨).

---

(١) سورة عبس ، الآيات : ٣٤ – ٣٧.

(٢) سورة عبس ، آية : ٣٨.

(٣) سورة الزمر ، آية : ٦٨.

(٤) سورة الصَّافَّات ، آية : ٥١.

(٥) سورة الصَّافَّات ، آية : ٥٣.

(٦) سورة الصَّافَّات ، آية : ٥٤.

(٧) سورة الصَّافَّات ، آية : ٥٥.

(٨) معاني القرآن له : ٤/ ٣٠٤.

قال الزَّجَّاج:" وسواءُ كُلِّ شيء: وَسَطَه" (٥) فقال له: ﴿ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴾ (١): قال مقاتل: والله لقد كدتَ أن تُغْوِيَني فأنْزِلَ منزلتكَ(٢).

والإرداء الإهلاك، ومن أغوى إنساناً فقد أهلكه، ﴿ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي ﴾: لولا إنعامه عليَّ بالإسلام، ﴿ لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴾ (٣): معك / في النَّار . [٦٨]

قال الكلبي : ثُمَّ يُؤتَى بالموت فيذبح ، فإذا أَمِنَ أهل الجنَّة الموتَ فرحوا وقالوا: ﴿ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ ﴾ (٤) : التي كانت في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾ فقيل لهم : لا ، فعند ذلك قالوا : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٥)، قال الله تعالى : ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا﴾ النَّعِيم، يعني : ما ذكره من قوله قوله : ﴿ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُوم ﴾ إلى قوله : ﴿بَيْضٌ مَكْنُون ﴾(٦) ﴿ فَلْيَعْمَلِ العَامِلُونَ﴾ (٧): وهذا ترغيب في ثواب الله بطاعته . هذا من تفسير الإمام الواحدي رحمه الله تعالى (٨) .

[الدليل الرابع والثلاثون] :

قال الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٩) الآية .

---

(١) سورة الصَّافَّات ، آية : ٥٦.

(٢) انظر : البغوي ، معالم التنزيل ٤/ ٢٨.

(٣) سورة الصَّافَّات ، آية : ٥٧.

(٤) سورة الصَّافَّات ، الآيتان : ٥٨ – ٥٩.

(٥) سورة الصافات، آية : ٦٠ .

(٦) سورة الصَّافَّات ، الآيتان : ٤١ – ٤٩..

(٧) سورة الصَّافَّات ، آية : ٦١.

(٨) الوسيط ٣/ ٥٢٦.

(٩) سورة النمل ، آية : ٨٤.

[الدليل الخامس والثلاثون] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾ (١) .

عدَّد سبحانه النعمة على عباده في خلقهم وإيجادهم ، وإتقان بُنْيَتِهِم وشَدّ خلقهم(٢) . وأَسْرُ الخِلْقَةِ : اتّساقُ الأعضاءِ والمفاصل .

وقد قال أبو هريرة، والربيع : " الأَسْرُ : المفاصلُ، والأوصال" (٣) .

وقال بعضهم : " الأَسْرُ : القوَّة " (٤).

ثُمَّ توعَّدهم تعالى بالتبديل ، واجتمع من القولين تعديد النعمة ، والوعيد بالتبديل / احتجاجٌ على منكري البعث ، أيْ : مَنْ هذا الإيجاد [٦٩] والتبديلُ في قدرته ، فكيف تتعذّرُ عليه الإعادةُ. هذا من تفسير ابن عطية(٥) .

. ومن تفسير الإمام الواحدي في هذه الآية الكريمة : ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ ﴾ الآية : ذكر الله قدرته فقال : ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ ﴾. الأَسْرُ : شِدَّة الخَلْقِ ، يُقَال : شَدَّ الله أَسْرَ فلانٍ ، أي : قوَّى خَلْقَه.

---

(١) سورة الإنسان ، آية : ٢٨.

(٢) في المحرَّر : " خلقتهم ".

(٣) * أخرجه عن أبي هريرة : ابن جرير ، جامع البيان ١٢/ ٣٧٥ رقم ٣٥٨٧٦ .

* أورده السيوطي في الدر ٨/ ٣٧٨ عن أبي هريرة ، والربيع ، وعزاه عن الأوَّل لابن جرير ، وعن الثاني لعبد بن حميد ، وابن المنذر.

(٤) أخرجه ابن جرير عن ابن زيد ، جامع البيان ١٢/ ٣٧٥ رقم ٣٥٨٧٧.

(٥) المحرَّر الوجيز ١٦/ ١٩٤.

قال الحسن:" يعني أوصالهم بعضاً إلى بعض، يعني: بالعروقِ والعصب"(١).

ورُوِيَ عن مجاهد أنَّه قال في تفسير (الأسر) : "الشَّرْجُ ، يعني موضعي مصرفي البول والغائط إذا خرج الأذى تقبضتا" (٢) .

﴿ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾ : إذا شئنا أهلكناهم ، وأتينا بأشباههم ، فجعلناهم بدلاً منهم .

﴿ إنَّ هَذِهِ ﴾ : السورة ﴿ تَذْكِرَةٌ ﴾ : تذكير ، وموعظة ﴿ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبّهِ سَبِيلاً ﴾ : بالإيمان والطاعة ، ﴿ وَمَا تَشَاؤون ﴾ : اتّخاذ السبيل ﴿ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ الله ﴾ ذلكم .

قال الزَّجَّاج : " لستم تشاؤون إلاَّ بمشيئة الله " (٣) .

[٧٠] ﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِه ﴾ / . قال عطاء : " مَنْ صَدَّق نَبِيَّه أدخله جنَّتَه" (٤). ﴿ وَالظَّالِمِينَ ﴾ المشركين من كُفَّار مكَّة ﴿ أَعَدَّ لَهُم عَذَاباً أَلِيماً ﴾ .

[الدليل السادس والثلاثون] :

وقال عزَّ وجلَّ : ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًاۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾ (٥) .

---

(١) أورده السيوطي في الدر ٨/ ٣٧٨ ، وعزاه لعبد بن حميد.

(٢) انظر : البغوي ، معالم التنزيل ٤/ ٤٣١ .

والقرطبي : الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٩٨ . وفي الأصل (مضرة) بدل (مصرفي).

(٣) معاني القرآن ٥/ ٢٦٤.

(٤) لم أقف عليه عن عطاء.

(٥) سورة ق ، آية : ٤٤.

فسبحان مَنْ تَعَزَّزَ بالقدرة ، وقهر العباد بالموت ، ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [(١)].

[الدليل السابع والثلاثون] :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴾ [(٢)] .

(الدليل الثامن والثلاثون) :

وقوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ كَأَن لَّمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡۚ قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا ﴾ ﴿ ٤٥ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيۡنَا مَرۡجِعُهُمۡ ﴾ [(٣)] .

قال الإمام الواحدي في تفسيره : ﴿ يَتَعَارَفُونَ بَيۡنَهُمۡ ﴾ : بتوبيخ بعضهم بعضاً، يقول كل فريقٍ للآخر : أنت أضللتني يوم كذا ، وأنت كسَّبتني دخول النَّار بما علَّمْتني وزيّنته لي[(٤)] .

فلو كان على غير خلقته في الدنيا لم يعرفه .... [(٥)] عليه ، فصحَّ أنَّ الله تعالى بقدرته يعيد ابن آدم بعينه / . [٧١]

وكذلك حق تخاصم أهل النَّار ، فسبحان مَنْ تَعَزَّزَ بالقدرة وانفرد بالإيجاد والخِلْقَة .

---

(١) سورة يس ، آية : ٨٢.

(٢) سورة الزمر ، آية : ٦٨.

(٣) سورة يونس ، الآيتان : ٤٥ – ٤٦.

(٤) الوسيط ٢/ ٥٤٩.

(٥) كلمة غير مقروءة.

ومن الأدِلَّة الباهرة أيضاً على بعث الأجساد بأعيانها في هذه الآية الكريمة [الدليل التاسع والثلاثون] :

قوله ﷻ: ﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْـرَةً** ﴾ [(١)].

قال ابن عبَّاس : " حتَّى نراه علانيةً " [(٢)].

وقال قتادة : " عِياناً " [(٣)]، ومعنى قوله : ﴿ جَهْـرَةً ﴾ أي : غير مستتر عنَّا بشيء .

وقوله : ﴿ **فَأَخَذَتْكُم الصَّاعِقَةُ** ﴾ ، يعني : ما تَصْعَقُونَ منه ، أي تموتون .

قال المفسرون : إنَّ الله عزَّ وجلَّ أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناسٍ من بني إسرائيل يعتذرونَ إليه من عبادة العجل ، فاختار موسى سبعين رجلاً من خيارهم ، وخرج بهم إلى طور سيناء، وسمعوا كلام الله عزَّ وجلَّ ، وكان موسى عليه السلام إذا كَّلمه ربه وقع على وجهه نورٌ ساطِعٌ لا يستطيع أحد من بني إسرائيل أن ينظر إليه، ويغشاه عمودٌ من غَمَامٍ .

[٧٢] فلمَّا فرغ موسى/ وانكشفَ الغمامُ قالوا له : ﴿ لَـنْ نُؤْمِـنَ لَـكَ ﴾: لن نُصَدّقَكَ ﴿ **حَتَّى نَرَى اللهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُم الصَّاعِقَةُ** ﴾، وهي: نارٌ جاءت من

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٥٥.

(٢) * أخرجه ابن جرير : جامع البيان ١/ ٣٢٨ رقم ٩٤٨ .

* وابن أبي حاتم : تفسير القرآن العظيم ١/ ١٧٠ رقم ٥٣٨ .

* وأورده السيوطي في الدر ١/ ١٧٠ وعزاه لابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه ابن جرير : جامع البيان ١/ ٣٢٩ رقم ٩٥١ .

* وابن أبي حاتم : تفسير القرآن العظيم ١/ ١٧٠ رقم ٥٣٩.

السماء ، فأحرقتهم جميعاً. ﴿ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ يريد: ينظر بعضهم إلى بعض عند نزول الصَّعْقَةِ، وإنَّما أخذتهم لأَنَّهم امتنعوا من الإيمان بموسى بعد ظهور معجزته، ولا يجوز اقتراح المعجزة عليهم ، فلهذا عاقبهم الله تعالى .

وهذه الآية تتضمن التوبيخ لهم على مخالفة الرسول ﷺ مع قيام معجزاته،كما خالف أسلافهم موسى عليه السلام ، مع ما أتى به من الآيات الباهرة ، والتحذير لهم أن ينزل بهم ما نزل بأسلافهم .

وقوله : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [1] قال المفسرون: إنَّه لَمَّا هلكوا ، جعل موسى يبكي ويتضَرَّعُ ، ويقول : يا ربّ ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ﴿ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا ﴾ [2]، فلم يزل يناشدُ ربَّه حتَّى أحياهم الله جميعاً رجلاً بعد رجلٍ ، وهم ينظرون / كيف يحيَون ، وذلك [٧٣] قوله: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي : نشرناكم وأعدناكم أحياءً .

والبعث: إثارة البارك والنَّائم عن مكانه ، ونَشْرُ الميت كبعثِ النَّائم .

[قال قتادة: " بعثهم الله تعالى ليستوفوا بقية آجالهم وأرزاقهم ، ولو ماتوا بآجالهم لَمْ يُبْعَثُوا][3] ، ولكن كان ذلك الموت عقوبة لهم على ما قالوا"[4].

---

(١) سورة البقرة ، آية : ٥٦.

(٢) سورة الأعراف ، آية : ١٥٥.

(٣) ما بين المعكوفتين ساقط من الأصل ، ومن الوسيط.

(٤) ابن جرير : جامع البيان ١/ ٣٣٢ رقم ٩٦١ مختصراً .

وأورده السيوطي في الدر ١/ ١٧٠ ، وعزاه لعبد بن حميد ، وابن جرير.

قال الزَّجَّاج : " الآية احتجاج على مشركي العرب الذين كفروا بالبعث، فاحتجَّ النَّبِيُّ ﷺ بإحياء مَنْ بُعِثَ بعد موته في الدنيا فيما يوافقه اليهود والنصارى فيه "(١) .

وقوله : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ أي : نعمة البعث . هذا من تفسير الواحدي رحمه الله تعالى(٢) .

نجز والحمد الله حقَّ حمده ، وصلَّى الله على سيدنا ومولانا محمَّد نبيه وعبده وآله وسلّم ، على يد عبيد الله تعالى الرَّاجي مغفرة ذنوبه ، وستر عيوبه ، علاَّم غيوبه ، محمَّد بن محمَّد بن أبي الفضل محمَّد بن محمَّد بن أبي عمرو التميمي ، جَبَرَ الله تعالى حاله ، وأصلحه بمنه ، ضحوة يوم الجمعة ثاني شعبان المكرَّم سنة إحدى عشرة وثمانمائة ، عرَّفَنَا الله بركته وخيره / . [٧٤]

---

(١) معاني القرآن ١/ ١٣٨ (باختلافٍ يسير).

(٢) الوسيط ١/ ١٤٠ – ١٤١.

فهرس المراجع والمصادر

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية :

ابن بطة ، عبيد الله بن محمَّد العكبري ، بتحقيق : رضا نعسان معطي ط . الأولى ، نشر : دار الراية ، الرياض .

٣ ـ الأربعين في أصول الدين :

الرازي ، فخر الدين محمَّد بن عمر ، بتقديم : طه عبد الرؤوف سعد نشر : مكتبة الكليات الأزهرية .

٤ ـ الإعلام بأصول الأعلام :

د . ف . عبد الرحيم ، ط . الأولى ، ١٤١٣ هـ ، نشر : دار القلم.

٥ ـ الأعـلام :

الزركلي ، خير الدين ، ط . الثالثة .

٦ ـ البحر الزَّخَّار :

البزَّار ، أحمد بن عمرو ، بتحقيق : محفوظ الـرحمن زيـن الله ، ط. الأولى ، ١٤١٥ هـ ، نشر : مؤسسة علوم القرآن ، ومكتبة العلوم والحِكَم .

٧ ـ البداية والنهاية :

ابن كثير ، إسمـاعيل بن كثير ، تحقيق : أحمـد بن أبي ملح وزملائـه ، ط . الأولى ، ١٤٠٥ هـ ، نشر : دار الكتب العلمية ، بيروت .

٨ ـ البدور السافرة :

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، تحقيق : مصطفى

عاشور ، نشر : مكتبة الساعي .

٩ ـ تاريخ بغـداد :

الخطيب ، أبو بكر أحمد بن علي البغدادي ، بتصحيح : السيد محمَّد سيد العرفي ، نشر : دار الكتاب العربي ، بيروت .

١٠ ـ التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة :

القرطبي ، محمَّد بن أحمد الأنصاري ، بتحقيق : أحمد حجازي السقا، ط . ١٤٠٠ هـ ، نشر : مكتبة الكليات الأزهرية .

١١ـ التسهيل لعلوم التنزيل:

أبو القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي الغرناطي ، نشر الدار العربية للكتاب .

١٢ـ تعظيم قدرة الصلاة :

المروزي ، محمَّد بن نصر ، تحقيق : عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، ط . الأولى ، ١٤٠٦ هـ ، نشر : مكتبة الدار بالمدينة المنورة .

١٣ـ تفسير القرآن العظيم :

ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، بتحقيق : عبد العزيز غنيم وزملائه، مطبعة الشعب ، القاهرة

١٤ـ تفسير الحسن البصري :

د . محمَّد عبد الرحيم ، جمع ودراسة ، نشر : دار الحديث بالقاهرة .

١٥ـ تفسير القرآن :

الصنعـاني ، عبد الرَّزَّاق بن همـام ، تحقيق : د . مصطفى مسلـم،

نشر : مكتبة الرشد ، الرياض .

١٦ـ تفسير القرآن العظيم :

ابن أبي حاتم ، أبو محمَّد عبد الرحمن بن أبي حاتم ، تحقيق : د . أحمد عبد الله العماري ، ط . الأولى ، ١٤٠٨ هـ . نشر : مكتبة الدار ، ودار طيبة ، ودار ابن القيم .

١٧ـ تفسير مجاهد :

أبو الحجاج مجاهد بن جبر ، تحقيق : عبد الرحمن الطَّاهر بن محمَّد السورتي ، نشر : المنشورات العلمية ، بيروت .

١٨ـ تقريب التهذيب :

ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، نشر : مكتبة محمَّد سلطان النمنكاني ، المدينة المنورة .

١٩ـ الجامع لأحكام القرآن :

القرطبي ، محمَّد بن أحمد الأنصاري ، ط . الأولى ، ١٤٠٨ هـ .

نشر : دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢٠ـ جامع البيان عن تأويل القرآن :

الطبري ، محمَّد بن جرير ، ط . الأولى ، ١٤١٢ هـ ، نشر : دار الكتب العلمية ، بيروت .

٢١ـ جامع الترمذي :

أبو عيسى ، محمَّد بن سورة ، بتحقيق : أحمد محمَّد شاكر ، نشر : دار إحياء التراث العربي .

٢٢ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح :

ابن القيم ، أبو عبد الله محمَّد بن أبي بكر ، تحقيق : يوسف علي بديوي ، ط. الأولى ، ١٤١٤ هـ ، نشر : مكتبة التراث .

٢٣ـ درء تعارض العقل والنقل :

ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ، تحقيق : محمَّد رشاد سالم ، ط . الأولى ، ١٣٩٩ هـ ، نشر : جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية .

٢٤ـ الدر المنثور :

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، ط . الأولى، ١٤٠٣ هـ ، نشر : دار الفكر .

٢٥ـ دلالة القرآن والأثر على رؤية الله تعالى بالبصر :

عبد العزيز الرومي ، ط . ١٤٠٥ هـ ، نشر : مكتبة المعارف بالرياض .

٢٦ـ الديباج المذهب :

ابن فرحون ، إبراهيم بن علي ، تحقيق : د . محمَّد الأحمدي أبو النُّور، نشر: دار التراث ، القاهرة .

٢٧ـ الرد على الجهمية :

ابن منده ، أبو عبد الله محمَّد بن إسحاق ، تحقيق : د . علي بن محمَّد ابن ناصر فقيهي ، ط . الأولى ، ١٤٠١ هـ .

٢٨ـ رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت :

أبو نصر عبيد الله بن سعيد السجزي، تحقيق : محمد باكريم محمد باعبدالله، نشر مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٢٩ـ الرسالة :

القيرواني ، ابن أبي زيد محمَّد ، نشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ، مع شرحها " الثمر الدَّاني " .

٣٠ـ الرؤية :

الدار قطني ، علي بن عمر ، تحقيق : إبراهيم العلي ، ط . الأولى ، ١٤١١ هـ .

٣١ـ زاد المسير في علم التفسير :

ابن الجوزي ، جمال الدين عبد الرحمن بن علي ، تحقيق : محمَّد بن عبد الرحمن عبد الله ، ط . الأولى ، ١٤٠٧ هـ ، نشر : دار الفكر ، بيروت .

٣٢ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة :

الألباني ، محمَّد ناصر الدين ، ط . الثانية ، ١٣٩٩ هـ ، نشر : المكتب الإسلامي .

٣٣ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة :

الألباني ، محمَّد ناصر الدين ، ط . الأولى ، ١٣٩٩ هـ ، نشر : المكتب الإسلامي .

٣٤ سنن الدَّرامي :

عبد الله بن عبد الرحمن ، نشر : دار الفكر .

٣٥ـ سنن ابن ماجه :

القزويني ، محمَّد بن يزيد ، تحقيق : محمَّد فؤاد عبد الباقي ، ط . ١٣٩٥ هـ . نشر : دار إحياء التراث العربي .

٣٦ـ سنن أبي داود :

سليمان بن الأشعث السجستاني ، تحقيق : عزَّت عبيد الدَّعَّاس ، ط . الأولى ، ١٣٨٨ هـ ، نشر : محمَّد علي السيد حمصي .

٣٧ـ السُنَّة :

ابن أبي عصام ، أبو بكر عمرو بن أبي عاصم ، تحقيق : محمَّد ناصر الدين الألباني ، ط . الثانية ، ١٤٠٥ هـ ، نشر : المكتب الإسلامي .

٣٨ـ سير أعلام النبلاء :

الذهبي ، شمس الدين محمّد بن أحمد ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط، ط. الثانية ، ١٤٠٢ هـ ، نشر : مؤسسة الرسالة .

٣٩ـ سيرة النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم :

ابن هشام ، أبو محمَّد عبد الملك بن هشام ، تحقيق : مصطفى السقا ، وزملائه ، ط . الثانية ، ١٣٧٥ هـ .

٤٠ـ شرف أصحاب الحديث :

الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي ، تحقيق : د . محمَّد سعيد خطيب أوغلي ، نشر : دار إحياء السُنَّة النَّبَوِيَّة .

٤١ـ شعب الإيمان :

البيهقي ، أبو بكر أحمد بن الحسين ، تحقيق : عبد العلي عبد الحميد حامد ، نشر : الدار السَّلفية في الهند .

٤٢ـ الصحاح :

الجوهري ، إسماعيل بن حمَّاد ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطَّار، ط. الثانية ، ١٤٠٢ هـ .

٤٣ـ صحيح البخاري :

أبو عبد الله محمَّد بن إسماعيل ، مع شرحه " فتح الباري " لابن حجر العسقلاني ، ط . ١٣٩٨ هـ ، نشر المطبعة السلفية .

٤٤ـ صحيح مسلم :

أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، بترتيب : محمَّد فؤاد عبد الباقي ، نشر : دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٤٥ـ طبقات الشافعية الكبرى :

السبكي ، عبد الوهاب بن علي ، تحقيق : محمود الطناحي ، وعبد الفتاح الحلو ، ط . الأولى ، ١٣٨٣ هـ .

٤٦ـ طبقات المفسرين :

الداودي، محمَّد بن علي بن أحمد ، تحقيق : علي محمَّد عمر ، ط . الأولى ، ١٣٩٢ هـ .

٤٧ـ طوالع الأنوار :

البيضاوي، عبد الله بن أبي القاسم، مع شرحه للأصبهاني (مخطوط) .

٤٨ـ **غاية النهاية في طبقات القراء:**

شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن الجزري، عني بنشره : ج برجستراسر ، ط . الثالثة ، ١٤٠٢هـ، دار الكتب العلمية .

٤٩ـ **الفوائـد :**

ابن القيم ، شمس الدين محمَّـد بن أبي بكر ، ط . عمـر عبد الجبار، نشر : مكتبة النهضة بمكة .

٥٠ـ **قواعد التحديث :**

محمد جمال الدين القاسمي ، تحقيق وتعليق : محمد بهجت البيطار ، نشر: دار إحياء الكتب العربية .

٥١ ـ **لسان العرب :**

ابن منظور ، جمال الدين بن محمَّد بن مكرم ، نشر دار صادر ، بيروت .

٥٢ ـ **لمع الأدلة :**

الجويني ، عبد الملك ، أبـو المعـالي ، تحقيـق : د . فوقيـه حسـين، ط. الثانية ، ١٤٠٧ هـ ، نشر : عالم الكتب .

٥٣ ـ **لوامـع الأنـوار :**

السفاريني ، محمَّد بن أحمد ، نشر : مطبعة المدني .

٥٤ ـ **مبادئ اللغة :**

الإسكـافي ، محمَّد بن عبد الله الخطيـب ، ط . الأولى ١٤٠٥ هـ، نشر : دار الكتب العلمية .

٥٥ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد :

الهيثمـي ، نور الدين علي بن أبي بكر ، ط . ١٤٠٢ هـ، نشـر: دار الكتاب العربي .

٥٦ـ المحرَّر الوجيز :

ابن عطية ، القاضي محمَّد بن عبد الحـق بـن غالـب ، تحقيـق : المجلـس العلمي بفاس ، ط . ١٣٩٥ هـ .

٥٧ـ محصَّل أفكار المتقدِّمين والمتأخرين :

الرازي، محمَّد بن عمر، تحقيق: د. حسين أتـاي، ط . ١٤١١ هـ ، نشر: مكتبة التراث .

٥٨ـ مراتب الإجماع :

ابن حزم الظاهري ، نشر : دار الكتب العلمية .

٥٩ـ المستدرك :

الحاكم ، أبو عبد الله محمَّد بن عبـد الله ، ط . دائـرة المعـارف النظاميـة حيدر آباد ، نشر : دار الكتب العلمية .

٦٠ـ المسند :

ابن حنبل، الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمَّد، ط. الثانية، ١٣٩٨ ه ، نشر: المكتب الإسلامي .

٦١ـ مشكاة المصابيح :

التبريزي، محمَّـد بن عبدالله الخطيب، تحقيق: محمَّد ناصر الدين الألبـاني، ط . الثالثة ، ١٤٠٥ هـ، نشر المكتب الإسلامي ، بيروت .

٦٢ـ مشكل القرآن :

ابن قتيبة ، أبو محمَّد عبدالله بن مسلم الدينوري ، نشر وشرح : السيد أحمد صقر ، ط . الثانية ، ١٣٩٣ هـ .

٦٣ـ معالم التنزيل :

البغوي ، أبو محمَّد الحسين بن محمَّد الفرَّاء ، تحقيق : خالد عبدالرحمن العك ، وزميله ، ط . دار المعرفة ، بيروت .

٦٤ـ معجم البلدان :

الحموي ، ياقوت ، نشر : دار صادر ، بيروت .

٦٥ـ المعجم الفلسفي :

د . جميل صليبا ، ط . ١٩٨٢ م ، نشر : دار الكتاب اللبناني .

٦٦ـ معاني القرآن :

الأخفش ، سعيد بن مسعدة البلخي ، تحقيق : عبد الأمير محمَّد أمين الورد . ط . الأولى ، ١٤٠٥ هـ .

٦٧ـ معاني القرآن وإعرابه :

الزجَّاج ، أبو إسحاق إبراهيم بن السري ، تحقيق : د . عبدالجليل عبده شلبي ، ط . الأولى ١٤٠٨ هـ ، نشر : عالم الكتب ، بيروت .

٦٨ـ معاني القرآن :

الفرَّاء ، أبو زكريا يحيى بن زياد ، تحقيق : محمَّد علي النَّجَّار .

٦٩ـ معجم مقاييس اللغة :

ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس ، تحقيق : عبدالسلام محمَّد هارون، نشر : دار الكتب العلمية ، إيران .

٧٠ـ مفتاح دار السعادة :

ابن القيم ، محمَّد بن أبي بكر ، نشر : دار الكتب العلمية ، بيروت .

٧١ـ المِلَل والنِّحَل :

الشهرستاني، محمَّد بن عبدالكريم ، تحقيق : عبدالعزيز محمَّد الوكيل ، ط . دار الاتحاد العربي للطباعة ، ١٣٨٧ هـ ، نشر مؤسسة الحلبي وشركاه .

٧٢ـ المنهاج في شعب الإيمان :

الحليمي ، أبو عبدالله الحسين بن الحسن ، تحقيق : حلمي محمَّد فودة، ط . الأولى ١٣٩٩ هـ .

٧٣ـ منهج القرآن في الدعوة إلى الإيمان :

د . علي بن محمَّد بن ناصر فقيهي ، ط . الأولى ١٤٠٥ هـ .

٧٤ـ المواقف في علم الكلام :

الإيجي ، عبدالرحمن بن أحمد ، نشر : عالم الكتب ، بيروت .

٧٥ـ الموطأ :

الإمام مالك بن أنس ، تصحيح وتعليق : محمَّد فؤاد عبدالباقي ، نشر: دار إحياء التراث العربي .

٧٦ـ نزهة الألِبَّاء في طبقات الأدباء :

ابن الأنباري ، عبدالرحمن بن محمَّد ، تحقيق : د . إبراهيم السامرائي ط. الثالثة ، ١٤٠٥ هـ .

٧٧ـ نسب قريش :

الزبيري ، المصعب بن عبدالله ، نشر وتعليق وتصحيح : اليفي برفنسال . ط . الثالثة ، دار المعرفة .

٧٨ـ النشر في القراءات العشر :

ابن الجزري ، أبو الخير محمَّد بن محمَّد الدمشقي ، نشر : دار الكتب العلمية ، بيروت .

٧٩ـ نظم المتناثر من الحديث المتواتر :

الكتاني ، محمَّد بن جعفر ، ط . ١٤٠٤ هـ ، دار الكتب العلمية، بيروت .

٨٠ ـ النَّهاية في غريب الحديث :

ابن الأثير ، أبو السعادات المبارك بن محمَّد ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود الطناحي ، نشر : المكتبة العلمية ، بيروت .

٨١ ـ الوسيط في تفسير القرآن المجيد :

الواحدي ، أبو الحسين علي بن أحمد النيسابوري ، تحقيق : عادل أحمد عبدالموجود وزملائه ، ط . الأولى ١٤١٥ هـ ، نشر : دار الكتب العلمية .

٨٢ ـ الوسيط في تفسير القرآن المجيد :

الواحدي . (مخطوط) .

٨٣ ـ اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام :

د . فرج الله عبدالباري أبو عطا الله ، ط . الأولى ١٤١١ هـ، نشر : دار الوفاء للطباعة .

٨٤ ـ اليوم الآخر – القيامة الكبرى :

د. عمر سليمان الأشقر، ط . ١٤٠٧ هـ، نشر : مكتبة الفلاح .

فهرس الموضوعات